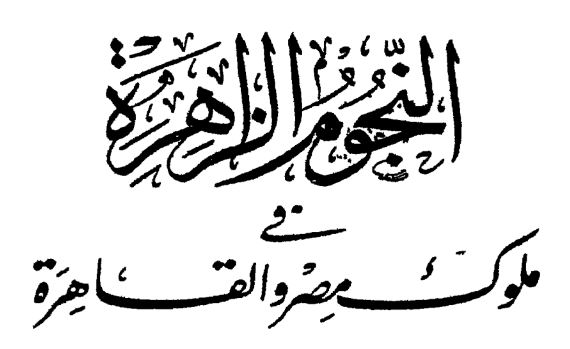


تأليف

جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي

٨١٣ - ٨٧٤ هـ

الجزء السادس

طبعة مصورة عن طبعة دار الكتـ

ع استدراكات وفهارس جامعـ

وزارة الثقافة والإرشاد القومي

المؤسسة المصرية العامة

للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

تراثنا



تأليف

جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي

٨١٣ - ٨٧٤ هـ

الجزء السادس

طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب
مع استدراكات وفهارس جامعة

وزارة الثقافة والإرشاد القومي
المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

مطابع كوستاتسوماس وشركاه
٥ شارع وقف الخرنوطلى بالظاهر ج ع م
تليفون ٩٠٠١١٨ س ت ٦٣٤١١

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحابته والمسلمين .

الجزء السادس

من

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة

ذكر ولاية السلطان صلاح الدين على مصر

هو السلطان الملك الناصر أبو المظفَّر صلاح الدين يوسف آبن الأمير نجم الدين أيّوب بن شادى بن مروان ، ويقال : إنّ مروان من أولاد خلفاء بنى أميّة ، وقال آبن القادسى[1] : كان شادى مملوك بِهْرُوز الخادم . قال صاحب مرآة الزمان : « وهذا من غلطات[2] آبن القادسى، ما كان شادى مملوكا قطّ ، ولا جرى على أحد من بنى أيّوب رِقٌّ ، وإنّما شادى خدم بِهْرُوز الخادم ، فآستنابه بقلعة تكْرِيت » . إنتهى .

قلت : كان بداية أمر بنى أيّوب أنّ نجم الدين أيّوب والد صلاح الدين هذا ، وأخاه أَسَد الدين شِيرِكُوه — ونجم الدين هو الأكبر — كان أصلهم من

---

(١) ورد هذا الاسم فى الأصل : «ابن الفارسى» بالفاء والراء . وقد ورد فى بعض كتب التاريخ كمرآة الزمان وابن خلكان وعقد الجمان تارة بالفاء والراء وأخرى بالقاف والدال . وقد رجحنا الرواية الثانية لكثرة ذكرها فى الكتب المتقدمة .

(٢) الذى فى مرآة الزمان : «وهذه من هنات ابن القادسى» .

دُوين : بلدة صغيرة فى العجم ، وقيل : هو من الأكراد الرَّوادية ، وهو الأصح .
فقدم نجم الدين أيّوب وأخوه أسد الدين شيركُوه إلى العراق وخدما مجاهد الدين
بِهْرُوز الخادم شِحْنة بغداد ، فرأى بهروزُ من نجم الدين رأياً وعقلاً ، فولّاه دُزْداراً
تَكْرِيت[1]، وكانت تكريت لبِهْرُوز، أعطاها له السلطان مسعود بن غياث الدين محمد
٥ ابن مَلِكْشَاه — المقدّم ذكره — السَّلْجُوقىّ . وبِهْرُوز كان يلقّب مجاهدَ الدين،
وكان خادما روميّاً أبيض ، ولّاه السلطان مسعود شِحْنة العراق . وبِهْرُوز (بكسر
الباء الموحدة وسكون الهاء وضم الراء وسكون الواو وبعدها زاى) ، وهو لفظ
عجمىّ معناه : يوم جيّد . فأقام نجم الدين بتَكْرِيت ومعه أخوه أسد الدين إلى أن
انهزم الأَتَابَك زَنْكِى بن آق سُنْقُر من الخليفة المسترشد فى سنة ستّ وعشرين
١٠ وخمسمائة ، ووصل إلى تكريت وبه نجم الدين أيّوب، فقام له المَعَابر فعبر زنكى بن
آق سُنْقُر [دجلة][2] من هناك، وبالغ نجمُ الدين فى إكرامه، فرأى له زنكى ذلك. وأقام
نجمُ الدين بعد ذلك بتَكْرِيت إلى أن خرج منها بغير إذن بِهْرُوز. وسببه أنّ نجم الدين
كان يَرْمِى يوما بالنشاب فوقعتْ نُشّابةٌ فى مملوك بِهْرُوز فقتلته من غير قصد. فاستحى
نجم الدين من بِهْرُوز فخرج هو وأخوه إلى المَوْصِل . وقيل غير ذلك : إنّ بِهْرُوز
١٥ أخرجهما لمعنًى من المعانى، وقيل فى خروجهما غير ذلك أيضا .

ولمّا خرجا من تكريت قصدا الأَتَابَك زَنْكِى بن آق سُنْقُر — المقدّم ذكره —
وهو والد الملك العادل نور الدين محمود بن زَنْكِى المعروف بالشّهيد، فأحسن إليهما
زَنْكِى وأقطعهما إقطاعات كثيرة، وصارا من جملة أجناده إلى أن فتح زَنْكِى مدينة

---

(١) تكريت : بلدة مشهورة بين بغداد والموصل ، وهى إلى بغداد أقرب ، بينها وبين بغداد ثلاثون
٢٠ فرسخا ، ولها قلعة حصينة (عن معجم البلدان لياقوت) .

(٢) التكملة عن الكامل لابن الأثير ووفيات الأعيان لابن خلكان .

بعلبكّ[1]، وولّى نجمَ الدين أيّوب دُزْدَارًا بقلعتها، والدُّزْدَارُ (بضمّ الدال المهملة وسكون الزاى وفتح الدال المهملة وبعدها ألف وراء مهملة) ومعناها بالعجمى : ماسك القلعة . ودام نجمُ الدين ببعلبكّ إلى أن قتِل زنكى على قلعة جَعْبَر[2] . وتوجّه صاحبُ دمشق [يومئذ مُجِيرالدين][3] وحصَر نجمَ الدين المذكور فى بعلبكّ وضايقه، فكتب نجم الدين إلى نور الدين الشهيد بن زَنكى وسيف الدين غازى يطلب منهما نجْدة، فآشتغلا عنه بملك جديد[4] ، وآشتدّ الحصار على بعلبكّ، فخاف نجم الدين من فتحها عنوةً وتسليم أهلها، فصالح مُجِيرَ الدّين صاحب دمشق على مال؛ وآنتقل هو وأخوه أسد الدين شِيرِكُوه إلى دمشق وصارا من كبار أمرائها . ولا زال بها أسدُ الدين شِيرِكوه حتّى آتّصل بخدمة الملك العادل نور الدين محمود بن زَنْكى [صاحب حلب][5] وصار من أكابر دولته . ورأى منه محمود نجابة وشجاعة فأعطاه حِمْص والرَّحْبة، وجعله مقدَّمَ عساكره . فلمّا صرَف نور الدين همّته لأخذ دمشق أمر أسد الدين أن يكاتب أخاه نجم الدين أيّوب على المساعدة على فتحها، فكتب أسدُ الدين إلى أخيه، وقال له : هذا يجب عليك، فإنّ مُجِير الدين قد أعطى الفِرِنْجَ بانْيَاس[6] وربما سلّم إليهم دمشق بعد ذلك؛ فأجابه نجم الدين، وطلبا من نور الدين إقطاعا وأملاكا فأعطاهما، وحلف لهما ووفّى بيمينه. وأمّا مُجِير الدين المذكور صاحب دمشق، فكان

(١) بعلبك : مدينة قديمة فيها أبنية عجيبة وآثار عظيمة وقصور على أساطين الرخام لا نظير لها فى الدنيا؛ بينها وبين دمشق ثلاثة أيام ، وقيل اثنا عشر فرسخا من جهة الساحل (عن معجم البلدان لياقوت) .
(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٧٩ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .
(٣) الزيادة عن وفيات الأعيان لابن خلكان وما سيأتى ذكره قريبا . (٤) عبارة ابن خلكان : « فأرسل نجم الدين أيوب إلى سيف الدين غازى بن زنكى صاحب الموصل ، وقد قام بالملك بعد والده ، لينهى إليه الحال ويطلب منه عسكرا ليزحزح صاحب دمشق عنه ، وكان سيف الدين فى ذلك الوقت فى أول ملكه وهو مشغول بإصلاح ملوك الأطراف المجاورين له فلم يتفرغ له » . (٥) زيادة عن وفيات الأعيان لابن خلكان . (٦) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٢١ من الجزء الرابع من هذه الطبعة .

آسمه آبق بن محمد بن بُورى بن الأتَابَك ظَهِير الدين طُغْتِكين. وطغتكين مولى تُتُش آبن ألب أرسلان أخى مَلِكشاه السَّلْجُوقىّ .

ولمّا ملك نور الدين محمود دمشــق وفّى لهما بمـا وعدهما ، وصارا من أكابر أمرائه خصوصا نجم الدين ؛ فإنّ جميع الأمراء كانوا إذا دخلوا على نور الدين لا يقعد أحد حتّى يأمره نور الدين بالقعود إلّا نجمَ الدين هــذا ، فإنّه كان إذا دخل قعد من غير إذن . وداما عند نور الدين فى أعلى المنازل إلى أن وقع من أمر شَاوَر وزير مصر ما وقع — وقد حكيناه فى ترجمة العاضد العُبَيْدِىّ — ودخول أسد الدين شِـيرِكُوه إلى الديار المصريّة ثلاثَ مرّات ، ومعه آبن أخيه صلاح الدين يوسف هذا ، حتّى ملك أسدُ الدين الديارَ المصريّة فى الثالثة ، وثُقِيل شاوَر ، وَوَلِى أسدُ الدين وزارةَ مصر ، ولُقِّب بالمنصور ، ومات بعد شهرين ؛ فولّى العاضدُ الخليفةُ صلاحَ الدين هــذا الوزارةَ ، ولقّبــه الملكَ الناصرَ ؛ وذلك فى العشر الأخير من جُمَــادى الآخرة ســنة أربع وستين وخمسمائة . وآستولى على الديار المصريّة ومهّد أمورها . وصار يُدْعَى للعاضد ، ثمّ من بعده للملك العادل نور الدين محمود ، ثمّ من بعدهما لصلاح الدين هــذا . ونذكر ولايتَه إن شاء الله بأوسع من هــذا من كلام آبن خلّكان ، بعد أن نذكر نبذة من أموره .

وآستقرّ صلاح الدين بمصر وأرسل يطلب أباه نجم الدين أيّوب من الملك العادل نور الدين محمود الشهيد ، فأرسله إليه معظّما مبجّلا ، وكان وصوله (أعنى نجم الدين) إلى القاهرة فى شهر رجب سنة خمس وستين وخمسمائة ؛ فلمّا قرب نجم الدين إلى الديار المصريّة خرج آبنــه السلطان صلاح الدين بجميع أمراء مصر [illegible] ، وترجّل صلاح الدين وجميع الأمراء ومَشَوْا فى ركابه ؛ ثمّ [illegible] الدين : هذا الأمر لك (يعنى الوزارة) وهى السلطة الآن ، وتابع [illegible] ملك مصر [illegible] بدبك ؛

فقال له نجم الدين : يا بنيّ، ما اختارك الله لهذا الأمر إلّا وأنت أهل له، وأبى نجمُ الدين عن قبول السلطنة، غير أنّه حكّمه ابنه صلاح الدين في الخزائن، فكان يُطلِق منها ما يختار من غير مراجعة صلاح الدين. وكانت الفرنج تولّت على دِمْياط في ثالث صفر من السنة المذكورة وجدّوا في قتالها، وأقاموا عليها نحو الشهرين يحاصرونها بالمجانيق و يزحفون عليها ليلا ونهارا، وصلاح الدين يوجّه إليها العساكر مع خاله شِهاب الدين وتَقِيّ الدين، وطلب من العاضد مالًا فبعث إليه شيئا كثيرا، حتّى قال صلاح الدين : ما رأيت أكرم من العاضد ! جهّز إليّ في حصار الفرنج لدِمْياط ألف ألف دينار سوى الثياب وغيرها.

ولمّا سمع نور الدين بما وقع لدِمْياط أخذ في غزو الفرنج بالغارات عليهم. ثم وقع فيهم الوباء والفناء فرحلوا عن دِمياط بعد أن مات منهم خلق كثير. كلّ ذلك في حياة العاضد في أوائل أمر صلاح الدين، ثمّ أخذ السلطان صلاح الدين في إصلاح أحوال مصر وعمارة البلاد و بينا هو في ذلك ورد عليه كتاب الملك العادل نور الدين محمود بن زَنْكِي من دمشق، فأمره فيه بقطع خطبة العاضد و إقامتها لبني العبّاس خلفاء بغداد، فخاف صلاح الدين من أهل مصر ألّا يجيبوه إلى ذلك، وربّما وقعت فتنة؛ فعاد الجواب لنور الدين يخبره بذلك، فلم يسمع له نور الدين؛ وأرسل إليه وخشّن له في القول، وألزمه بذلك إلزاما كلّيّا إلى أن وقع ذلك؛ وقُطِعت خطبة العاضد في أوّل المحرّم سنة سبع وستين وخمسمائة. وكان العاضد مريضا فأُخْفِي عنه أهله ذلك حتّى مات يوم عاشوراء، فندم صلاح الدين على قطع خطبته، وقال : ليتني صبرت حتّى مات. وقد ذكرنا ذلك كلّه مفصّلا في ترجمة العاضد السابقة لهذه الترجمة. ومن هنا نذكر — إن شاء الله تعالى — أقوال المؤرّخين في أحوال السلطان صلاح الدين هذا وغزواته وأموره، كلّ مؤرّخ على حدته. ومن يوم مات العاضد

عظُم أمر صلاح الدين وآستولى على خزائن مصر وآستبدّ بأمورها من غير منازع .
غير أنّه كان من تحت أوامر الملك العادل نور الدين محمود بن زَنْكِي المعروف
بالشهيد صاحب دمشق على ما سنبيّنه فى هذا المحلّ . وكان يدعو له الخطيب بمصر
وأعمالها بعد نور الدين المذكور ويدعو لنور الدين بعد الخليفة .

وكان مولد صلاح الدين بتِكْرِيت فى سنة آثنتين وثلاثين وخمسمائة، ونشأ فى حِجْر
أبيه نجم الدين أيّوب فى الدولة النُّوريّة، وترقّى فيها ؛ وكان ولّاه نور الدين قبل
خروجه مع عمّه أسد الدين شيركوه الثالثة إلى ديار مصر، شِحْنَكِيّة[1] دمشق، فخرج
عنها غَضِباً على ما سنذكره إن شاء الله .

قال العلّامة أبو المظفّر شمس الدين يوسف بن قِزْأُوغْلِى فى تاريخه مرآة الزمان :
« كان السلطان صلاح الدين شجاعا شهما مجاهدا فى سبيل الله ، وكان مغرمًا
بالإنفاق فى سبيل الله ، وحُسِب ما أطلقه ووهبه مدّةَ مُقامه على عكّا مرابطا
للفرنج، من شهر رجب سنة خمس وثمانين، إلى يوم آنفصاله عنها فى شعبان سنة ثمان
وثمانين، فكان آثنى عشرَ ألفَ رأس من الخيل العِرَاب[2] والأكاديش الجياد للحاضرين
معه للجهاد، غير ما أطلقه من الأموال . قال العماد الكاتب : لم يكن له فرس
يَرْكب[3] إلّا وهو موهوب ، ولا جاءه قود إلّا وهو مطلوب ، وما كان يَلْبَس إلّا
ما يحلّ لبسه ، كالكتّان والقطن والصوف ؛ وكانت مجالسه منزّهة عن الهُزْء والهزل ؛
ومحافله حافلة بأهل العلم والفضل ؛ ويُؤْثِر سماع الحديث وكان مَنْ جالسه لا يعلم

---

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٠١ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .
(٢) الخيل العراب : خلاف البراذين . (٣) كذا فى الأصل . وعبارة العماد الكاتب
فى الفتح القسى : « ولم يكن له فرس يركبه إلا وهو موهوب أو موعود به ، وصاحبه ملازم فى طلبه ؛
وما حضر اللقاء إلا استعار فرسا فركبه وهجر جياده ، فاذا نزل جاء صاحبه فاستعاده » .

أنه جالس سلطانا لتواضعه . قال : ورأى معى يوما دَواة محلّاة بفضّة فأنكر علىّ وقال : ما هذا! فلم أكتب بها عنده بعدها . وكان محافظا على الصلوات فى أوقاتها لا يصلّى إلّا فى جماعة، وكان لا يلتفت إلى قول منجّم، وإذا عزم على أمر توكّل على الله . انتهى كلام العماد باختصار .

وذكره القاضى ابن شدّاد فى السّيرة فقال : كان حسنَ العقيدة، كثيرَ الذكر لله تعالى، وإذا جاء وقتُ صلاة وهو راكب نزل فصلّى ، وما قطعها إلّا فى مرضه الذى مات فيه ثلاثةَ أيام اختلط ذهنُه فيها. وكان قد قرأ عقيدة القطب النّيسابورىّ[1]. وعلّمها أولادَه الصغار لترسخ فى أذهانهم، وكان يأخذها عليهم . وأمّا الزكاة فإنّه مات ولم تجب عليه قطّ . وأمّا صدقة النوافل فاستُنفدتْ أموالُه كلّها فيها. وكان يحبّ سماع القرآن، واجتاز يوما على صبىّ صغير بين يدىْ أبيه وهو يقرأ القرآن فاستحسن قراءته، فوقف عليه وعلى أبيه مَزْرعةً . وكان شديد الحياء خاشع الطَّرْف، رقيق القلب، سريع الدمعة ، شديد الرغبة فى سماع الحديث . وإذا بلغه عن شيخ روايةٌ عالية وكان ممّن يحضر عنده ، استحضره[2] وسمع عليه وأسمع أولاده ومماليكه، ويأمرهم بالقعود عند سماع الحديث إجلالا له، وإن لم يكن ممن يحضر عنده، ولا يطرُق أبواب الملوك سعَى إليه . وكان مُبْغضا لكتب الفلاسفة وأرباب المنطق ومن يعاند الشريعة . ولمّا بلغه عن السُّهْرَوَرْدِىّ[3] ما بلغه أمر ولده الملك

(١) هو أبو المعالى مسعود بن محمد بن مسعود النيسابورى الفقيه الشافعى الملقب قطب الدين . جمع للسلطان صلاح الدين عقيدة تجمع جميع ما يحتاج اليه فى أمر دينه وحفظها أولاده الصغار حتى ترسخ فى أذهانهم من الصغر. توفى سنة ٥٧٨ هـ — وسيذكرها المؤلف — (عن ابن خلكان ج ٢ ص ١٣٤ طبع بولاق) .

(٢) فى الأصل : « استحضر عليه » . وما أثبتناه عن سيرة صلاح الدين المسماة بالنوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية .

(٣) السهروردى هو أبو الفتوح يحيى بن حبش بن أميرك الملقب شهاب الدين السهروردى الحكيم المقتول بحلب . وسيذكر المؤلف وفاته سنة ٥٨٧ هـ .

الظاهر ستاه . وكان محبّا للعدل يجلس فى كلّ يوم آثنين وخميس [فى][1] مجلس عام يحضُره القضاة والفقهاء، ويصل إليه الكبير والصغير والشيخ والعجوز، وما آستغاث إليه أحد إلّا أجابه وكشف ظُلامته، وآستعاث اليه آبن زُهَير الدِّمَشقىّ على تقىّ الدين عمر [ابن أخيه][2] وقال: ما يحضُر معى مجلسَ الشرع، فأمر تقىّ الدين بالحضور معه . وآدّعى رجل على السلطان صلاح الدين المذكور بأنّ سُنْقُر الخِلَاطِىّ مملوكُه ومات على ملكه . قال آبن شدّاد: فأخبرته فأحضَر الرجل، وقد خرج عن طَرّاحته وساواه فى الجلوس، فآدّعى الرجلُ، فرفع السلطانُ رأسَه إلى جماعة الأمراء والشيوخ الأخيار، وهم وقوف على رأسه ، فقال : أتعرفون سُنْقُر الخِلَاطِىّ؟ قالوا : نشهد أنه مملوكك، وأنّه مات على ملكك. ولم يكن للرجل المدّعى بيّنة، فأُسقِط فى يده . فقلتُ: يا مولانا، رجل غريبٌ، وقد جاء من خِلَاط فى طمع ، ونفِدتْ نفقته ، وما يَحْسُن أن يرجع خائبا؛ فقال : يا قاضى، هذا إنّما يكون على غير هذا الوجه، ووهب له نفقة وخِلْعة وبغلة وأحسن إليه .

قال : وفتح آمِدَ ، ووهبها لابن قَرَا أَرْسلان . وآجتمع عنده وفودٌ بالقدس ولم يكن عنده مال ، فباع ضَيْعة وفرّق ثمنها فيهم . قال آبن شدّاد : وسألت بالدان بن بارزّان[3] يوم آنعقاد الصلح عن عدّة الفرنج الذين كانوا على عكّا ، وهو جالس بين يدى السلطان، فقال للتَّرْكمان : قل له كانوا من خمسمائة ألف إلى ستّمائة ألف ، قُتِل منهم أكثر من مائة ألف وغَرِق معظمهم . قال : وكان يوم المَصَافّ يدور على الأطلاب ويقول : وهل أنا إلا واحد منكم ! وكان

(١) الزيادة عن السيرة .
(٢) الزيادة عن السيرة. وهو الملك المظفر أبو سعيد عمر بن نور الدولة شاهنشاه بن أيوب .
(٣) فى الأصل ومرآة الزمان : « وسألت ابن ميروان » . وما أثبتناه عن السيرة والروضتين .

فى الشتاء يعطى العساكر دستورا وهو نازل على برج عكّا، ويقيم طول الشتاء فى نفر يسير . وكان على الرملة(١) بجاءه كتاب بوفاة تقىّ الدين [ابن أخيه](٢)، فقال وقد خنقته العبرة : مات تقىّ الدين ! اكتموا خبره مخافة العدو . قال : ولقد واجهه الجناح(٣) على يافا بذلك الكلام القبيح(٤)، فما قال له كلمة، واستدعاه فأيقن بالهلاك؛ وارتقب الناس أن يضرب رقبته فأطعمه فاكهة قدمت من دمشق وسقاه ماء وثلجا . قال : وكان للمسلمين لصوص يدخلون خيام الفرنج بالليل ويسرقونهم، فسرقوا ليلةً صبيًّا رضيعا فباتت أمّه تبكى طول الليل، فقال لها الفرنج : إنّ سلطانهم رحيم القلب فاذهبى إليه، فجاءته وهو على تلّ الخرّوبة(٥) راكب، فعفرت وجهها وبكت، فسأل عنها فأخبر بقصّتها، فرقّ لها ودمعت عيناه، وتقدّم إلى مقدّم اللصوص بإحضار الطفل، ولم يزل واقفا حتّى أحضروه؛ فلمّا رأته بكت وشهقت وأخذته وأرضعته ساعة وضمّته إليها، وأشارت إلى ناحية الفرنج؛ فأمر أن تحمل على فرس وتلحق بالفرنج ففعلوا . قال ابن شدّاد : وكان حسن العشرة طيّب الخلق حافظا لأنساب العرب، عارفا بخيولهم، طاهر اللسان والقلم، فما شتم أحدا قطّ ولا كتب بيده ما فيه أذى مسلم . وما حضر بين يديه يتيم إلّا وترحّم على من خلفه، وجبر قلبه وأعطاه ما يكفيه، فإن كان له كافل [سلّمه إليه](٦) وإلّا كفله . وسرق(٧) يوما من خزائنه ألفا دينار وجعل فى الكيس فلوس فما قال شيئا . انتهى كلام ابن شدّاد باختصار .

(١) الرملة : مدينة عظيمة بفلسطين . (٢) زيادة عن السيرة .

(٣) هو الجناح بن على بن أحمد الهكارى أخو المشطوب بن على وكلاهما كان من أمراء صلاح الدين . (عن ابن الأثير ج ١٢ ص ٥٥) . (٤) عبارة ابن الأثير : « فقال له : يا صلاح الدين قل لمماليكك الذين أخذوا أمس الغنيمة وضربوا الناس بالجماعات يتقدمون فيقاتلون ، إذا كان القتال فنحن، وإذا كانت الغنيمة فلهم ! » . (٥) الخروبة : حصن بساحل الشام مشرف على عكا (عن معجم البلدان لياقوت) . (٦) التكملة عن السيرة . (٧) عبارة السيرة : « ولقد أبدل فى خزائنه كيسان من الذهب المصرى بكيسين من الفلوس، فما عمل بالنواب شيئا سوى أنه صرفهم من عملهم لا غير » .

قال أبو المظفّر . وحكى لى المُبارز[1] سُنْقُر الحلبيّ — رحمه الله تعالى — قال . كان الحجّاب يزدحمون على طرّاحته فجاء سُنْقُر الخِلاطيّ ومعه قِصَص فقدّم إليه قِصّة، وكان السلطان مدّ يده اليمنى على الأرض ليستريح، فداسها سُنْقُر الخلاطيّ ولم يَعْلَم، وقال له : علِّم عليها ، فلم يُجبه، فكرّر عليه القولَ ، فقال له : ياطَوَاشى، أعلِّم بيدى أم برجلى ! فنظر سنقر فرأى يد السلطان تحت رجله فخجل ، وتعجّب الحاضرون من هذا الحلم؛ ثم قال السلطان . هات القصّة فعلّم عليها» .

وقال القاضى شمس الدين أحمد بن محمد بن خلّكان — رحمه الله — فى تاريخه «وصلاح الدين كان واسطة العِقْد، وشهرته أكبر من أن يحتاج إلى التنبيه عليه . اتّفق أهل التاريخ على أنّ أباه وأهله من دُوِين (بضم الدال المهملة وكسر الواو وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون) ، وهى بلدة فى آخر عمل أَذَرْبِيجان من جهة أَرّان وبلاد الكَرَج، وأنّهم أكرادٌ رَوَادِيّةٌ (بفتح الراء والواو وبعد الألف دال مهملة [مكسورة][2] ثم ياء مثنّاة من تحتها مشدّدة ثم هاء) . والرَّوَادِيّةُ : بطن من الهَـذَبانِيّة[3] (بفتح الهاء والذال المعجمة وبعد الألف نون مكسورة ثم ياء مثنّاة مشدّدة من تحتها وبعدها هاء) وهى قبيلة كبيرة من الأكراد . وقال لى رجل عارف بما يقول، وهو من أهل دُوِين : إنّ على باب دُوِين قريةً يقال لها : أَجْدَانَقان (بفتح الهمزة وسكون الجيم وفتح الدال المهملة وبعد الألف نون مفتوحة ثم قاف وبعد الألف الثانية نون أخرى) وجميعُ أهلها أكرادٌ رَوَادِيّة ؛ ومولد أيّوبَ والدِ صلاح الدين بها، وشادِى أخَذ ولديه، [منها][3]: أسدَ الدين شِيرِكُوه،

---

(١) فى مرآة الزمان : « المبارز » (٢) زيادة عن ابن خلكان

(٣) فى الأصل : «الهدبانية» وقد ضبطها المؤلف بفتح الهاء والدال المعجمة والباء الموحدة . الخ وفى عقد الجمان «الهديانية» بالدال المهملة والياء . وما أثبتناه عن ابن خلكان

ونجمَ الدين أيّوب، وخرج بهما إلى بغداد؛ ومن هناك إلى تَكْرِيت. ومات شادِي بها، وعلى قبره قبةٌ داخلَ البلد. ولقد تتبّعتُ نسبهم كثيرا فلم أجد أحدا [ذكر][1] بعد شَادِي أبا آخر، حتّى إنى وقفتُ على كتب كثيرة بأوقاف وأملاك بآسم شِيرِكُوه وأيّوب فلم أرَ فيها سوى شِيرِكُوه بن شادِي [وأيّوب][1] بن شَادِي لا غير. وقال لى بعض أعوانهم: هو شادِي بن مروان، وقد ذكرته فى ترجمة أيوب وشِيرِكُوه. ٥

قال: ورأيت مدرجا رتّبه الحسن بن غريب بن عِمْران[2] الحَرَمى يتضمّن أن أيّوبَ آبنَ شادِي بن مروان بن [أبى][1] على بن عنترة[3] بن الحسن بن علىّ بن أحمد ابن علىّ[4] بن عبد العزيز بن هُدْبة بن الحُصَين بن الحارث بن سِنان بن عمرو بن مرة بن عَوْف بن أسامة بن بَيْهَس[5] بن الحارث صاحب الحَمَالة آبن عَوْف بن أبى حارثة بن مُرّة بن نُشْبة[6] بن غَيْظ بن مُرّة بن عَوْف بن سعد بن ذُبْيان بن بَغِيض ١٠ ابن رَيْث بن غَطَفان [بن سعد][7] بن قَيْس بن عَيْلان بن الياس بن مُضر بن نِزار ابن معدّ[8] بن عَدْنان؛ ثم رَفع هذا النسبَ إلى أن آنتهى إلى آدم عليه السلام. ثم ذكر بعد ذلك أن علىّ بن أحمد بن أبى علىّ فقال: هو ممدوح المتنبي، ويعرف بالخُرَاسانى. وفيه يقول من جملة قصيدة:

شَرِق الجوُّ بالغُبار إذا سا * رعلىُّ بنُ أحمدَ القَمْقَامُ ١٥

---

(١) التكملة عن ابن خلكان. (٢) فى الأصل: «الحسن بن عمرو بن عمران». وما أثبتناه عن ابن خلكان. (٣) كذا فى ابن خلكان المطبوع. وفى بعض نسخه المخطوطة: «عبرة». وفى الأصل: «حورة». (٤) كذا فى ابن خلكان. وفى الأصل: «ابن أبى على».
(٥) فى الأصل: «ابن مهيس». وفى ابن خلكان: «ابن بهس». وما أثبتناه عن عقد الجمان.
(٦) فى الأصل: «شيبة». وما أثبتناه عن ابن خلكان المطبوع والمخطوط. ٢٠
(٧) التكملة عن ابن خلكان وعقد الجمان.
(٨) فى الأصل: «نزار بن سعد». وما أثبتناه عن عقد الجمان وابن خلكان.

وأمّا الحارث بن عَوْف بن أبى حارثة صاحبُ الحَمَالة فهو الذى حمل الدماء بين عَبْس وذُبْيان ، وشاركه فى الحَمَالة خارجةُ بن سِنان أخو هَرِم بن سِنان . وفيهما قال زُهَير بن أبى سُلْمَى المُزَنِىّ قصائدَ كثيرة، منها قوله :

وهل يُنبِت الخَطِّىَّ إلّا وَشِيجُه * وتُغْرَس إلّا فى مَنابتها النخلُ

هذا آخر ما ذكره فى المدرّج وكان قد قدّمه إلى الملك المعظّم شرف الدين عيسى بن الملك العادل صاحب دمشق ، وسمعه عليه هو وولده الملك الناصر صلاح الدين أبو المفاخر داود بن الملك المعظّم، وكتب لهما بسماعهما عليه فى آخر رجب سنة تسعَ عشرةَ وستمائة . والله أعلم . انتهى ما ذكرته من المدرّج . ثم قال:

« وأقول ذكر المؤرّخون أنّ أسد الدين شِيرِكُوه لمّا مات آستقرّت الأمور بعده لصلاح الدين يوسف بن أيّوب وتمهّدت القواعد، ومشى الحال على أحسن الأوضاع، وبَذَل الأموالَ وملك قلوب الرجال، وشكر نعمة الله تعالى عليه، فتاب عن الخمر وأعرض عن أسباب اللهو، وتقمّص بقميص الجدّ والآجتهاد، ولا زال على قدم الخير وما يقربه إلى الله تعالى إلى أن مات» . قال : «وقال شيخنا آبن شدّاد — رحمه الله — :[سمعته][1] يقول قال صلاح الدين — رحمه الله — :لمّا يسّر الله تعالى بملك الديار المصرية علمت أنّ الله أراد فتح الساحل لأنه أوقع ذلك فى نفسى . قال: ومن حين آستقام له الأمر مازال صلاح الدين يَشُنّ الغارات على الفرنج إلى أن ملك الكَرَك[2] والشَّوبَك[3] وغيرهما من البلاد[4]، وغشى الناس من سحائب الإفضال والإنعام [مالم يؤرّخ عير تلك الأيام . و][1] هذا كلّه وهو وزير متابع للقوم ، ولكنّه يقول

(١) زيادة عن ابن خلكان . (٢) الكرك : اسم لقلعة حصينة جدّا فى طرف الشام من نواحى البلقاء فى جبالها (عن معجم البلدان لياقوت). (٣) الشوبك : قلعة حصينة فى أطراف الشام بين عمان وبين الكرك (عن معجم البلدان لياقوت). (٤) كذا فى ابن خلكان . وفى الأصل : «وبلادهما» .

بمذهب أهل السّنة، [مارس في البلاد أهل الفقه والعلم والتصوف والدين؛ والناس يهرعون إليه من كلّ صَوْب ويَفِدون عليه من كل جانب وهو لا يُخيّب قاصدا، ولا يعدم وافدا] (١) إلى سنة خمس وستين وخمسمائة . فلمّا عرف نور الدين آستقرار (٢) أمر صلاح الدين بمصر أخذ حمص من نواب أسد الدين شيركوه، وذلك في رجب سنة أربع وستين . ولمّا علم الفرنجُ ما جرى من (٣) المسلمين وعساكرهم، وما تمّ للسلطان من آستقامة الأمر له بالبلاد المصرية علموا أنه يملك بلادهم ، ويخرب ديارهم ، ويقطع آثارهم؛ فآجتمع الفرنج والروم جميعا وقصدوا الديار المصريّة ، ونزلوا دِمْياط ومعهم آلات الحصار وما يُحتاج إليه » .

قلت : وهذه الواقعة التي ذكرناها في أوّل هذه الترجمة . غير أنّنا نذكرها أيضا من قول آبن خلّكان لزيادات تأتي فيها .

قال: «ولمّا سمع فرنج الشام ذلك آشتدّ أمرُهم، فسرقوا حصنَ عكّا من المسلمين وأَسَروا صاحبها ، وكان مملوكا لنور الدين محمود، يقال له : « خُطْلُخ العلم دار » . وذلك في شهر ربيع الآخر سنة خمس وستّين . ولمّا رأى نور الدين ظهور الفرنج ونزولهم على دِمْياط قصد شَغْل قلوبهم، فنزل على الكَرَك فحاصرها في شعبان من السنة المذكورة، فقصده فرنج الساحل فرحل عنها، وقصد لقاءهم فلم يقووا له . ثم بلغه وفاةُ مجد الدين بن الدّاية، وكانت وفاته بحَلَب في [شهر] (٤) رمضان سنة خمس وستين، فآشتغل قلبه، فإنّه كان صاحبَ أمره. وعاد يطلب الشام فبلغه أمر الزلازل بحلب التي أخربت البلاد، وكانت في ثاني عشر شوّال فسار يطلب حلب، فبلغه موت أخيه

(١) زيادة عن ابن خلكان. (٢) في الأصل : «استقلال» ، وما أثبتناه عن ابن خلكان .
(٣) في الأصل : « ما جرى للسلمين وعساكره » . وما أثبتناه عن ابن خلكان .
(٤) الزيادة عن ابن خلكان .

قطب الدين مودود بالموصل ، و بلغه خبر موته وهو تَلّ باشِر[1]، فسار من ليلته طالباً لبلاد الموصل . ودام صلاح الدين فى قتال الفرنج بِدِمْياط إلى ان رحلوا عنها خائبين » .

قال آبن خلّكان : «والذى ذكره شيخنا عزّ الدين بن الأثير. [أمّا][2] كيفيّة ولاية صلاح الدين فإنّ جماعة من الأمراء النُّورِيّة الذين كانوا بمصر طلبوا التقدّم على العساكر و [ولاية][3] الوزارة (يعنى بعد موت أسد الدين شِيرِكُوه) : منهم الأمير عين الدولة اليَارُوقى، وقُطْب الدين خُسْرُو بن تلسيل[4] ، وهو آبن أخى أبى الهَيْجاء الهَدَبانىّ[5] الذى كان صاحبَ إرْبِل . قلت : [وهو][6] صاحب المدرسة القُطْبِيّة[7] بالقاهرة؛ ومنهم سيف الدين علىّ بن أحمد الهَكَّارىّ ، وجدّه كان صاحب القِلاع الهكاريّة[8] . قلت : هو المعروف بالمَشْطوب — ولوالده أحمد ترجمة فى تاريخنا «المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى» — ومنهم شهاب الدين محمود الحارِمىّ ، وهو حال صلاح الدين ؛ وكلّ واحد من هؤلاء قد خَطَبها[9] لنفسه ، فأرسل العاضد صاحب مصر إلى صلاح الدين يأمره بالحضور إلى قصره ليخلع عليه خِلْعة الوزارة

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٠١ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

(٢) الزيادة عن تاريخ الدولة الأتابكية ملوك الموصل ص ٢٥٥ (نسخة طبع أوربا موجودة بالخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٠٧ تاريخ) والكامل ، وكلاهما لابن الأثير. (٣) الزيادة عن ابن خلكان وتاريخ الدولة الأتابكية والكامل . (٤) كذا فى ابن خلكان وتاريخ الدولة الأتابكية . وفى الأصل والمقريزى فى الكلام على المدرسة القطبية ص ٣٦٥ ج ٢ : « ابن بلبل » .

(٥) فى الأصل وابن خلكان « الهذبانى » بالذال المعجمة والياء . وما أثبتناه عن تاريخ الدولة الأتابكية والمقريزى . (٦) زيادة عن ابن خلكان . (٧) المدرسة القطبية هى كما فى خطط المقريزى فى الجزء الثانى ص ٣٦٥ تقع فى خط سويقة الصاحب بداخل درب الحريرى وقد كانت هى والمدرسة السيفية (جامع الخطاب اليوم) من حقوق دار الديباج ، وأنشأ هذه المدرسة الأمير قطب الدين خسرو بن بلبل بن شجاع الهدبانى فى سنة ٥٧٠ هـ وجعلها وقفا على الفقهاء الشافعية وهذه المدرسة درست . وبالبحث تبين أن محلها اليوم الدار وقف التلاوى رقم ١٠ بحارة الملطى (درب الحريرى سابقا) المتفرعة من سكة البودية بالجراوى . (٨) الهكارية ، قرية قريبة من الموصل ويسكنها أكراد .

(٩) فى الأصل . « قد خطبها » . وما أثبتناه عن تاريخ الدولة الأتابكية .

ويولّيه الأمر بعد عمّه . وكان الذى حمل العاضدَ على تولية صلاح الدين ضعفُ صلاح الدين، فإنّه ظنّ أنّه إذا ولّى صلاحَ الدين، وليس له عسكر ولا رجال، كان فى ولايته مستضعَفا، يَحْكُم عليه ولا يقدر على المخالفة، وأنّه يضع على العسكر الشامىّ من يَسْتميلهم ، فإذا صار معه البعضُ أخرج الباقين، وتعود البلاد إليه، وعنده من العساكر المُكَّامِيّة[(1)] مَن يَحْميها من الفرنج ونور الدين . والقصّة مشهورة "أردتُ عَمْرا وأراد الله خارجة" . فامتنع صلاحُ الدين وضعُفت نفسه عن هذا المُقام[(2)] ، فألزمه العاضد وأخذ كارها؛ إنّ الله لَيَعْجب من قوم يُقادون إلى الجنّة بالسلاسل .

فلمّا حضر فى القصر خلع عليه خِلْعة الوزارة : الجُبّة والعِمامة وغيرهما، ولقّب بالملك الناصر، وعاد إلى دار عمّه أسد الدين شِيرِكُوه وأقام بها، ولم يلتفت إليه أحد من أولئك الأمراء الذين يريدون الأمر لأنفسهم ولا خَدموه . وكان الفقيه ضِيَاء الدين عيسى الهَكّارىّ معه، فسعى مع سيف الدين علىّ بن أحمد حتّى أماله إليه، وقال له : إنّ هذا الأمر لا يصل إليك مع وجود عين الدولة والحارمىّ وآبن تليل ، فمال إلى صلاح الدين . ثم قصد شهابَ الدين الحارمىّ، وقال له : إنّ هذا صلاحُ الدين هو آبن أختك ومُلْكه[(3)] لك ، وقد آستقام له الأمر فلا تكن أوّل من يسعى فى إخراجه عنه [ولا يصل إليك][(4)]، ولم يزل به حتى أحضره أيضا عنده وحلّفه له . ثم عدل إلى قطب الدين وقال له : إنّ صلاح الدين قد أطاعه الناس ولم يبق غيرك وغيرُ اليَارُوقىّ ، وعلى كلّ حال فيَجْمع بينك وبين صلاح الدين أنّ أصله من الأكراد، ووعده وزاد فى إقطاعه[(5)] فأطاع صلاحَ الدين . ثم عدل إلى عين الدولة

(١) فى تاريخ الدولة الأتابكية لابن الأثير «الشامية» . وما أثبتناه عن ابن خلكان وتاريخ الدولة الأتابكية .
(٢) فى الأصل : «عن القيام» . وما أثبتناه عن ابن خلكان وتاريخ الدولة الأتابكية .
(٣) فى الأصل : «وملكه له» .
(٤) الزيادة عن ابن خلكان .
(٥) فى الأصل : «وزاد فى إعطائه» . وما أثبتناه عن ابن خلكان وتاريخ الدولة الأتابكية .

اليَارُوقىّ ، وكان أكبرَ الجماعة وأكثرهم جمعاً، فآجتمع به فلم ينفع فيه رُقَاه ولا نَفذ فيه سحرُه، وقال : "أنا لا أخدُم يوسف أبدا! وعاد إلى نور الدين محمود ومعه غيره، فأنكر عليهم نور الدين فراقه[1]، وقد فات الأمر ، ليقضى الله أمرا كان مفعولا . وثبتتْ قدمُ صلاح الدين ورَسَخ ملكه ، وهو نائب عن الملك العادل نور الدين، والخطبة لنور الدين فى البلاد كلّها ، ولا يتصرّفون إلّا عن أمره . وكان نور الدين يكاتب صلاح الدين بالأمير الإسْفَهْسَالار[2] ، ويكتب علامته فى الكتب تعظيما أن يكتُب آسمَه ، وكان لا يُفْرده بمكاتبة، بل يكتب الأمير الإسفهسالار صلاح الدين ، وكافّةَ الأمراء بالديار المصريّة يفعلون كذا وكذا . وآستمال صلاحُ الدين قلوبَ الناس وبَذَل الأموال ممّا كان أسد الدين قد جمعه، فمال الناس إليه وأحبُّوه، وقوِيتْ نفسه على القيام بهذا الأمر والثبات فيه؛ وضعُف أمر العاضد، وكان العاضد كالباحث عن حتفه بِظِلْفه » .

قال آبن الأثير فى تاريخه الكبير : قد آعتبرتُ التواريخ فرأيت كثيرا من التواريخ الإسلاميّة، ورأيت كثيرا ممّن يبتدئ الملك تنتقل الدولة عن صلبه إلى بعض أهله وأقاربه : منهم فى أوّل الإسلام معاوية بن أبى سُفْيان، أوّل من ملك من أهل بيته، تنقّل الملكُ عن أعقابه إلى بنى مَرْوان من بنى عمّه. ثم من بعده السفّاح أوّل من ملك من ملوك بنى العبّاس، آنتقل الملك عن أعقابه إلى أخيه أبى جعفر المنصور. ثم السامانيّة أوّل مَن ملك منهم نصر بن أحمد فآنتقل الملك عنه إلى أخيه إسماعيل بن أحمد وأعقابه . ثم يعقوب الصّفّار أوّل مَن ملك من أهل بيته فآنتقل الملك عنه إلى أخيه عمرو وأعقابه . ثم عِماد الدولة بن بُوَيه أوّل مَن ملك

(١) كذا فى ابن خلكان وتاريخ الدولة الأتابكية . وفى الأصل « ... فراقه لصلاح الدين » .
(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٨١ من الجزء الرابع من هذه الطبعة .

من أهل بيتــه ثم آنتقل الملك عنــه إلى أخويه : ركن الدولة ومعزّ الدولة . ثم السّلْجوقيّة أوّلُ مَن ملك منهم طُغْرُلْبَك . ثم آنتقل الملك إلى أولاد أخيه داود . ثم هذا شِيرِكُوه كما ذكرنا آنتقل الملك عنــه إلى ولد أخيه نَجْم الدين أيّوب . ولولا خوف الإطالة لذكرنا أكثر من هذا . والذى أظنّه السببَ فى ذلك أن الذى يكوّن أوّل دولة يُكثِر القتــل، فيأخذ المُلْكَ وقلوبُ من كان فيه متعلّقة به ؛ فلهــذا يحرم الله تعالى أعقابه ويفعل ذلك لأجلهم عقوبةً [له] (1) . انتهى .

قلت : وما ذكره آبن الأثير من آنتقال المُلْك من عَقِب مَن يلى الملكَ أوّلا إلى أقاربه ، هو بعكس ما وقع لخلفاء مصر بنى عُبَيــد ، فإنّه لم يَلِ الخلافةَ منهــم أحدٌ بعــد أخيه من أوّلهم المُعِزّ إلى آخرهم العاضِــد . قلت : ونادرة أخرى وقعت لخليفة زماننا هــذا ، فإنّه خامسُ أخ وَلِى الخلافةَ بعد إخوته ، وهو أمير المؤمنين المستنجد بالله يوسف (2) ، وهم خمسة إخوة من أولاد المتوكّل (3) ، كلّ منهم وَلِى الخلافة : وأوّلهم المستعين (4) بالله العباسىّ ، الذى تسلطن بعد خلع الملك الناصر فرج بن برقوق ، فى سنة خمس عشرة [وثمانمائة] (6) ؛ ثم من بعده المعتضد (5) داود ؛ ثمّ من بعده المستكفى سليمان ؛ ثم من بعده القائم (7) حمزة ؛ ثم يوسف هذا خليفة زماننا .

(1) الزيادة عن ابن خلكان . (2) هو أمير المؤمنين المستنجد بالله أبو المظفر يوسف ابن المتوكل على بن سليمان الهاشمى العباسى . توفى فى المحرم سنة ٨٨٥ هـ (عن شذرات الذهب) .

(3) هو أمير المؤمنين المتوكل على الله أبو عبد الله محمد ابن الخليفة المعتضد بالله أبى بكر ابن الخليفة المستكفى بالله سليمان ابن الحاكم بأمر الله أحمد الهاشمى العباسى المصرى . وسيذكر المؤلف وفاته سنة ٨٠٨ هـ .

(4) هو أمير المؤمنين المستعين بالله أبو الفضل العباسى ابن المتوكل . وسيذكر المؤلف وفاته بالطاعون سنة ٨٣٣ هـ . (5) هو أمير المؤمنين المعتضد بالله أبو الفتح داود بن المتوكل على الله أبى عبد الله محمد . وسيذكر المؤلف وفاته سنة ٨٤٥ هـ . (6) هو الخليفة أمير المؤمنين المستكفى بالله أبو الربيع سليمان ابن الخليفة المتوكل على الله أبى عبد الله محمد . وسيذكر المؤلف وفاته سنة ٨٥٥ هـ .

(7) هو الخليفة أمير المؤمنين القائم بأمر الله أبو البقاء حمزة بن المتوكل على الله . وسيذكر المؤلف وفاته سنة ٨٦٢ هـ .

وأكثرُ مَن ولى من بنى أميّة أربعةٌ من أولاد عبد الملك بن مَرْوان : وهم الوليد وسليمان ويَزيد وهشام، قيل : إنّ عبد الملك رأى فى نومه أنّه بال فى محراب النبىّ صلّى الله عليـه وسلّم أربع بولات ، فأوّلَه المعبِّرون بأنّه يلى الخلافة من ولده لصلْبه أربعة، فكان كذلك . وأمّا ثلاثة الإخوة : فالأمين محمد والمأمون عبد الله والمعتصم محمد أولاد الرشيد هارون . ثم وقع ذلك أيضا لبنى العبّاس فى أولاد المتوكّل جعفر، ولى من أولاده ثلاثة : المنتصر والمعتزّ والمعتمد . ثمّ وقع ذلك أيضا للمعتضد ولى من أولاده ثلاثة : وهم المكتفى[1] علىّ والمقتدر جعفر والقاهر محمد . ثم وقع ذلك للمقتدر جعفر ولى من أولاده ثلاثة : الراضى والمتّقى والمطيع . ونادرة أخرى ، قيل : إنّ المستنجد بن المقتفى رأى فى حياة والده فى منامه كأنّ مَلَكا نزل من السماء فكتب فى كفّه أربع خاءات معجمات ، فعبّروه أنّه يلى الخلافة سنة خمس وخمسين وخمسمائة فكان كذلك . وقد خرجنا عن المقصود، ونعود إلى ذكر صلاح الدين .

ثم ذكر آبن الأثير شيئا عن أحوال صلاح الدين إلى أن قال : وتُوفّى العاضد وجلس صلاح الدين للعزاء ، وآستولى على قصره وجميع ما فيه؛ فكان قد رتّب فيه قبل وفاة العاضد بهاء الدين قَرَاقُوش، وهو خَصىّ يحفظه، فحفظ مافيه حتّى تسلّمه صلاح الدين، ونقل صلاح الدين أهله إلى مكان مفرد، ووكّل بهم مَن يحفظهم، وجعل أولاده وعُمومته وأبناءه فى إيوان بالقصر، وأخرج مَن كان فيـه من العَبيد والإماء ، فأعتق البعضَ ووهب البعض وأخلى القصر من سكّانه وأهله . فسبحان من لا يزول ملكه ! قال : ولمّـا آستولى صلاح الدين على القصر وأمواله وذخائره آختار منه ما أراد ، ووهب أهـلَه وأمراءَه، وباع منه كثيرا ، وكان فيه من

(١) فى الأصـل : «المقتفى» . والتصويب عما تقدم ذكره للؤلف فى الكلام على خلافة المكتفى سنة ٢٨٩ ﻫ فى الجزء الثالث من هذه الطبعة ص ١٢٧

الجواهر النفيسة ما لم يكن عنـد ملك من الملوك . قال آبن الأثير[1] : ولمـّا وصل الخبر إلى الإمام المستضيء بأمر الله أبي محمد الحسن بن الإمام المستنجد، وهو والد الإمام الناصر لدين الله، بمـا تجدّد من أمر مصر، وعوْد الخطبة والسكّة بها بآسمه بعد آنقطاعها بمصر هذه المدّة الطويلة عمِل أبو الفتح محمد سِبْط [آبن][2] التعاويذيّ قصيدةً طنّانة[3] مدح بها المستضيء، وذكر هذا الفتوح المتجدِّد له، وفتوح بلاد اليمن، وهلاك الخارجيّ بها الذي سمّى نفسه المهديّ[4] . نذكر في آخر ترجمته أمر القصيدة التي نظمها آبن التّعاويذيّ من كلام آبن خلّكان وغيرها إن شاء الله تعـالى . وكان صلاح الدين قد أرسل له من ذخائر مصر وأسلاب المصريّين شيئا كثيرا .

ثم ذكر آبنُ الأثير فصلًا في سنة سبع وستين وخمسمائة يتضمّن حصول الوَحْشة بين نور الدين الشهيد و بين صلاح الدين باطنا، فقال : « في هذه السنة جرت أمور أوجبت تأثّر نور الدين من صلاح الدين، ولم يظهر ذلك . وكان سببه أنّ صلاح الدين سار [عن مصر][5] في صفر منها إلى بلاد الفرنج، ونازل حِصْن الشَّوبَك، و بينـه و بين الكَرَك يوم، وحصَره وضيّق على مَن به من الفرنج، وأدام القتال، وطلبوا

(١) ليس هـذا من كلام ابن الأثير إذ لم نجده في تاريخه الكبير ولا في تاريخ الدولة الأتابكية، وإنما نقله المؤلف عن ابن خلكان . (٢) الزيادة عن ابن خلكان . وهو أبو الفتح محمد بن عبيد الله بن عبد الله الكاتب المعروف بابن التعاويذي الشاعر المشهور، كان أبوه مولى لابن المظفر واسمه نشتكين فسماه والده المذكور عبيد الله وهو سبط أبي محمد المبارك بن المبارك بن علي بن نصر السراج الجوهري الزاهد المعروف بابن التعاويذي . توفي ثاني شوّال سنة أربع، وقيل ثلاث وثمانين وخمسمائة ببغداد (عن ابن خلكان) . وسيذكر المؤلف وفاته سنة ٥٨٣ هـ . (٣) هي قصيدة طويلة ذكر منها ابن خلكان نحو أربعين بيتا، ومطلعها :

قل للسحاب إذا مرته * به يد الجنائب فارجحن

(٤) هو علي بن مهدي أبو الحسن المعروف بعبد النبي صاحب زبيد . كان قطع الخطبة العباسية، وكان ظالما فاتكا، فاستأذن صلاح الدين نور الدين الشهيد في أن يسير إليـه فأذن له، فسير إليه أخاه شمس الدولة توران شاه بن أيوب، فأسره وملك زبيد وأقام فيها الخطبة العباسية . وسيذكر المؤلف هذه الحادثة سنة ٥٦٩ هـ . (٥) الزيادة عن ابن الأثير .

الأمان وآستمهلوه عشرةَ أيّام ، فأجابهـم إلى ذلك . فلمّـا سمع نور الدين ما فعله
صلاح الدين سار من دِمَشْق قاصدًا بلاد الفرنج ليدخل إليها من جهة أخرى ، فقيل
لصلاح الدين : إنْ دخل نور الدين إلى بلاد الفرنج وهم على هـذه الحال — أنت
من جانب ونور الدين من جانب — ملَكها ، ومتى زال ملك الفرنج عن الطريق
لم يبقَ لك بديار مصر مُقام مع نور الدين ؛ ومتى جاء نور الدين إليـك وأنت هاهنا
فلا بدّ لك من الاجتماع به ، وحينئـذ يكون هو المتحكّم فيك [(1)] ، إن شاء تركك
وإن شاء عزلك ، ولا تقدر على الامتناع عليه ؛ وحينئذ المصلحة الرجوع إلى مصر .
فرحَل عن الشُّوبَك عائدًا إلى مصر [ولم يأخذه من الفرنج] [(2)] . وكتب إلى نور الدين
يعتذر بآختلال الديار المصريّة لأمور بلغته عن بعض شِيعة العلويّين ، وأنّهم عازمون
على الوثوب بها ، وأنّه يخاف عليها من البعد عنها أن يقوم أهلها على من تخلّف بها .
فلم يقبـل نور الدين هـذا الاعتذار منه وتغيّر عليـه ، وعزم على الدخول إلى مصر
وإخراجه عنها . وظهر ذلك لصلاح الدين فجمع أهلَه وفيهم أبوه نجم الدين أيّوب ،
وخالُه شهابُ الدين الحارِميّ وسائرُ الأمراء ، وأعلمهم بمـا بلغه من عزم نور الدين
وحركته إليـه ، فآستشارهم فلم يُجبه أحد منهم بكلمة ، فقام تقيّ الدين عمر آبن أخيه
وقال : إذا جاء قاتلناه ومنعناه عن البلاد ، ووافقه غيره من أهله ؛ فشتَمهم نجم الدين
أيّوب وأنكر ذلك وآستعظمه ، وقال لصلاح الدين : أنا أبوك وهذا شهاب الدين
خالك ، ونحن أكثر محبّةً لك من جميع مَن ترى ، والله لو رأيتُ أنا وخالُك نورَ الدين
لم يمكنّا إلّا أن نقبِّل الأرضَ بين يديه ، ولو أمَرَنا أن نضرب عنقَك لفعلنا ، فإذا كنّا
نحن هكذا فمـا ظنّك بغيرنا ! وكلّ مَن ترى من الأمراء لو رأى نورَ الدين وحدَه لم
يتجاسروا على الثبات على سُروجهم . ثم قال : وهذه البلاد له ، ونحن مماليكه ونوابه فيها ،

(1) في الأصل : «فيه» . وما أثبتناه عن آبن الأثير . (2) الزيادة عن ابن الأثير .

فإن اراد غيرَ ذلك سمِعْنا وأطعنا؛ والرأى أن تكتب إليـه وتقول : بلغنى أنّك تريد الحركة لأجل البلاد، وأىّ حاجة إلى هذا! يُرسِل المولى نجّابا يضعُ فى رقبتى مِنْدِيلا ويأخذنى إليك، فما هاهنا من يمتنع عليك ، وقام الأمراءُ وتفرّقوا . فلمّا خلا نجم الدين أيّوب بآبنـه صلاح الدين قال له : يا بنىّ ، بأىّ عقل قلتَ هـذا ! أَمَا علمت أنّ نورالدين متى سمع عزمَنا على منعه ومحاربته جعلَنا أهمَّ الوجوه عنده؛ وحينئذٍ لانَقْوَى به؛ وإذا بلغه طاعتُنا له تَرَكَنا وآشتغل بغيرنا ، والأقدارُ تَعْمل عملها؛ واللهِ لو أراد نورُ الدين قصبةً من قصب السُّكّر لقاتلتُه أنا عليها حتى أمنعه أو أقتل. ففعل صلاح الدين ما أشار به والدُه عليه؛ فترك نورُ الدين قصدَه وآشتغل بغيره؛ فكان الأمر كما ظنّه أيُّوب. وتُوُفِّىَ نورالدين ولم يقصِدْه. وملك صلاحُ الدين البلاد، وكان هذا من أصوب الآراءِ وأحسنها» . إنتهى كلام آبن الأثير بآختصار .

قال آبن شدّاد : «ولم يزل صلاح الدين فى نَشْر الإحسان و إفاضة النعم على الناس إلى سنة ثمان وستّين وخمسمائة ، فعند ذلك خرج بالعسكر يريد بلاد الكَرَك والشُّوبَك، وإنّما بدأ بهـا لأنّها كانت أقرب إليه ، وكانت على الطريق تمنع من يَقْصِد الديار المصريّة، وكان لا يمكن أن تَعْبُر قافلةٌ حتّى يخرج هو بنفسـه يُعَبِّرها ، فأراد توسيع الطريق وتسهيلها ، فحاصرها فى هذه السنة ، وجرى بينه وبين الفرنج وَقَعات ، وعاد إلى مصر ولم يَظْفَر منها بشىء . ولمّا عاد بلغه خبرُ وفاة والده نجم الدين قبل وصوله إليه . قال : ولمّا كانت سـنةُ تسع وستين رأى قوّة عسكره وكثرةَ عَدَده ، وكان بلغه أنّ باليمن إنسانا[1] آستولى عليها وملك حصونَها ، وكان يسمّى عبـد النبىّ ابن مهدىّ ، فأرسل أخاه تُوران شاه فقتـله وأخذ البلاد منـه . ثم مات الملك العادل نور الدين محمـود صاحبُ دِمشق فى سـنة تسع وسـتين وخمسمائة . على

(١) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٢١ من هذا الجزء .

ما سيأتى ذكره فى الوَفَيات . ثم بلغ صلاحَ الدين أنّ إنسانا جمع بأسْوانَ خَلْقا كثيرًا من السودان، وزعم أنّه يعيد الدولةَ العُبَيْدية المصريّة . وكان أهـل مصر يُؤْثِرون عَوْدَهم وآنضاووا إليه، فسيّر صلاحُ الدين إليه جيشا كثيفا وجعل مقدّمه أخاه الملك العادل، فساروا وآلتقَوْا به، وكسروه فى السابع من صفر ســنة سبعين وخمسمائة .

٥ ثم بعد ذلك آســتقرّتْ له قواعدُ الملك . وكانـــ نور الدين محمود قد حلّف ولده الملكَ الصالح إسمـاعيل، وكان بدمشق عند وفاة أبيــه . وكان بحلب شمسُ الدين علىّ بن الدّاية، وكان آبن الداية حدّث نفسَه بأمور، فسار الملك الصالح من دمشق إلى حلب، فوصــل إلى ظاهرها فى المحرّم سنةَ سبعين ومعــه سابق الدين(١)، فخرج بدر الدين حسن(٢) بن الدّاية فقبَض على سابق الدين . ولـمّا دخل الملك الصالح قلعة

١٠ حلب قبض على شمس الدين علىّ بن الداية، وعلى أخيه بدر الدين حسن المذكور، وأودع الثلاثةَ السجن . وفى ذلك اليوم قُتِل أبو الفضل بن الخَشّاب(٣) لفتنة جرتْ [بحلب](٤)، وقيل : بل قُتِل قبل القبض على أولاد الدّاية .

ثم إنّ صلاح الدين بعد وفاة نور الدين علم أنّ ولدَه الملك الصالح صبىّ لا يستقلّ بالأمر، ولا يَنْهَض بأعباء الملك، وآختلفت الأحوالُ بالشام . وكاتب شمسُ الدين

١٥ [محمد بن عبد الملك](٥) بن المقدّم صلاحَ الدين، فتجهّز صلاحُ الدين من مصر فى جيش كثيف، وترك بالقـاهرة مَن يحفظها، وقصــد دمشق مظهِرًا أنّه يتولى مصالح الملك الصالح، فدخلها بالتسليم فى يوم الثـلاثاء سَلْخَ شهر ربيع الآخر ســنة سبعين وخمسمائة، وتسلّم قلعتَها وآجتمع الناسُ إليــه وفرحوا به، وأنفق فى ذلك اليوم مالًا

(١) هو سابق الدين عثمان بن الداية صاحب قلعة جعبر وتل باشر . (عن الروضتين) .

٢٠ (٢) هو صاحب حارم وعين تاب وإعزاز (عن الروضتين) . (٣) كان رئيس قلعــة حلب (عن ابن الأثير) . (٤) زيادة عن السيرة وابن خلكان . (٥) زيادة عن الروضتين وابن الأثير . وهو الأمير الذى تولى تربية الملك الصالح إسماعيل بعد وفاة والده نور الدين .

جزيلا ، وأظهر السرورَ بالدِّمَشْقيِّين وصعِد القلعةَ؛ ثم سار إلى حلَب ونازل حِمْص وأخذ مدينتَها فى أوّل جمادى الأولى، ولم يشتغل بقلعتها وتوجّه إلى حلب، ونازلها فى يوم الجمعة سَلْخَ جمادَى الأولى من السنة، وهى الوقعة الأولى .

ثم إنّ سيف الدين غازى بن قطب الدين مَوْدود بن زَنْكى صاحب الموصل لمّا أحسّ بما جرى علم أنّ الرجل قد آستفحل أمرُه وعظُم شأنه، فخاف إن غَفَل عنه آستحْوَذ على البلاد وآستقرّت قَدَمُه فى المُلْك وتعدّى الأمر إليه، فأرسل عسكرا وافرا ، وجيشا عظيما، وقدّم عليه أخاه عزّ الدين مسعود بن قُطْب الدين مودود، وساروا يريدون لقاءَ صلاح الدين نَجْدةً لآبن عمّه الملك الصالح آبن نور الدين، ليردّوا صلاحَ الدين عن البلاد. فلمّا علم صلاح الدين ذلك رحل من حلب فى مستهلّ رجب من السنة عائدًا إلى حَمَاة، ثم رجع إلى حِمْص وأخذ قلعتَها . و وصل عزّ الدين مسعود إلى حلب وأخذ معه عسكرآبن عمّه الملك الصالح إسماعيل بن نور الدين محمود، وهو صاحب حلب يومئذ، وخرجوا فى جمع عظيم؛ وما علم صلاح الدين بخروجهم حتّى وافاهم على قُرونِ حماة، فراسلهم وراسلوه، وآجتهد صلاح الدين على أن يصالحوه فلم يصالحوه؛ ورَأى أن ضرب المَصَافّ معهم ربّما نالوا به غرضهم، والقضاءُ يَجْرى إلى أموره وهم لا يشعرون، فتلاقَوْا فقضى الله تعالى أنهم آنكسروا بين يديه، وأَسَر جماعةً منهم فَمَنّ عليهم وأطلقهم ، وذلك فى تاسع عشر شهر رمضان من السنة عند قُرون حَمَاة. ثم سار صلاحُ الدين عَقِيبَ آنكسارهم (١) ونزل على حلب، وهى الدفعة الثانية فصالحوه على المَعَرّة وكَفَرْطَاب وبَارِين (٢) . ولمّا جرتْ هذه الواقعةُ كان سيف الدين غازى محاصرا أخاه عمادالدين زَنْكى صاحب سِنْجار، وعزم على أخذها

(١) فى الأصل : «عقيب عسكرهم» . وما أثبتناه عن السيرة وآبن خلكان .

(٢) بارين : مدينة حسنة بين حلب وحماة من جهة الغرب (عن معجم البلدان لياقوت) .

منه، لأنّه كان قد ٱنتمى إلى صلاح الدين، وكان قد قارب أخذَها، فلمّا بلغه خبرُ هـذه الواقعة ، وأنّ عسكره ٱنكسر من صلاح الدين على قُرون حَمَاة خاف أن يبلغ أخاه عمادَ الدين الخبرُ فيشتدّ أمرُه ويَقْوَى جأشُه، فراسله وصالحه . ثم سار غازى من وقته إلى نَصِيبِين وٱهتمّ بجمع العساكر والإنفاق فيها، وسار إلى الفُرَات وعبَرَ البِيرة (١) وخيّم على الجانب الشامىّ، وراسل ٱبن عمّه الملك الصالح ٱبن الملك العادل نورالدين صاحب حلب حتّى تستقرّ له قاعدة يصل إليها. ثم إنّه وصل إلى حلب وخرج ٱبنُ عمّه الملك الصالح صاحب حلب إلى لقائه، وأقام غازى على حلب مدّة، وصـعد قلعتَها جريدةً، ثم نزل وسار إلى تلّ السلطان، وهى منزلة بين حلب وحَمَاة ومعه جمع كبير. وأرسل صلاحُ الدين إلى مصر وطلبَ عسكرَها، فوصل إليه منها جمع كبير، فسار بهم صلاحُ الدين حتّى نزل قُرون حَمَاة ثانيا، وتصافّوا بكْرَةَ يوم الخميس العاشر من شوّال سـنة إحدى وسبعين وخمسمائة، وجرى قتالٌ عظيم ، وٱنكسرتْ مَيْسَرة صلاح الدين من مظفَّر الدين بن زَيْن الدين صاحب إرْبِل؛ لإنّه كان على مَيْمنة سيف الدين غازى، فحَمَـل صلاحُ الدين بنفسه على عسكر سيف الدين غازى حَمْلةً شديدة فٱنكسر القوم، وأَسَر منهم جماعةً من كبار الأمراء، فمَنّ عليهم صلاح الدين وأطلقهم . وعاد سيف الدّين غازى إلى حلب فأخذ منها خزائنه وسار حتّى عَبَرَ الفراتَ، وترك ٱبنَ عمّه الملكَ الصالحَ صاحبَ حلب بها وعاد إلى بلاده . ومنع صلاحُ الدين من تتبّع القوم ، ونزل فى بقيّـة اليوم فى خيامهم، فإنّهـم تركوا أثقالهم وٱنهزموا؛ وفرّق صـلاحُ الدين الأطلابَ ووهَب الخزائنَ وأعطى خَيْمة سيف الدين غازى لابن أخيـه عزّ الدين فرخشاه بن شاهِنْشَاه بن أيّوب أخى تقىّ الدين عمر صاحبِ

(١) البيرة . بلد قرب سميساط بين حلب والثغور الرومية، وهى قلعة حصينة ولها رستاق واسع (عن معجم البلدان لياقوت) .

حَمَاة ، وكان فرخشاه صاحب بَعْلَبَكّ . ثم سار صلاحُ الدين إلى مَنْبِج[1] فتسلّمها ، ثم سار إلى قلعة عَزَاز[2] وحاصرها فى رابع ذى القعدة سنة إحدى وسبعين وخمسمائة . و بينما صلاحُ الدين بها وثب عليه جماعةٌ من الإسماعيليّة (أعنى الفداوية) فنجّاه الله منهم وظفِر بهم . وأقام عليها حتّى أخذها فى رابع عشر ذى الحجّة من السنة . ثم سار فنزل على حلب فى سادس عشر ذى الحجّة وأقام عليها مدّة . ثم رحل عنها بعد أن أخرجوا له آبنةً صغيرةً لنور الدين محمود فسألته عَزَازَ فوهبها لها . ثم عاد صلاحُ الدين إلى مصر ليتفقّد أحوالها، وكان مسيره إليها فى شهر ربيع الأوّل سنة آثنتين وسبعين وخمسمائة؛ وكان أخوه شمس الدولة تُوران شاه بن أيّوب قد وصل إليه من اليمن فاستخلفه بدِمَشق . ثم بعد ذلك تأهّب صلاح الدين للغَزَاة وخرج يطلب الساحل حتى وافى الفرنجَ على الرَّمْلة، وذلك فى أوائل جمادَى الأولى سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة، وكانت الكسرة على المسلمين فى ذلك الوقت، ولمّا آنهزموا لم يكن لهم حصن قريب يَأْوُون إليه، فطلبوا جهةَ الديار المصريّة وضَلّوا فى الطريق وتبدّدوا، وأُسِر منهم جماعة : منهم الفقيه عيسى الهَكّارِىّ، وكان ذلك وهْنا عظيما، جبَره الله تعالى بوقعة حِطّين المشهورة .

ووصل صلاح الدين إلى مصر ولمّ شَعَثَه وشعثَ أصحابه من أثر كَسْرة الرَّمْلة[3] ثم بلغه تخبُّط الشام فعاد إليه وآهتمّ بالغَزَاة ، فوصله رسولُ صاحب الروم يلتمس الصلح و يتضرّر من الأرمن ، يقصد بلاد آبن لاون[4] (يعنى بلادسيس الفاصلة بين حلب والروم من جهة الساحل) ؛ فتوجّه صلاحُ الدين إليه، وآستدعى عسكر

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٩٧ من الجزء الثالث من هذه الطبعة . (٢) عزاز (و ربما قيلت بالألف فى أوّلها) : بليدة فيها قلعة ولها رستاق شمالى حلب، بينهما يوم (عن معجم البلدان لياقوت).
(٣) صححنا هذه الجملة عن ابن خلكان . وهى محرّفة فى الأصل .
(٤) فى الأصل : « ابن لاوى » والتصحيح عن ابن خلكان والسيرة .

حَلَب، لأنّه كان فى الصلح متى آستدعاه حضر إليه؛ (يعنى صلح صلاح الدين مع الملك الصالح صاحب حلب) . ثم دخل صـلاحُ الدين بلادَ آبن لاون وأخذ فى طريقه حصنا وأخربه، ورغبوا إليه فى الصلح فصالحهم ورجع عنهم . ثم سأله قليج أَرْسلان [صاحب الروم](١) فى صلح الشرقيّين بأسرهم (يعنى سيفَ الدين غازى وإخوتَه) فأجاب
٥ ذلك صلاح الدين وحلف فى عاشر جمـادَى الأولى سـنة ستّ وسبعين وخمسمائة، ودخل فى الصلح قليج أَرْسـلان والمَوَاصِلةُ . ثم عاد صلاح الدين بعد تمـام الصلح إلى دِمشق؛ ثم منها إلى مصر، فورد عليه الخبرُ بموت الملك الصالح آبن الملك العادل نور الدين محمود الشهيد بعد أن آستحلَف أمراءَ حَلَب وأجنادَها قبل موته لآبن عمّه عزّ الدين مسعود صاحب المَوْصِـل، وهو آبن عم قطب الدين مودود . ولـمّـا بلغ
١٠ عزّ الدين مسعودا خبرُ موت آبن عمّه الملك الصالح المذكور، وأنّه أوصى له بحلب بادر إلى التوجّه إليها خوفاً أن يسبقه صلاحُ الدين إليها فأخذها . وكان أوّل قادم إليها مظفّر الدين بن زَيْن الدين صاحب إِرْبِل، وكان إذ ذاك صاحب حَرّان، وهو مضاف إلى الموصل، ووصلها مظفّر الدين المذكور فى ثالث شعبان من سنة سبع وسبعين . وفى العشرين منه وصلها عزّ الدين مسعود وطلع إلى القلعة وآستولى على ما فيها من
١٥ الحواصل، وتزوّج بأم الملك الصالح فى الخـامس من شوّال من السـنة . قال : وحاصل الأمر أنّ عزّ الدين مسعودًا قايض عِماد الدين زَنْكى صاحب سِنْجار عن حلب بسِنْجار، وخرج عزّ الدين من حلب ودخلها عِمـاد الدين زَنْكى ، فلـمّـا بلغ صلاحَ الدين ذلك توجّه إليه وحاصره فلم يقدر عماد الدين على حفظ حلب، وكان نزول صلاح الدين على حلب فى السادس والعشرين من المحرّم سنة سبع وسبعين
٢٠ وخمسمائة . فتحدّث عماد الدين زَنْكى مع الأمير حُسام الدين طُمَان بن غازى فى السرّ

(١) الزيادة عن ابن خلكان

عما يفعله ، فأشار عليه أن يطلب من صلاح الدين بلادا وينزل له عن حلب ، بشرط
أن يكون له جميع ما فى القلعة من الأموال ، فقال له عماد الدين : وهذا كان فى نفسى .
ثم آجتمع حسام الدين طمان بن غازى مع صلاح الدين فى السرّ على تقرير القاعدة
لذلك ، فأجابه صلاح الدين إلى ماطلب ووقّع له بسنجار وخابور ونَصيبين وسَرُوج ،
ووقّع لطُمَانَ المذكور بالرّقة لسفارته بينهما ، وحلف صلاح الدين على ذلك فى سابع[1]   ٥
صفر من السنة ؛ وكان صلاح الدين قد نزل قبل تاريخه على سِنْجار[2] وأخذها فى ثانى
شهر رمضان من سنة ثمان وسبعين وأعطاها لابن أخيه تقىّ الدين عمر ؛ فلمّا جرى
الصلح على هذا أخذها من عمر وأعطاها لعماد الدين المذكور . وتسلّم صلاحُ الدين
قلعة حلب وصعد إليها فى يوم الآثنين السابع والعشرين من صفر [سنة[3] تسع وسبعين
وخمسمائة] ، وأقام بها حتّى رتّب أمورها ثم رحل عنها فى الثانى والعشرين من شهر   ١٠
ربيع الآخر من السنة ، وجعل فيها ولده الملك الظاهر وكان صبيّا ، وولّى القلعة
لسيف الدين يازكوج[4] الأَسَدىّ وجعله يرتّب مصالح ولده .

ثم سار صلاح الدين إلى دمشق وتوجّه من دمشق لقصد محاصرة الكَرَك
فى الثالث من رجب من السنة ، وسيّر إلى أخيه الملك العادل وهو بمصر ، يستدعيه
ليجتمع به على الكَرَك ، فسار إليه الملك العادل أبو بكر بجمع عظيم وجيش كبير ،   ١٥
وآجتمع به على الكَرَك فى رابع شعبان . فلمّا بلغ الفرنجَ نزولُه على الكَرَك حشدوا
خلقا عظيما وجاءوا إلى الكَرَك ليكونوا من خارج قُبَالَةَ عسكر المسلمين ، فخاف[5]
صلاح الدين على الديار المصريّة ، فسيّر إليها آبن أخيه تقىّ الدين عمر ، ثم تزحزح

---

(١) فى ابن خلكان : «فى سابع عشر صفر من السنة» . (٢) فى ابن خلكان «فى ثامن» .
(٣) الزيادة عن ابن خلكان . (٤) كذا فى الأصل وابن خلكان والروضتين .   ٢٠
وفى السيرة : «يازكج» . (٥) فى الأصل : «ثم رحل» . وما أثبتناه عن السيرة .

صلاح الدين عن الكَرَك فى سادس عشر شعبان من السنة (وآستصحب أخاه الملك العادل معه ودخل دمشق فى الرابع والعشرين من شعبان من السنة ، وأعطى أخاه العادل حلب ، فتوجّه إليها العادل ودخلها يوم الجمعة الثانى والعشرين من شهر رمضان من السـنة . وخرج الملك الظاهر ويازكوج من حلب ودخلا دمشـق يوم الآثنين الثامن والعشرين من شوّال من السـنة . وكان الملك الطـاهر أحب أولاد أبيـه إليه لمـا فيـه من الخلال الحميـدة ، ولم يأخذ منـه حلب إلّا لمصلحة رآها أبوه صلاح الدين فى ذلك الوقت . وقيل : إنّ الملك العادل أعطاه على أخذ حلب ثلثمائة ألف دينار يستعين بها على الجهاد . ثم إنّ صلاح الدين رأى أنّ عَوْد الملك العادل إلى مصر، وعود الملك الظاهر إلى حلب أصلح . قيل : إنّ علم الدين سليمان بن حَيْدَر[1] كان هو السبب لذلك، وإنّه قال لصلاح الدين ، وكانت بينهما مؤانسة قبل أن يتملّك البلاد ، وقد سايره يوما ، وكان من أمراء حلب ، والملك العادل لا يُنصفه ، وقدّم عليه غيره، وكان صلاح الدين قد مرض على حصار الموصل ، وحُمِل الى حَرّان وأشفى على الهلاك، ولمّـا عُوفِىَ ورجع إلى الشام وآجتمعا فى المسير، قال له . وكان صلاح الدين قـد أوْصى لكلّ واحد من أولاده بشىء من البـلاد — : بأىّ رأي كنتَ تظنّ أنّ وصيّتك تنفذ ! كأنّك كنت خارجا إلى الصيد ثم تعود فلا يخالفونك ! أما تستحى [أن][2] يكون الطائر أهْدى منك إلى المصلحة ! قال صلاح الدين : وكيف ذلك؟ وهو يضحك، قال : إذا أراد الطائر أن يعمل عُشّا لفراخه قصدَ أعالىَ الشجر ليَحْمِى فراخَه، وأنت سلّمت الحصون إلى أهلك وجعلت أولادك على الأرض، هـذه حلب — وهى أمّ البلاد — بيـد أخيك ،

(١) فى الأصل : «ابن حيدر» . وما أثبتناه عن ابن الأثير والروضتين والفتح القسى وعقد الجمان.
(٢) التكملة عن ابن خلكان .

وحَمَاة بيد آبن أخيك[١]، وحِمص بيد آبن عمك أسد الدين ، وآبنك الأفضل مع تقيّ الدين بمصر يُخرجه متى شاء، وآبنك الآخر مع أخيك في خيمة يفعل به ما أراد؛ فقال له صلاح الدين : صدقتَ ، فآكتُم هذا الأمر؛ ثم أخذ حلب من أخيه العادل وأعادها إلى آبنه الملك الظاهر ، وأعطى العادل بعد ذلك حَرّان والرُّها وميّافارقين ليخرجه من الشام. وفرّق الشام على أولاده ، فكان ما كان . وزوّج السلطان ٥ صلاحُ الدين ولدَه الملك الظاهر بغازِية خاتون آبنة أخيه الملك العادل المذكور .

ثم كانت وقعة حِطِّين المباركة على المسلمين ، وكانت في يوم السبت رابع عشر شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة في وسط نهار الجمعة. وكان صلاح الدين كثيرا ما يقصد لقاء العدوّ في يوم الجمعة عند الصلاة تبرّكا بدعاء المسلمين والخطباء على المنابر، فسار في ذلك الوقت وآجتمع له من العساكر الإسلاميّة عدد ١٠ يفوت الحَصر، وكان قد بلغه أنّ العدوّ آجتمع في عِدّة كثيرة بمَرْج صَفُّورِيَة[٢] بأرض عَكّا عند ما بلغهم آجتماعُ العساكر الإسلامية ، فسار صلاح الدين ونزل على طَبَرِيّة[٣] على سطح الجبل ينتظر قَصْد الفرنج، فلمّا بلغهم نزولُه في الموضع المذكور لم يتحرّكوا ولا خرجوا من منزلتهم ، وكان نزولهم في الموضع المذكور يومَ الأربعاء الحادي والعشرين من شهر ربيع الآخر، فلمّا رآهم لا يتحرّكون ترك جَرِيدةً على طَبَرِيّة، ١٥ وترك الأطلاب على حالها قُبالة العدوّ، ونزل طبريّةَ وهَجمها وأخذها في ساعة واحدة ، وآنتهب الناس ما فيها، وأخذوا في القتل والسَّبي والحريق، وبقيت القلعة ممتنعةً

(١) كذا في ابن خلكان. وفي الأصل : « بيد ابن أخيك تقي الدين عمر ». ومعروف مما تقدم أن تقي الدين كان بمصر مع ولده الأفضل . (٢) في الأصل . . « بمرج صفر ». وما أثبتناه عن ابن خلكان والسيرة وابن الأثير. (٣) طبرية : بليدة مطلّة على البحيرة المعروفة ببحيرة طبرية ، ٢٠ وهي في طرف جبل ، وجبل الطور مطل عليها ، وهي من أعمال الأردن في طرف الغور، بينها وبين دمشق ثلاثة أيام ، وكذلك بينها وبين بيت المقدس ، وبينها وبين عكا يومان (عن معجم البلدان لياقوت) .

بمَن فيها. ولمّا بلغ العدوّ ماجرى فى طبريّة قَلِقوا لذلك ورحّلوا نحوها، فبلغ السلطانَ صلاحَ الدين ذلك فترك على طبريّة مَن يحاصرها ولحِق بالعسكر، وآلتقى بالعدوّ على سطح جبل طبريّة الغربىّ منها، وذلك فى يوم الخميس الثانى والعشرين من شهر ربيع الآخر، فحال الليل بين العسكرين[1]، فناما على المَصَافّ إلى بُكْرة يوم الجمعة الثالث والعشرين منه، فركب العسكران وتصادما وآلتحم القتالُ وآشتدّ الأمر؛ ودام القتال حتّى لم يبق إلّا الظَّفَر، فحال الليل بينهم، وناما على المَصَافّ، وتحقّق المسلمون أنّ من ورائهم الأُرْدُنَّ، ومن بين أيديهم بلاد العدوّ، وأنّهم لا يُنجيهم إلّا القتال والجهاد، وأصبحوا من الغد فحمَلت أطلابُ المسلمين من جميع الجوانب، وحَمل القلبُ وصاحوا صيحةَ رجل واحد: [آلله أكبر][2] وألقى الله الرُّعْبَ فى قلوب الكافرين، وكان حقًّا عليه نصرُ المؤمنين.

ولمّا أحسّ الملك القُومِص بالخذلان هرب فى أوائل الأمر، فتبعه جماعة من المسلمين، فنجا منهم، وأحاط المسلمون بالكافرين من كلّ جانب، وأطلقوا عليهم السهام، وحَمَلوا عليهم بالسيوف، وسَقَوْهم كأسَ الْحِمام، وآنهزمتْ طائفة منهم فتبِعهم المسلمون يقتلونهم، وآعتصمت طائفة منهم بتَلّ يقال [له][3]: تلّ حِطِّين، وهى قرية عندها قبر النبىّ شعيب عليه السلام، فضايقهم المسلمون وأشعلوا حولهم النيران، وآشتدّ بهم العَطَش فآستسلموا [للأسر خوفًا من][4] القتل، فأُسِر مقدّمُهم، وقُتِل الباقون، وكان ممّن أُسِر من مقدميهم الملك جُفْرِى وأخوه الملك، [والْبِرِنس[5] أرناط] صاحب الكرك والشوبك، وآبن الهُنْفَرِى وآبن صاحب طبريّة.

(١) فى الأصل: «فحال الليل بين العساكر». وما أثبتناه عن آبن خلكان.
(٢) التكملة عن ابن خلكان. (٣) زيادة عن ابن خلكان. (٤) التكملة والتصحيح عن ابن خلكان والسيرة والروضتين. (٥) التكملة عن السيرة وابن خلكان والفتح القسّى.

قال ابن شدّاد : لقد حكى لى مَن أَثِق به أنّه رأى بحَوْران[(1)] شخصًا واحدًا ومعه نيّف وثلاثون أسيرًا ربطهم بطُنُب خَيْمة، لِمَا وقع عليهم من الخذلان؛ ثم إنّ الملك القُومِص الذى هرب فى أوّل الوقعة وصل إلى طَرَابُلُس، وأصابه ذات الجَنب فهلك . وأمّا مقدّم الأَسْبِتار[(2)] والدَّيْوِيّة[(3)] فإنّه قتلهما السلطان صلاح الدين، وقَتَل مَن بقى من أصحابهما حيًّا، وأمّا البِرِنْس أرناط فإنّ السلطان كان نَذَر أنّه إن ظَفِر به قتله، وذلك أنّه كان عَبَر إليه بالشَّوبَك قوم من الديار المصريّة فى حال الصلح فغَدَر بهم وقتلهم، فناشدوه الصلح الذى بينه وبين السلطان، فقال: ما يتضمّن الاستخفاف بالنبىّ صلّى الله عليه وسلّم ؛ وبلغ ذلك السلطانَ، فحملتْه حَمِيّة دينه على أن أهدر دمه .

ولمّا فتح الله عليه بالنصر جلس بالدِّهْليز (يعنى الخَيْمة) فإنّها لم تكن نُصِبت بعدُ لشغل السلطان بالجهاد، وعُرِضتْ عليه الأُسَارَى، وصار الناس يتقرّبون إليه بما فى أيديهم منهم، وهو فرِحٌ[(4)] بما فتح الله عليه؛ واستحضر الملكَ جُفْرِى وأخاه، والبِرِنْس أرناط، وناول السلطانُ الملكَ جُفْرِى شَرْبةً من جُلّاب وثَلْج فشرب منها، وكان على أشدّ حال من العطش ثم ناولها للبِرِنْس، ثم قال السلطان للتُّرْجُمان: قل للملك أنت الذى سقيتَه وإلّا أنا ما سقيتُه، فإنّه كان من جميل عادة العرب

---

(1) حوران . كورة واسعة من أعمال دمشق من جهة القبلة ، ذات قرى كثيرة ومزارع (عن معجم البلدان لياقوت) . (2) الأسبتار : طائفة من رجال الدين . كان مبدأ أمرهم فى القرن التاسع الميلادى فى إيطاليا بعنوان : (Notre-Dame de la Scala) ثم زاد عددهم فى الحروب الصليبية لمساعدة الصليبيين من جهة، والدعاية لنشر الدين من جهة أخرى، وهم فرق كثيرة مختلفة (ملخص عن دائرة المعارف الفرنسية ج ٢٠ ص ٢٩١) . (3) الديوية ويقال الداوية : قوم من الإفرنج يحبسون أنفسهم لجهاد المسلمين ويمنعون أنفسهم عن النكاح وغيره، ولهم أموال وسلاح ويتعاونون القوّة ويعالجون السلاح ولا طاعة لأحد عليهم . ينسبون إلى حصن حصين بنواحى الشام (راجع معجم البلدان لياقوت ج ٢ ص ٢٧٦) .

(4) كذا فى وفيات الأعيان والسيرة والروضتين . وفى الأصل : «رأشخص» .

وكريم أخلاقهم أنّ الأسـير إذا أكل أو شرب من مال مَن أسره أَمِن ؛ فلذا قال السلطان للتَّرْجُمَان : أنت الذى سَقَيْتَه . ثمّ أمر السلطانُ بسيرهم إلى موضع عيّنه لهم فأكلوا شيئًا ، ثم عادوا بهم ولم يبق عند السلطان سوى بعض الخَدَم ، فآستحضرهم وأقعد الملكَ فى دِهليز الخيمة ، فطلب آلبِرِنْس أرناط وأوقفه بين يديه ، وقال [له] (١) : هأنا أنتصر لمحمد منك ، ثم عَرَض عليه الإسلام فلم يفعل ، فسلّ النِّيمْجاه (٢) فضربه بها فحَلّ كتفَه ، وتمّم قتلَه مَن حضر ، وأُخرِجت جثّته ورُميت على باب الخيمة ؛ فلما رآها الملك خُفِرى لم يشكّ أنه يُلحقه به ، فآستحضره السلطان وطيّب قلبه ، وقال له : لم تجر عادة الملوك أن يقتلوا الملوك إلّا أنّ هذا تجاوَزَ الحدّ وتجرّأ على الأنبياء صلوات الله عليهم ، ثم أمره بالآنصراف . وبات النـاسُ تلك الليلةَ على أتمّ سرور . وفى هذه الواقعة يقول العماد الكاتب قصيدةً طنّانة منها (٣) :

حططتَ على حِطّين قَدْرَ ملوكهم * ولم تُبقِ من أجناس كفرهمُ جِنْسَا
بطونُ ذئاب الأرض صارت قُبورَهم * ولم تَرْضَ أرضٌ أن تكون لهم رَمْسَا
وقـد طاب رَيّانا على طَـبَرِيّة * فياطيبَهـا ريّا ويا حُسْنَهـا مَرْسَى

وقال آبنُ السّاعاتىّ (٤) قصيدةً أخرى عظيمةً فى هذا الفتح ، أوّلها :

جلتْ (٥) عزماتك الفتح المبينا * فقـد قرّت عيون المؤمنينا

---

(١) زيادة عن السيرة وابن خلكان . (٢) النيمجاه : الخنجر أو السيف الصغير أو السكين المنحنية (فارسى معرب) عن القاموس الفارسى والإنجليزى . (٣) هذه الأبيات ضمن قصيدة طويلة أوردها صاحب كتاب الروضتين (ح ٢ ص ٨٣) ومطلعها :

يا يوم حطين والأبطال عابسـة * وبالعجاجة وجه الشمس قد عبسا

(٤) هو أبو الحسن على بن محمد بن رستم المعروف بابن الساعاتى الشاعر الملقب بهاء الدين ، المتوفى بالقاهرة فى يوم الخميس الثالث والعشرين من شهر رمضان سنة ٦٠٤ هـ . (عن ابن خلكان وشذرات الذهب) .

(٥) هذا البيت مطلع قصيدة طويلة فى فتح طبرية كما فى كتاب الروضتين (ح ٢ ص ٨٤) .

ثمّ رحل السلطان بعد أن تسلم طَبَرِيّة ونزل على عَكّا فى يوم الأربعاء سَلْخ شهر ربيع الآخر، وقاتلها بُكْرَةَ يوم الخميس مستَهَلّ جمادَى الأولى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ؛ وأخذها وآستنقذ مَن كان فيها من أُسَارى المسلمين ، وكانوا أكثرَ من أربعة آلاف أسير، وآستولى على ما كان فيها من الأموال والذخائر والبضائع، لأنّها كانت مَحَطّة التجّار، وتفرّقت العساكرُ فى بلاد الساحل يأخذون الحصون والقِلاع . ٥
ثم سار السلطان من عكّا ونزل على تِبْنِين[(1)] يوم الأحد حادى عشر جمادى الأولى، وهى قلعة مَنِيعة ، فحاصرها حتّى أخذها فى يوم الأحد ثامن عشر جمادى الأولى المذكور عَنْوَةً. ثمّ رحل عنها إلى صَيْدَا فنزل عليها وتسلّمها فى غد يوم نزوله عليها .
ثم رحل عنها وأتى بَيْرُوت فنازلها يوم الخميس الثانى والعشرين من جمادى الأولى ، حتى أخذها فى يوم الخميس تاسع عشرين جمادى الأولى . ولمّا فرغ باله من هذا ١٠
رأى قَصْد عَسْقَلان ، ولم يَرَ الآشـتغالَ بصُور بعد أن نزل عليها ؛ ثم رأى أنّ العسكر قد تفرّق فى الساحل وكانوا قد ضرسوا من القتال ؛ وكان قد آجتمع بصور مَن بقى من الفرنج فرأى أنّ قصـده عَسْقلان أولى ، لأنّهـا أيسرُ من صُور؛ فأتى عسقلان ونزل عليها يوم الأحد سادس عشر جمادى الآخرة . وأقام عليهـا إلى أن تسلّم أصحابُه مدينـة غَزّة وبيتَ جبريل[(2)] والنَّـاطِرُون[(3)] من غير قتال ، وكان بين فتح عسقلان وأخذ الفرنج لها ثانيا من المسلمين خمسٌ وثلاثون سنة ، فإنّ أخذها كان فى سنة ثمـان وأربعين وخمسمائة . ولمّـا تسلّم الســلطان عسقلان والبـلاد المحيطة ١٥

(١) تبنين : بلدة فى جبال بنى عامر المطلّة على بلد بانياس بين دمشق وصور (عن معجم البلدان لياقوت).
(٢) بيت جبريل (بيت جبرين) : بليد بين بيت المقدس وغزة ، بينه وبين القدس مرحلتان وبين غزة أقل من ذلك ، وكانت فيه قلعة حصينة خربها صلاح الدين (عن معجم البلدان لياقوت) . (٣) فى الأصل وابن خلكان « البطرون » . وفى السيرة والروضتين « النطرون » . والتصويب عن شرح القاموس ومعجم البلدان لياقوت ، وهو موضع بالشام قرب دمشق . ٢٠

بالقُدْس شمّر عن ساق الجدّ والاجتهاد فى قصـد القدس المبارك ، واجتمع عليـه العساكر التى كانت متفرّقة فى الساحل، فسار بهم نحو القدس معتمدًا على الله تعالى مفوّضا أمْره إليه منتهزا الفُرْصـة فى فتح باب الخير الذى حُثّ على انتهـازه بقوله صلّى الله عليه وسلّم : " مَن فُتِح له بابُ خير فلينتهزْه فإنّه لا يعلم متى يُغلق دونه " .

وكان نزول السلطان على القدس فى يوم الأحد الخامس عشر من شهر رجب سـنة ثلاث وثمانين المذكورة ، ونزل بالجانب الغربىّ، وكان مشـحونًا بالمُقاتلة من الخيّالة والرَّجّالة حتّى إنّه حَزَر أهلُ الخِبْرة، ممّن كان مع السلطان ،مَن كان فيه من المُقاتلة[1] فكانوا يزيدون على ستين ألفا خارجا عن النساء والصِّبيان؛ ثم انتقل السلطان لمصلحة رآها إلى الجانب الشمالى فى يوم الجمعـة العشرين من رجب ونَصَب عليهـا المجانيق وضايق البلدَ بالزَّحْف والقتال حتّى أخذ النَّقْب فى السور ممّا يلى وادى جهنّم[2]؛ ولمـّا رأى العدوّ ما نزل بهم من الأمر الذى لا مَدْفع لهم عنه ، وظهرت لهم أمارات فتح المدينة وظهور المسلمين عليهم ، وكان قـد اشتدّ رَوْعُهم لِمـَا جرى على أبطالهـم ما جرى[3] ، فاستكانوا إلى طلب الأمان، وسلّموا المدينة فى يوم الجمعة السابع والعشرين[4] من رجب ، وليلته كانت ليلة المِعْراج المنصوص عليهـا فى القرآن الكريم . فانظر إلى هذا الاتفاق العظيم ، كيف يسر الله تعالى عَوْده إلى المسلمين فى مثل زمان الإسراء بنبيّهم صلّى الله عليه وسلّم .

(١) عبارة الأصل : « حتى إنه حرر أهـل الخبرة من كان مع السلطان من القلعة من المسلمين كانوا . » . وما أثبتناه عن ابن خلكان ، وهو معنى عبارة السيرة والروضتين .

(٢) وادى جهنّم : بظاهر المقدس (عن معجم البلدان لياقوت ج ٢ ص ٧٦٢) . (٣) عبارة وفيات الأعيان : « وكان قد اشتدّ روعهم لمـا جرى على أبطالهم وحماتهم من القتل والأسر ، وما شاهدوه من الحريق والهدم ، وتحققوا أنهم صائرون إلى ما صار أولئك إليه فاستكانوا وأخلدوا إلى طلب الأمان » .

(٤) فى الأصل : « السادس والعشرين » . وما أثبتناه عن السيرة وابن خلكان والروضتين ، وهو المناسب لمـا تقدّم .

قال : وكان فتحًا عظيما شهده من العلماء خلق (١)، ومن أرباب الحرب والزهد عالم كثير، وآرتفعت الأصوات بالضجيج بالدعاء والتهليل والتكبير، وصُلِّيت فيه الجمعة يوم فتحه، ونُكِّس الصليب الذى كان على قُبّة الصخرة، وكان الصليب شكلا عظيما، ونصر الله الإسلام. وكان الفرنج قد آستولَوْا على القُدْس — بعد فتحه الأوّل فى زمن عمر — فى يوم الجمعة الثالث والعشرين من شعبان سنة آثنتين وتسعين وأربعمائة؛ وقيل : فى ثانى شعبان وقيل يوم الجمعة السادس والعشرين من شهر رمضان من السنة (أعنى سنة آثنتين وتسعين)، وذلك كان فى خلافة المُسْتَعْلِي أبى القاسم أحد خلفاء مصر من بنى عُبَيْد، وكان فى وزارة بَدْر الجَمَالِيّ بديار مصر. وقد حكينا طرفًا من ذلك فى ترجمة المستعلى فى هذا الكتاب. قلت : وعلى هذا الحساب يكون القدس أقام بيد الفرنج نيّفا وتسعين سنة من يومَ أخذوه فى خلافة المستعلي إلى أن فتحه السلطان صلاح الدين فى هذه المرّة ثانيا. ولله الحمد. قال آبن شدّاد : «وكانت قاعدة الصلح أنهم قطعوا على أنفسهم عن كلّ رجل عشرين دينارا (٢)، وعن كلّ آمرأة خمسةَ دنانير صُوريّة، وعن كلّ صغير ذكر أو أنثى دينارا واحدا، فمن أحضر قطيعتَه نجا بنفسه وإلّا أخذ أسيرًا، وأُفْرِج عمّن كان بالقدس من أُسارَى المسلمين، وكانوا خلقا عظيمًا، وأقام السلطان بالقدس يجمع الأموال ويفرّقها على الأمراء والرجال، ثم رسم بإيصال (٣) من قام بقطيعته من الفرنج إلى مأمنه، وهى مدينة صُور، فلم يرحل السلطان من القدس ومعه من المال الذى حوى شىء، وكان يقارب مائتى ألف دينار [وعشرين (٤) ألف دينار].

(١) فى ابن خلكان : «ومن أرباب الحدق». (٢) فى السيرة : «عن كل رجل عشرة دنانير». (٣) فى ابن خلكان : «وتقدّم بإيصال». (٤) زيادة عن آبن خلكان والسيرة.

ولمّـا فتَح القدسَ حسنُ عنده فتحُ صُور، وعلم أنّه متى أخّره عسُر عليه فتحُه ، فسار نحوها حتى أتى عَكّا فنزل عليها ونظر فى أمورها ؛ ثم رحل عنهـا متوجّها إلى صُور فى يوم الجمعة خامس شهر رمضان من سـنة ثلاث وثمانين المذكورة ، فنزل قريبا منها، وأرسل لإحضار آلات القتال حتّى تكاملت عده، نزل عليها فى ثانى عشر[1] الشهر المذكور، وقاتل أهلَها قتالا شديدا وضايقها، وآستدعى أسطولَ مصر، وكان السلطان يضايقها فى البّر والبحر ؛ وخرج أسطول صُور فى الليل فكبس أسـطول المسلمين فى البحر، وأخذوا المقدّم والرئيس وخمس قِطَع للسلمين، وقتلوا خَلْقا كثيرا من الرجال، وذلك فى السابع والعشرين من شهر[2] شوّال، وعظُم ذلك على السلطان وضاق صدره ؛ وكان الشتاء قد هجم وتراكمت الأمطار وآمتنع الناس من القتال لكثرة الأمطار، فجمع السلطانـ الأمراء وآستشارهم فيما يفعل، فأشاروا عليـه بالرحيل لتستريح الرجال، فرحل عنها فى يوم الأحد ثانى ذى القعدة وتفرّقت العساكر ، وأعطى كلّ طائفة منها دسـتورا ؛ فسار كلُّ قوم إلى بلادهم ، وأقام هو فى جماعة من خواصّه بمدينة عَكّا إلى أن دخلت سنة أربع وثمـانين وخمسمائة . فرحل ونزل على كَوْكَب[3] فى أوّل المحرّم، ولم يبق معه من العسكر إلّا القليل ؛ وكان كوكب حصنا حصينا فيه الرجال [والأقوات][4]، فعلم السلطان أنّه لا يؤخذ إلّا بقتال شديد. فرحل إلى دمشق فدخلها فى سادس عشرين[5] شهر ربيع الأوّل من السنة ؛ وأقام بدمشق خمسة أيّام . وبلغه أنّ الفرنج قصـدوا جَبَلَة[6] وآغتالوها ، فخرج مسرعًا وقد سيّر يستدعى العساكر

(١) فى السيرة : « فى الثامن والعشرين » . (٢) فى الأصل : « من الشهر المذكور » . والتصويب عن السـيرة . (٣) كوكب : اسم قلعة على الجبل المطل على مدينة طبرية ، حصينة رصينة تشرف على الأردن . افتتحها صلاح الدين فيما افتتحه من البلاد ثم خربت بعد . (عن معجم البلدان لياقوت) . (٤) زيادة عن ابن خلكان . (٥) فى ابن خلكان : « فى سادس عشر » . وفى السيرة والفتح القسى والروضتين : « فى سادس شهر ربيع الأوّل » . (٦) كذا فى الأصل والفتح القسى . وفى ابن خلكان والروضتين والسيرة : « جبيل » وكلاهما موضع بالشام .

من جميع البلاد ، وسار يطلب جَبَلَة ؛ فلمّا علم الفرنجُ بخروجه كفّوا عن ذلك .
وكان السلطان بلغه وصولُ عماد الدين صاحب سِنْجار ومظفّر الدين [بن] زَيْن الدين
صاحب إِرْبِل وعسكر المَوْصِل إلى حلب قاصدين خدمته والغَزاة معه ؛ فسار السلطانُ
نحو حِصْن الأكراد[1] حتى آجتمع بالمذكورين [و] تقوّى بهم للغاية » . إنتهى كلام
آبن شدّاد .
٥

وقال القاضى شمس الدين بن خلّكان : « وفى يوم الجمعة رابع جمادى الأولى
دخل السلطان (يعنى صلاحَ الدين) بلادَ العدوّ على تعبئة حسنةٍ ورتّب الأَطْلاب ،
وسارت المَيْمَنةُ أوّلاً ومقدّمُها عمادُ الدين زَنْكى ، والقلبُ فى الوسط ، والمَيْسَرة
فى الأخير ومقدّمُ المَيْسَرة مظفّر الدين بن زَيْن الدين صاحب إِرْبِل ، فوصل إلى
أَنْطَرْطُوس[2] يومَ الأحد سادسَ جُمَادَى الأولى ، فوقف قُبَالتَها ينظرُ إليها لأنّ قصدَه
١٠
جَبَلةُ ، فآستهان أمرَها وعزم على قتالها فسيّر مَن ردّ المَيْمَنة ، وأمرها بالنزول إلى
جانب البحر ، والمَيْسَرة على الجانب الآخر ، ونزل هو موضعَه والعساكر مُحدِقة بها
من البحر إلى البحر ، وهى مدينة راكبة على البحر ولها بُرْجان ، فركبوا وقاربوا
البلد وزحفوا عليها ، وآشتدّ القتال فما آستتمّ نَصْبُ الخيام حتّى صعِد المسلمون
سورَها وأخذوها بالسيف ، وغنِم المسلمون جميعَ ما فيها ، وأحرق البلدَ وأقام عليها إلى
١٥
رابع عشر جمادَى الأولى ، وسلّم أحدَ البُرْجين إلى مظفّر الدين ، فما زال يحاربه حتّى
أخربه . وحضر إلى السلطان ولدُه الملك الظاهر بعساكر حلب ، لأنّه كان طلبه
فجاء بعساكرَ عظيمةٍ . ثم سار السلطان يريد جَبَلة فوصلها فى ثانى عشر جمادى الأولى ،

(١) حصن الأكراد ، هو حصن منيع حصين على الجبل الذى مقابل حمص من جهة الغرب (عن
معجم البلدان لياقوت ج ٢ ص ٢٧٦) . (٢) فى الأصل وابن خلكان والسيرة : «أنطرسوس» .
٢٠
والتصويب عن الروضتين وتقويم البلدان لأبى الفدا إسماعيل ، وراجع الحاشية رقم ١ ص ١١٣ من الجزء
الخامس من هذه الطبعة .

وما آستتمّ نزولُ العسكر عليها حتى أخذت البلد؛ وكان فيه مسلمون مقيمون وقاض يحكم بينهم ، وقُوتلت القلعةُ قتالا شديدًا ثم سُلّمت بالأمان . ثم سار السلطان عنها إلى اللاذقيّة فنزل عليها يومَ الخميس الرابع والعشرين من جمادى الأولى، ولها قلعتان (يعنى اللّاذقيّة) متّصلتان على تلّ مُشرِف على البلد ، وآشتدّ القتالُ إلى آخر النهار ، فأخذ البلد دون القلعتين، وغَنِم المسلمون منه غنيمةً عظيمةً لأنّه كان بلد التجّار، ثم جدّوا فى أمر القلعتين بالنُّقوب حتى بلغ طول النّقب ستين ذراعا وعرضُه أربعَ أذرع . فلمّا رأى أهلُ القلعتين الغلبة لاذوا بطلب الأمان ، وذلك فى عشيّة يوم الجمعة الخامس والعشرين من الشهر، وآلتمسوا الصلح على سلامة أنفسهم وذَرَارِيهم ونسائهم وأموالهم ما خلا الغِلالَ والذخائرَ والسلاح وآلاتِ الحرب ، فأجاب السلطانُ إلى ذلك ، ورُفِع العلم الإسلامىّ عليها فى يوم السبت وأقام عليها إلى يوم الأحد السابع والعشرين من الشهر . ثم رحل عنها ونزل صِهْيَوْن[1] وقاتلهم أشدّ قتال حتّى أخذ البلدَ يومَ الجمعة ثانى عشر جمادى الآخرة، ثم تقدّموا إلى القلعة وصَدَقُوا القتال ، فلمّا عاينوا الهلاك طلبوا الأمانَ فأجابهم إليه بحيث يؤخذ من الرجل عشرةُ دنانير، ومن المرأة خمسةُ دنانير، ومن كل صغير ديناران، الذكر والأنثى سواء. وأقام السلطان صلاح الدين بهذه الجهات حتّى أخذ عِدّة قِلاع منها بَلاطُنُس[2] وغيرُها من الحصون المتعلّقة بصِهْيَوْن . ثم رحل عنها وأتى بَكَاس ، وهى قلعة حصينة على العاصى[3] ولها نهر يخرج من تحتها ، وكان النزول عليها فى يوم الثلاثاء

(١) صهيون : حصن حصين من أعمال سواحل بحر الشام من أعمال حمص لكنه ليس بمشرف على البحر، وهى قلعة حصينة مكينة فى طرف جبل ، خنادقها أودية واسعة هائلة عميقة ليس لها خندق محفور إلا من جهة واحدة . كانت بيد الفرنج مدةً حتى استرجعها الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب من يد الفرنج سنة ٥٨٤ هـ (عن معجم البلدان لياقوت) . (٢) بلاطنس [illegible] الشام مقابل اللاذقية من أعمال حلب (عن معجم البلدان لياقوت) .

(٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ١١٩ من الجزء الرابع من هذه الطبعة .

سادس جُمادى الآخرة[1]، وقاتلوها قتالا شديدًا إلى يوم الجمعة تاسع الشهر ففتحها عَنْوةً، فقُتِل أكثرُ مَن بها وأُسِر الباقون، وغَنِم المسلمون جميعَ ما كان فيها، ولها قلعة تسمّى الشُّغْر[2]، وهى فى غاية المَنَعة يُعبر إليها بجسر وليس عليها طريق، فسلّطت المجانيق عليها من جميع الجوانب، فرأَوْا أن لا ناصر لهم فطلبوا الأمان فى يوم الثلاثاء ثالثَ عشرَ الشهر. ثم سار السلطان الى بُرْزَيْه[3]، وهى أيضا من الحصون المنيعة فى غاية القوة يُضرب بها المثل، ويحيط بها أودية من جميع جوانبها، وعلوّها خمسُمائة ونَيِّفٌ وسبعون ذراعا، وكان نزوله عليها يومَ السبت الرابع والعشرين من الشهر، فقاتلوها حتّى أخذوها عنوة فى يوم الثلاثاء السابع والعشرين منه. ثم سار السلطان إلى دَرْبَساك[4] فنزل عليها يوم الجمعة ثامن رجب، وهى قلعة منيعة فقاتلها قتالا شديدا حتّى أخذها وترقّى العلمُ الإسلاميّ عليها يوم الجمعة الثانى والعشرين من رجب، وأعطاها للأمير عَلَم الدين سليمان بن جَنْدَر، وسار عنها بُكْرةَ يوم السبت الثالث والعشرين من رجب ونزل على بَغْرَاس، وهى قلعة حَصينة بالقرب من أنطاكِيَة، وقاتلها قتالا شديدا حتّى صعد العلم الإسلامى عليها فى ثانى شعبان، وراسله أهلُ أنطاكية فى طلب الصلح فصالحهم لشدّة ضجَر العسكر؛ فكان الصلح بينهم على أن يُطْلِقوا كلَّ أسير عندهم لا غير، والصلح إلى سبعة أشهر، فإن جاءهم مَن ينصرهم وإلّا سلّموا البلد.

(١) فى الأصل: «سادس عشر جمادى الآخرة». وما أثبتناه عن ابن خلكان والفتح القسى والسيرة.

(٢) الشغر: قلعة حصينة مقابلها أخرى يقال لها بكاس على رأس جبلين، بينهما واد كالخندق لهما، كل واحدة تناوح الأخرى، وهما قرب أنطاكية (عن معجم البلدان لياقوت).

(٣) برزيه: قلعة صغيرة مستطيلة منيعة فى ذيل الجبل المعروف بالجبل الأبيض(؟) مطلة على بحيرات عامية (عن تقويم البلدان لأبى الفدا إسماعيل). قال ياقوت. وهى لغة عامية تصحيحها «برزويه».

(٤) فى الأصل: «دربسال». وما أثبتناه عن الفتح القسى والروضتين والسيرة وتقويم البلدان لأبى الفدا إسماعيل، وقد ضبطها بالعبارة فقال: (بفتح الدال وسكون الراء المهملتين وفتح الباء الموحدة والسين المهملة ثم ألف وكاف).

ثم رَحَل السلطان فسأله ولدُه الملك الظاهر صاحبُ حلب أن يجتاز به فأجابه إلى ذلك، فوصل إلى حلب فى حادى عشر شعبان، وأقام بالقلعة ثلاثة أيام، وولدُه يقوم بالضِّيافة حقّ القيام. ثم سار منْ حَلَب فاعترضه تقىُّ الدين عمرُ ابن أخيه، وأصعده إلى قلعة حَمَاة، وصنع له طعاما وأحضر له سَمَاعًا من جنس مايَعْمَل الصُّوفيّة، وبات فيها ليلة واحدة، وأعطاه السلطان جَبَلة واللّاذقيّة . ثم سار السلطان على طريق بَعْلَبَكّ ، ودخل دمشق قبل شهر رمضان بأيام يسيرة . ثمّ سار فى أوائل شهر رمضان يريد صَفَد[1] ، فنزل عليها ولم يزل القتال عمّالا فى كلّ يوم حتّى تسلّمها بالأمان فى رابع عشر شوّال؛ وفى شهر رمضان المذكور سُلِّمت الكَرَك، سلّمها نوّاب صاحبها وخلّصوا صاحبها بذلك، فإنّه كان فى الأَسْر من نَوْبة حِطِّين . ثم نزل السلطان بالغَوْر[2] ، وأقام بقيّة الشهر ، فأعطى الجماعةَ دستورًا . وسار السلطان مع أخيه العادل يريد زيارة القُدْس ووَدَاعَ أخيه العادل المذكور، لأنّ العادل المذكور كان متوجِّها إلى مصر، فدخل السلطانُ القدسَ فى ثامن ذى الحجّة وصلّى به العيدَ . وتوجّه فى حادى عشر ذى الحجّة إلى عَسْقَلان لينظر فى أمورها، فتوجّه إليها وأخذها من أخيه ، وعوّضه عنها الكَرَك . ثم مرّ على بلاد الساحل يتفقّد أحوالها . ثم سار فدخل عَكّا وأقام بها معظمَ المحرّم من سنة خمس وثمانين وخمسمائة يصلح أحوالها، ورتّب فيها الأمير بهاء الدين قَراقُوش ، وأمره بعمارتها وعمارة سورها . ودخل السلطانُ دِمَشق فى مستهل صفر من السنة ، وأقام بها إلى شهر ربيع الأوّل من السنة . ثم خرج إلى شَقِيف أَرْنُون[3] ، وهو موضع حصين ، فخيّم فى مَرْج عُيُون

(١) صفد : مدينة فى جبال عاملة المطلة على حمص بالشام وهى من جبال لبنان .

(٢) فى الأصل «بالثور» . وما أثبتناه عن الفتح القسى وابن خلكان والسيرة . والمراد به غور الأردن بالشام بين البيت المقدّس ودمشق (عن معجم البلدان لياقوت) . (٣) شقيف أرنون قلعة حصينة جدا فى كهف من الجبل قرب بانياس من أرض دمشق بينها و بين الساحل (عن معجم البلدان لياقوت) .

بالقرب من الشَّقيف في سابع عشر شهر ربيع الأوّل(١) فأقام أيّاما على قتاله ، والعسكر تتواصل إليه ، فلمّا تحقّق صاحبُ الشَّقيف أنّه لا طاقة له به نزل إليه بنفسه ، فلم يشعر به إلّا وهو قائم على باب خَيْمته ، فأذن له في الدخول وأكرمه السلطان واحترمه ، وكان من أكبر الفرنج قَدْرًا ، وكان يَعرِف بالعربية ، وعنده اطّلاع على بعض التواريخ والأحاديث ، وكان حسنَ التأنّي ؛ لمّا حضر بين يدى السلطان وأكل معه الطعام ، ثم خلا به وذكر أنّه مملوكه وتحت طاعته ، وأنّه يُسلّم إليه المكان من غير تعب ، واشترط عليه أن يُعْطَى موضعًا يسكنه بدمشق ، فإنّه بعد ذلك لا يقدر على مُسَاكنة الفرنج ، وإقطاعًا بدمشق يقوم به وبأهله ، وشروطا غير ذلك ، فأجابه إلى ذلك . وفى أثناء شهر ربيع الأوّل وصل إلى السلطان [الخبرُ](٢) بتسليم الشُّوبَك ، وكان قد أقام عليه جَمْعًا يحاصرونه مدّة سنة كاملة إلى أن نفِدَ زاد مَن كان فيه فسلّموه بالأمان . ثم ظهر للسلطان بعد ذلك أنّ جميع ما قاله صاحب شَقيف كان خديعةً ، فرسم عليه . ثم بلغه أنّ الفرنج قصدوا عكّا ونزلوا عليها فى ثالث عشر شهر رجب من سنة خمس وثمانين المذكورة . وفى ذلك اليوم سيّر السلطانُ صاحبَ الشَّقيف إلى دمشق بعد الإهانة الشديدة . ثم سار السلطان وأتى عكّا ودخلها بَغْتةً ليقوّى قلوب مَن بها ، واستدعى العساكر من كلّ ناحية ؛ وكان العدوّ مقدار ألفى فارس وثلاثين ألف راجل ، وتكاثر الفرنجُ واستفحل أمرُهم ، وأحاطوا بعكّا ومنعوا مَن يدخل إليها ويخرج ، وذلك فى يوم الخميس سَلْخ رجب ، فضاق صدرُ السلطان لذلك ، ثم اجتهد فى فتح الطريق إليها لتستمرّ السابلة بالميرة والنَّجْدة ، وشاور الأمراءَ فاتّفقوا على مضايقة العدوّ لفتح الطريق ،

(١) فى الأصل : « سابع عشرين » . وما أثبتناه عن ابن خلكان والسيرة والفتح القسى .

(٢) زيادة عن ابن خلكان والسيرة .

فعلوا ذلك وآنفتح الطريق وسلكه المسلمون؛ ودخل السـلطان عكّا فأشرف على أمورها ؛ ثم جرى بين الفريقين مناوشاتٌ فى عِدّة أيام ، وتأخّر الناس إلى تلّ العيّاضيّة وهو مُشرِف على عكّا . وفى هذه المنزلة تُوُفّى الأمير حُسام الدين طُمان المقدّم ذكرُه ، وذلك فى نصف شعبان من سـنة خمس وثمانين وخمسمائة ، وكان من الشُّجعان » .

قال آبن خلّكان : «قال شيخنا آبن شدّاد : وسمعت السلطان يُنْشِد — وقد قيل له : إنّ الوَخَم قد عظُم بعكّا ، وإنّ الموت قد فشا بين الطائفتين — :

أُقتـلانى ومالكـا[(1)] * وآقتلا مالكـا معى

— قلت : وهذا الشعر له سبب ذكرناه فى ترجمة الأشْتَر النَّخَعِىّ ، آسمه مالك ، فى أوائل هذا الكتاب فإنّه مَلَك مصر ، وكان الأشتر من أصحاب علىّ بن أبى طالب — رضى الله عنه — والحكاية مطوّلة تُنظر فى ترجمة مالك (أعنى الأشتر النَّخَعِىّ من هـذا الكتاب — .

قال آبن شـدّاد : ثم إنّ الفرنج جاءهم الإمداد من البحر ، وآسـتظهروا على الجمـاعة الإسلاميّة بعكّا ، وكان فيهـم الأمير سيف الدين علىّ بن أحمد الهكّارىّ المعروف بالمشطوب ، والأمير بهاء الدين قَرَاقُوش الخادم الصّـلاحىّ ، وضايقُوهم أشدّ مضايقة إلى أن عَجَزوا عن حفظ البـلد . فلمّا كان يومُ الجمعة سابعَ عشرَ جُمادَى الآخرة [سنة[(2)] سبع وثمانين وخمسمائة] خرج من عكّا رجل عَوّام فى البحر ، ومعه كتبٌ إلى السلطان من المسـلمين يذكرون حالهم وما هم فيـه ، وأنّهم تيقّنوا

---

(1) كذا فى الأصـل هنا وما تقدّم فى الجزء الأوّل من هـذه الطبعة ص ١٠٥ وابن خلكان . وفى مجمع الأمثال وفرائد اللآل : * اقتلونى ومالكا * بواو الجماعة .

(2) زيادة عن ابن خلكان .

الهلاك، ومتى أخذوا البلد عنوةً ضُربت رقابهم، وأنهم صالحوا على أن يسلّموا البلد وجميع ما فيه من الآلات والأسلحة والمراكب، ومائتى ألف دينار وخمسمائة[1] أسير مجاهيل ومائة أسير معيّنين من جماعتهم، وصليب الصلبوت، على أن يخرجوا بأنفسهم سالمين، وما معهم من الأموال والأقمشة المختصّة بهم وذراريهم ونسائهم، وضمنوا[2] للمركيس — لأنه كان الواسطة فى هذا الأمر — أربعة آلاف دينار. فلمّا وقف السلطان على الكتب المشار إليها أنكر ذلك إنكاراً عظيما، وعظُم عليه هذا الأمر، وجمع أهل الرأى من[3] أكابر دولته، وشاورهم فيما يصنع، واضطربت آراؤه، وتقسّم فكره وتشوّش حاله، وعزم أن تُكتب فى تلك الليلة كتبٌ مع الرجل العوّام الذى قدم عليه بهذا الخبر يُنكِر المصالحة على هذا الوجه، وبينما هو يتردّد فى هذا فلم يشعر إلّا وقد ارتفعت أعلام العدوّ وصُلبانُه[4] ونارُه على سور البلد؛ وذلك فى يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة؛ وصاح الفرنجُ صيحةً واحدة، وعظُمت المصيبةُ على المسلمين، واشتدّ حزنُهم، ووقع من الصياح والعويل والبكاء ما لا يُذكر.

ثم خرجت الفرنج بعد أن ملكوا عكّا قاصدين عَسْقَلان ليأخذوها أيضا من المسلمين، وساروا على الساحل والسلطانُ وعساكرُه قُبالتهم إلى أن وصلوا إلى أرْسُوف[5]، فكان بينهما قتال عظيم، ونال المسلمين وَهْنٌ شديد. ثم ساروا على تلك الهيئة تتمّة عشر منازل من سيرهم من عكّا، فأتى السلطانُ الرملةَ، فأتاه مَن أخبر بأن القوم على عَزْم عِمارة يافا وتقويتها بالرجال والعدد والآلات، فأحضر السلطانُ أرباب

(١) فى السيرة والروضتين والفتح القسى: «وألف وخمسمائة فارس أسير مجاهيل».
(٢) فى السيرة والروضتين والفتح القسى: «وضمنوا للمركيس عشرة آلاف دينار، لأنه كان واسطة، ولأصحابه أربعة آلاف دينار». (٣) فى الأصل: «ورجع». وما أثبتناه عن ابن خلكان والسيرة والروضتين. (٤) فى الأصل: «وفرسانه». وما أثبتناه عن السيرة وابن خلكان والروضتين.
(٥) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٦٧ من الجزء الخامس من هذه الطبعة.

مشورته ، وشاورهم فى أمر عسقلان ، وهل الصواب خرابها أو بقاؤها ؟ فآتفقت آراؤهم أن يبقى الملك العادل فى قُبالة العدوّ، ويتوجّه السلطان بنفسه ويُخرِبها خوفًا من أن يصل العدوّ إليها ويستولىَ عليها وهى عامرة ويأخذ بها القدس، وينقطع بها طريق مصر، وآمتنع العسكر من الدخول (١) وخافوا ممّا جرى على المسلمين بعكّا . فلا قوّة إلّا بالله . ورأَوْا أنّ حفظ القدس أولى ، فتعيّن خرابها من عدّة جهات؛ وكان هذا الآجتماع يومَ الثلاثاء سابع عشر شعبان منْ سنة سبع وثمانين وخمسمائة، فسار إليها السلطان فى سَحَر يوم الأربعاء ثامن عشر شعبان المذكور. قال آبن شدّاد : وتحدّث معى فى معنى خرابها (يعنى عَسْقلان) بعد أن تحدّث مع ولده الملك الأفضل أيضا فى أمرها، ثم قال السلطان : لأَنْ أفقِد ولدى جميعَهم أحبّ إلىّ من أهدِم منها حَجَرا واحدا، ولكن إذا قضى اللهُ تعالى ذلك، وكان فيه مصلحة للسلمين، فما الحيلة فى ذلك ! فلمّا آتّفق الرأىُ على خرابها أَوْقع الله ذلك فى نفسه، وأنّ المصلحة فيه لعجز المسلمين عن حفظها . وشرَع فى إخرابها فى سَحَر يوم الخميس التاسع عشر من شعبان من السنة المذكورة، وقسّم السور على الناس وجعل لكلّ أمير وطائفة من العسكر بدنةً معلومة وبُرجا معلوما يخربه، ودخل الناسُ البلدَ ووقع فيهم الضّجيج والبكاء لفُرقة بلدهم وأوطانهم، وكان بلدًا خفيفا على القلب مُحكَم الأسوار عظيم البناء مرغوبًا فى سكنه، فلحق النـاسَ على خرابه حُزْنٌ عظيم . وشرع أهل البلد فى بيع مالا يقدرون على حمله ، فباعوا ما يساوى عشرةَ دراهم بدرهم واحد، حتّى باعوا آثنَىْ عشرَ طيرَ دَجاج بدرهم ، وآختبط أهلُ البلد وخرجوا بأولادهم وأهليهم إلى الخِيَم وتشتّتوا، فذهب منهم قوم إلى مصر وقوم إلى الشام، وجرت عليهم أمور عظيمة، وآجتهد السلطان وأولاده فى خراب البلد كى لا يَسْمَع العدوُّ فيسرعَ إليها؛

(١) كذا فى ابن خلكان . وفى الأصل : « وامتنع العسكر من العدوّ وخافوا » .

ولا يمكن إخرابه، وكانت الناس على أصعب حال، واشتدّ تعب الناس مما قاسوه في حرابها .

وفي تلك الليلة وصل للملك العادل من حلب من أخبره أنّ الفرنج تحدّثوا معه في الصلح ، وطلبوا جميع البلاد الساحلية ، فرأى السلطانُ أنّ ذلك مصلحةٌ لِمَا علم من نفوس الناس والعساكر من الضّجَر من القتال وكثرة ما عليه من الديون ؛ فكتب السلطان إلى أخيه الملك العادل يأذن له في ذلك، وفوّض الأمر إلى رأيه، وأصبح السلطان يومَ الجمعة وهو مصرٌّ على الخراب ، ويستعجل الناسَ عليه ويحثّهم على العجلة فيه ؛ وأباحهم مافي الهُرِي[1] الذي كان مدخرًا للميرة خوفًا من أن يهجُمَ العدو والعجزِ عن نقله . ثمّ أمر السلطانُ بإحراق البلد فأُضرمتِ النيرانُ في بيوته ، ولم يزل الخراب يعمل في البلد الى سلْخ شعبان المذكور، ثم أصبح السلطان يومَ الاثنين مستهلَّ شهر رمضان، أمر ولده الملك الأفضل أن يباشر خراب البلد بنفسه وخواصّه .

قال ابن شدّاد ، ولقد رأيته يحمل الخشب بنفسه (يعني الملك الأفضل) .

وفي يوم الأربعاء ثالث شهر رمضان أتى السلطانُ الرّمْلَةَ وأشرف عليها، وأمر أيضا بإحراقها وإخراب قلعتها (يعني الرملة) فأُحرِقت وأُخرِبت قلعتها خوفا أيضا من الفرنج . وفي يوم السبت ثالث عشر رمضان تأخّر السلطانُ والعسكرُ إلى جهة الجبل ليتمكّن الناس من تسيير دوابّهم لإحضار مايحتاجون إليه . ثم شرع السلطان أيضا في خراب قلعة المَاطِرُون[2] ، وكانت قلعةً منيعةً فشرع الناسُ في ذلك . ثم ذكر ابن شدّاد فصلا طويلًا يتضمّن الصلح بين الأنْكِلْتِير[3] ملك الفرنج وبين السلطان صلاح الدين المذكور إلى أن قال : وحاصل الأمر أنه تمّ الصلحُ بينهم، وكانت الأيمان يوم

(١) الهري بيت كبير يجمع فيه طعام السلطان . (٢) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٥ من هذا الجزء . (٣) في الأصل «الأنكار» . وفي السيرة . «الأنكتار» . وفي ابن خلكان : «الأنكتير» والتصويب عن الفتح القسي والروضتين .

الأربعاء الثانى والعشرين من شعبان سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ، ونادى المنادى باستطام الصلح ، وأن البلاد الإسلامية والنصرانية واحدة فى الأمن والمسالمة (١) ، فمن شاء من كل طائفة أن يتردد إلى بلاد الطائفة الأخرى من غير خوف ولا محذور (٢) . وكان يوما مشهودا نال الطائفتين فيه من السرور ما لا يعلمه إلا الله تعالى ؛ وقد
٥ علم الله تعالى أن الصلح لم يكن عن مرضاة السلطان ، لكنه رأى المصلحة فى الصلح لسآمة العسكر من القتال ، ومظاهرتهم للمخالفة . وكان مصلحة فى علم الله تعالى ، فإنه آتفقت وفاته بعد الصلح ، فلو آتفق ذلك فى أثناء وقعاته كان الإسلام على خطر.

ثم إن السلطان أعطى العساكر الوافدة عليه من البلاد البعيدة برسم الغزاة والنجدة دستورا (٣) ، فساروا عنه . وعزم السلطان على الحج لما فرغ باله من هذه
١٠ الجهة ، وأمن الناس وتردد المسلمون إلى بلاد الفرنج ، وجاءوا هم أيضا إلى بلاد المسلمين ، وحملت البضائع والمتاجر إلى البلاد ؛ وتوجه السلطان إلى القدس ليتفقد أحواله ، وتوجه أخوه الملك العادل إلى الكرك ، وآبنه الملك الظاهر إلى حلب ، وآبنه الملك الأفضل إلى دمشق . ثم تأهب السلطان إلى المسير إلى الديار المصرية ، ولم يزل كذلك إلى أن صح عنده سير مركب الأنكلتير ملك الفرنج إلى بلاده فى مستهل
١٥ شوال ، فعند ذلك قوى عزمه على أن يدخل الساحل جريدة يتفقد أحواله وأحوال القلاع البحرية إلى بانياس . ثم يدخل دمشق فيقيم بها قليلا ، ثم يعود إلى القدس ومنه إلى الديار المصرية .

---

(١) فى الأصل : « فى الأمن والسالمة » . وما أثبتناه عن ابن خلكان . (٢) عبارة ابن خلكان والسيرة والروضتين : « فمن شاء أن يدخل من بلادهم إلى بلادنا فليفعل ، ومن شاء من بلادنا
٢٠ أن يدخل إلى بلادهم فليفعل » . (٣) أى سار كل عسكر إلى بلده وكان أول من سار عسكر إربل فإنه سار فى مستهل شهر رمضان ، ثم سار بعده عسكر الموصل وسنجار والحصن (انظر سيرة ابن شداد فى الكلام على عود العساكر الإسلامية إلى أوطانها) .

قال ابن شدّاد : وأمرنى بالمُقام بالقُدْس إلى حين عَوْده إليه لعمارة بِيمَارِسْتَانٍ أنشأه به ، وتكميل المدرسة التى أنشأها به ، وسار ضحوةَ[1] نهار الخميس السادس من شوّال سنة ثمانٍ وثمانين وخمسمائة . فلمّا فرغ السلطان من افتقاد أحوال القلاع وإزاحة خَلَلها دخل دمشقَ بُكْرة يوم الأربعاء سادس عشرين[2] شوّال ، وفيها أولاده : الملك الأفضل ، والملك الظاهر ، والملك الظافر مظفّر الدّين الخضر المعروف بالمشمر[3] وأولاده الصغار ، وكان السلطان يحبّ البلد (يعنى دمشق) ويؤْثِر الإقامة به على سائر البلاد ، وجلس للناس فى بُكْرة يوم الخميس السابع والعشرين منه ، وحضروا عنده وبَلُّوا أشواقهم منه ، وأنشده الشعراءُ ، ولم يتخلّف عنه أحد من الخاصّ والعامّ ، وأقام ينشُر جَنَاح عدله بِدَمشق إلى أن كان يومُ الاثنين[4] مستهلّ ذى القعدة ، عمل الملك الأفضلُ دعوةً للملك الظاهر أخيه لأنّه لمّا وصل إلى دمشق وبلغه حركة السلطان أقام بها [حتّى يتملّى بالنظر إليه ثانيا][5] ، ولمّا عمل الأفضل الدعوة أظهر فيها من الهِمَم العالية ما يليق بهمّته ، وكأن أراد بذلك مجازاته لِمَا خدمه [به][5] حين وصوله إلى بلده ، وحضر الدعوةَ المذكورة أربابُ الدنيا والآخرة ، وسأل الأفضلُ والده السلطان فى الحضور فحضر ، وكان يوما مشهودا على ما بلغنى . قال : ولمّا أصلح الملك العادل الكَرَكَ سار قاصدًا الديار الفُراتيّة[6] ، وأحبّ أن يدخل دمشق ،

(١) فى الأصل وابن خلكان : « وسار ضاحى نهار الخميس » . وما أثبتناه عن السيرة .
(٢) فى الأصل : « سادس عشر شوّال » وهو خطأ . والتصويب عن السيرة والروضتين .
(٣) فى الأصل : « المشمر » والتصويب عن ابن خلكان وقد ذكر سببا لتلقيبه بذلك فراجعه فيه .
(٤) فى الأصل : « يوم الخميس » وهو خطأ . والتصويب عن ابن خلكان والسيرة والروضتين .
(٥) زيادة عن السيرة وابن خلكان والروضتين .
(٦) فى الأصل : « الديار المصرية » . والتصويب عن السيرة وابن خلكان والروضتين .

فوصل إليهـا وخرج السلطان إلى لقائه، وأقام يتصيـد[١] حول غَبَاغِب إلى الكُسْوَة حتّى لَقِيَ أخاه الملك العادل وسارا جميعا يتصيّدان[٢]، ثم عادا إلى دمشق؛ فكان دخولها دمشق آخر نهار يوم الأحد حادى عشرين[٣] ذى القعدة سنة ثمانٍ وثمانين وخمسمائة . وأقام السلطان بدمشق يتصيّد هو وأخوه الملك العـادل وأولاده ويتفرّجون في أراضي دمشق، وكأنه وَجَد راحةً ممّـا كان فيه من ملازمة التعب والنَّصَب وسَهَر الليل، فكان ذلك كالوَدَاع لأولاده ، ونَسِيَ عزمَه إلى مصر، وعَرَضت له أمور أُخَر وعَزَماتٌ غيرُ ما تقدّم .

قال آبن شَدّاد : ووصلني كتابُه إلى القُدْس يستدعيني لخدمته ، فخرجت من القدس في يوم الجمعة الثـالث والعشرين من المحرّم سـنة تسع وثمانين وخمسمائة ، وكان الوصول إلى دمشق يومَ الثلاثاء ثاني عشر صفر من السنة . وركب السلطان ليتلقّى الحاجّ في يوم الجمعة خامس عشر صفر، وكان ذلك آخر ركوبه . ولمّـا كانت ليـلة السبت وجد كَسَلًا عظيما وما آنتصَف الليلُ حتّى غشِيته حُمّى صَفْراوية ، وكانت في باطنه أكثرَ ممّا في ظاهره، وأصبح يومَ السبت متكسّلًا، عليه أثر الحُمّى، ولم يُظْهِر ذلك للنـاس ، لكن حضرت عنده أنا والقاضي الفاضل ، فدخل ولدُه الملك الأفضل وطال جلوسُنا عنـده وأخذ يشكو قَلَقَه بالليل ، وطاب له الحديث إلى وقت الظهر، ثم آنصرفنا وقلوبنا عنده، فتقدّم إلينا بالحضور على الطعام في خدمة

(١) عبارة الأصـل . « ونصيـد حول الكسوة » . وما أثبتناه عن الروضتين وآبن خلكان . وغباغب : قرية في أول عمل حوران من نواحي دمشق بينهما ستة فراسخ . والكسوة : قرية هي أول منزل تنزله القوافل إذا خرجت من دمشق إلى مصر (عن معجم البلدان لياقوت) .

(٢) في الأصل : « وسارا جميعا حتى يتصيدان » . وما أثبتناه عن الروضتين وآبن خلكان .

(٣) في الأصـل : « حادى عشر ذى القعدة » . وفي آبن خلكان : « حادى عشر ذى الحجة » وكلاهما خطأ . والتصويب عن السيرة والروضتين .

ولده الأفضل، ولم يكن للقاضي الفاضل في ذلك عادةٌ فانصرف، ودخلتُ إلى الإيوان القبليّ وقد مُدّ السماط، وابنه الملك الأفضل قد جلس موضعَه، فانصرفتُ وما كانت لي قوة للجلوس استيحاشًا له، وبكى في ذلك اليوم جماعة تفاؤلًا بجلوس ولده الأفضل موضعَه. ثمّ أخذ المرضُ يتزايد به من حينئذ، ونحن نلازم التردّد له طرَفَي النهار، وكان مرضه في رأسه. وكان من أمارات انتهاء العُمُر غَيْبَةُ طبيبه الذي كان قد عرف مزاجَه سَفَرًا وحَضَرًا، ورأى الأطباء فَصْدَه ففصدوه في الرابع، فاشتدّ مرضُه وحلّت[1] رطوبات بدنه، وكان يغلب على مزاجه اليُبْس، فلم يزل المرض يتزايد به حتّى انتهى إلى غاية الضعف، واشتدّ مرضُه في السادس والسابع والثامن، ولم يزل يتزايد ويغيب ذهنُه، ولمّا كان التاسع حدثت له غَشْيَةٌ وامتنع من تناول المشروب، واشتدّ الخوف في البلد، وخاف الناس ونقلوا أقمشتهم من الأسواق، وعلا الناسَ من الكآبة والحزن ما لا يمكن حكايته. ولمّا كان اليوم العاشر من مرضه أَيِس منه الأطبّاء. ثم شرع ولده الملك الأفضل في تحليف الناس له. ثم إنّه تُوُفّي — إلى رحمة الله تعالى — بعد صلاة الصبح من يوم الأربعاء السابع والعشرين من صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة. وكان يوم موته يومًا لم يُصَب الإسلام والمسلمون بمثله بعد فقد الخلفاء الراشدين — رضي الله عنهم — وغشِيَ القلعةَ والمُلْك والدنيا وحشةٌ لا يعلمها إلّا الله تعالى. وبالله لقد كنت أسمع من الناس أنّهم يتمنَّوْن فداء من يعزّ عليهم بنفوسهم، وكنت أتوهّم أنّ هذا على ضَرْب من التجوّز والترخّص إلى ذلك اليوم، فإنّي علمت من نفسي ومن غيري أنّه لو قُبِل الفداء لفدى

(١) في الروضتين وابن خلكان والسيرة: «وقلّت».

بالأنفس . ثم جلس ولدُه الملك الأفضل للعَزاء وغسّله أبو القاسم ضياء الدّين عبد الملك بن زيد الدَّوْلَعِيّ[1] خطيب دمشق ، وأُخرج تابوت السلطان — رحمه الله تعالى — بعد صلاة الظهر مسجًّى بثوب فُوَط، فآرتفعت الأصواتُ عند مشاهدته ، وعظم الضَّجيج وأخذ الناسُ فى البكاء والعويل ، وصَلّوا عليه أرْسالًا ، ثم أُعيد إلى داره التى فى البستان ، وهى التى كان متمرِّضا بها ، ودُفِن فى الصِّفّة الغربيّة منها . وكان نزوله فى حُفرته قريبًا من صلاة العصر . ثم أطال آبن شَدّاد القول فى هذا المعنى إلى أن أنشد فى آخر السيرة بيتَ أبى تمّام الطائىّ، وهو قوله :

ثم آنقضتْ تلك السِّنُون وأهلُها * فكأنّها وكأنّهم أحلامُ

ولقد كان — رحمه الله تعالى — من محاسن الدنيا وغرائبها .

ثم ذكر آبن شَدّاد أنّه مات ولم يخلِّف فى خزائنه من الذهب والفضّة إلا سبعة وأربعين درهما ناصريّة ودينارا واحدا[2] ذهبا صُوريًّا ، ولم يخلِّف مِلْكا ولا دارًا ولا عقارا ولا بُستاناً ولا قريةً ولا مَزْرَعةً . وفى ساعة موته كتب القاضى الفاضل إلى ولده الملك الظاهر صاحب حلب بطاقةً مضمونها :

« لقد كان لكم فى رسول الله أُسْوةٌ حسنةٌ . إنّ زَلْزَلَةَ الساعة شىء عظيم . كتبتُ إلى مولانا السلطان الملك الظاهر، أحسن الله عَزاءه وجَبَرَ مُصابَه ، وجعل

(١) الدولعى ، نسبة إلى الدولعية : قرية كبيرة بينها وبين الموصل يوم واحد على سير القوافل فى طريق نصيبين . وسيذكر المؤلف وفاته سنة ٥٩٨ هـ .

(٢) فى الأصل هكذا : « وجرما واحدا » . وفى السيرة هكذا : « وجرم واحد » . وما أثبتناه عن الروضتين .

فيه الخَلَف لمماليك المرحوم وأصحابه[1]، وقد زُلزِل المسلمون زِلزالًا شديدا ، [وقد حفَرت الدموعُ المحاجر، وبلغت القلوبُ الحناجر، وقد ودّعتُ أباك ومخدومى وَدَاعًا لا تلاقىَ بعده][2] ؛ وقد قبّلت وجهَه عنّى وعنك ، وأسلمتُه إلى الله تعالى مغلوبَ الحيلة، ضعيفَ القوّة ، راضياً عن الله ، ولا حولَ ولا قوّة إلّا بالله ؛ وبالباب من الجنود المجنّدة ، والأسلحة المُغْمَدة ؛ ما لا يدفع البلاء ، ولا يردّ القضاء[3] ، وتدمَعُ العين ويخشَع القلب، ولا نقول إلّا ما يُرضى الربّ؛ وإنّا عليك يا يوسفُ لمحزونون. وأمّا الوصايا فما يُحتاج إليها، والآراء فقد شغلنى المُصاب عنها ؛ وأمّا لائح الأمر فإنّه إن وقع آتّفاق فما عدمتم إلا شخصَه الكريم ، وإن كان غير ذلك فالمصائب المستقبلة أهونها موتُه، وهو الهول العظيم والسلام » . انتهى كلام القاضى الفاضل بما كتبه للملك الظاهر .

قال آبن خلّكان : « وآستمرّ السلطان صلاح الدين مدفونًا بقلعة دمشق إلى أن بُنِيت له قُبّـة شمالىّ الكَلّاسَة[4] التى هى شمالىّ جامـع دمشق، ولها بابان ، أحدهما إلى الكَلّاسَة والآخر فى زُقاق غير نافذ ؛ وهو مجاور المدرسة العزيزيّة . ثم نُقِل من مدفنه بالقلعة إلى هذه القُبّة فى يوم عاشوراء فى يوم الخميس من سنة آثنتين وتسعين وخمسمائة . ثم إنّ ولده الملك العزيز عثمان لـمّا ملك دمشق من أخيه الملك الأفضل بنى إلى جانب هذه القبّـة المدرسـة العزيزيّة » . قلت : فى أيّامـه بَنَى الحِصنَ

(١) كذا فى عقد الجمان ومرآة الزمان . وفى الأصل وابن خلكان : «وجعل فيه الخلف فى الساعة المذكورة» . وانظر هذا الكتاب فى هذين الكتابين ففيه اختلاف وزيادة عما فى الأصل .

(٢) زيادة عن ابن خلكان . (٣) فى الأصل : « ولا ملك يرد القضاء » .

(٤) فى الأصل : «الكاسة» . وما أثبتناه عن ابن خلكان والسيرة وشرح القاموس .

بهاء الدين قَـرَاقُوش قلعــة الجبل[1] ثم قلعة المَقْس[2] ثم سُورَ القاهرة، ودَرْعُ الدور المذكور سبعة[3] وعشرون ألف ذراع وثلثمائة ذراع .

قال آبن خلّكان : «وكان السلطان صلاح لمّا ملك الديار المصرية لم يكن بها شيء من المدارس ، فإنّ الدولة المصرية كان مذهبها مذهب الإماميّة[4] ، فلم يكونوا يقولون بهذه الأشياء[5]، فعمّر السلطان صلاح الدين بالقرافة الصغرى المدرسة

(١) قلعة الجبل : هذه القلعة لا تزال موجودة إلى اليوم قائمة بأسوارها العالية على قطعة مرتفعة متصلة من جبل المقطم شرقي القاهرة تشرف على ميدان صلاح الدين بل على القاهرة كلها ، أنشأها الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب في سنة ٥٧٢ هـ . وكان يقيم بها بعض الأيام . وسكنها ابنه الملك العزيز عثمان في أيام أبيه مدّة ثم انتقل منها إلى دار الوزارة . ولما تولى الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب سلطنة مصر أتم بناء القلعة في سنة ٦٠٤ هـ ، وأنشأ بها الدور السلطانية . وقد استمرت من ذلك الوقت دار مملكة مصر حيث كان بها الدور السلطانية ودور دواوين الحكومة إلى زمن الأسرة المحمدية العلوية . وفي عهد الخديوي إسماعيل نقل من القلعة ما كان باقيا بها من تلك الدور والدواوين إلى دور أخرى بالمدينة . وقد أنشأ محمد على باشا الكبير والى مصر في هذه القلعة أبنية كثيرة في مقدّمتها جامعه الفخم الذي يشرف على المدينة وضواحيها ، ثم سراى الجوهرة وأبنية الدواوين القـديمة وثكنات العسكر وغيرها من المبانى التي لها علاقة بالأعمال الحربية . ولا تزال القلعة الى اليوم يسكنها العسكر وبها من الآثار بئر يوسف التي أنشأها الملك الناصر يوسف صلاح الدين ومسجد قديم أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة ٧١٨ هـ ، ولا يزال قائما بجوار جامع محمد على باشا . ويوجد في الزاوية البحرية الشرقية من القلعة جامع قـديم يعرف باسم سيدى سارية أنشأه فخر الدين أبو منصور قسطة الأرمنى في سنة ٥٣٥ هـ . ثم جدده سليمان باشا الخادم والى مصر سنة ٩٣٥ هـ . أثناء ولايته الأولى على مصر (راجع ص ٢٠٢ و ٢٠٣ و ٢٠٤ من الجزء الثاني من الخطط المقريزية عند الكلام على القلعة وما كان عليه موضعها) .

(٢) قلعة المقس : راجع الحاشية رقم ٤ ص ٣٩ من الجزء الرابع من هذه الطبعة . (٣) الذي تقدم في الجزء الرابع ص ٤٠ من هذه الطبعة أن طول السور تسعة وعشرون ألف ذراع وثلثمائة ذراع وذراعان .

(٤) الإمامية هم القائلون بإمامة على بن أبى طالب بعد النبي عليه الصلاة والسلام . (عن الملل والنحل للشهرستانى) . (٥) نص الجبرتى بصريح اللفظ في الجزء الثاني من كتابه عجائب الآثار في ترجمة الأمير عبد الرحمن كتخدا القازدغلى . أن الأمير المذكور عمر المسجد المجاور لضريح الإمام الشافعى في مكان المدرسة الصلاحية التي أنشأها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب سنة ٥٧٢ هـ . ومن هذا يعلم أن مدرسة صلاح الدين التي تعرف بالمدرسة الصلاحية بجوار قبة الامام الشافعى — وكانت تاج المدارس بل أعظمها قدرا لشرفها بجوار الامام الشافعى — محلها اليوم جامع الإمام الشافعى — رضى الله عنه — . ويؤيد الجبرتى في ذلك ما ذكره المقريزى في الجزء الثاني من خططه عند الكلام على المدرسـة الناصرية بالقرافة ، وبما ذكره السخاوى في كتاب التبر المسبوك ، وبمـا ذكره جلال الدين السيوطى في الجزء الثاني من كتاب حسن المحاضرة في كلامه على المدرسة الصلاحية .

المجاورة للإمام الشافعىّ — رضى الله عنه — وبنى مدرسة[1] مجاورة للشهد المنسوب للحسين ابن علىّ — رضى الله عنهما — بالقاهرة . وجعل دار سعيد السّعداء خادم الخلفاء المصريين خانقاه[2]، ووقف عليها وقفا هائلا؛ وكذلك وقف على كلّ مدرسة عمّرها وقفا جيّدا، وجعل دار عبّاس الوزير العُبَيْدى مدرسة[3] للحنفيّة ، وأوقف عليها وقفا جيّدا أيضا وهى بالقاهرة، وبنى المدرسة التى بمصر المعروفة [بابن][4] زين التجّار للشافعيّة، ووقف عليها وقفا جيّدا ، وبنى بالقصر داخل القاهرة بِيمَارِسْتَانًا[5] ، وأوقف له وقفا جيدا؛ وله بالقُدْس مدرسة وخانقاه».

قال ابن خلّكان : « ولقد فكّرت فى نفسى فى أمور هذا الرجل، وقلت : إنه سعيد فى الدنيا والآخرة ، فإنّه فعل فى الدنيا هذه الأفعال المشهورة من الفتوحات الكثيرة وغيرها، ورتّب هذه الأوقاف العظيمة، وليس شىء منسوبا إليه فى الظاهر،

---

(١) بعد أن تكلم المقريزى فى الجزء الأوّل ص ٤٢٧ من خططه على الخزائن التى كانت بالقصر الكبير تكلم أيضا على المشهد الحسينى، ويستفاد مما ذكره أن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب لما ملك مصر جعل بالمشهد الحسينى حلقة تدريس وفقهاء وفوضها للفقيه البهاء الدمشقى ، وكان يجلس للتدريس فيها عند المحراب الذى من خلفه الضريح. ولما آل أمر المشهد الى الوزير معين الدين حسين ابن شيخ الشيوخ ابن حمويه بنى به إيوان التدريس. ومن هذا يتضح أن مدرسة صلاح الدين التى كانت بجوار المشهد الحسينى بالقاهرة أصبحت اليوم ضمن المسجد الحسينى الشهير باسم جامع سيدنا الحسين ، ومحلها فى الإيوان الشرقى عند المحراب الحالى للجامع . (٢) خانقاه سعيد السعداء . هذه الخانقاه سبق الكلام عليها صفحة ٥٠ من الجزء الرابع من هذه الطبعة . (٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٩٠ ، والسطر الثالث ص ٣١ من الجزء الخامس من هذه الطبعة . (٤) زيادة عن المقريزى . وهذه المدرسة هى بذاتها المدرسة الشريفية التى سبق الكلام عليها بصفحة ٣٨٥ بالجزء الخامس من هذه الطبعة باسم مدرسة للشافعية . ويستفاد مما ذكره المقريزى بالجزء الثانى ص ٣٦٣ من خططه عند الكلام على المدرسة الناصرية التى بجوار الجامع العتيق بمصر أن هذه المدرسة عرفت أولا بالمدرسة الناصرية ثم عرفت بابن زين التجار نسبة الى أبى العباس أحمد بن المظفر ابن الحسين الدمشقى المعروف بابن زين التجار أحد علماء الشافعية ، ودرس بهذه المدرسة مدّة طويلة فعرفت باسمه . ومات رحمه الله فى ذى القعدة سنة ٥٩١ هـ، ثم عرفت بعد ذلك بالمدرسة الشريفية وقد سبق الكلام عليها فى الحاشية رقم ١ ص ٣٨٥ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

(٥) هذا البيمارستان سبق الكلام عليه بالحاشية رقم ٣ صفحة ١٠١ بالجزء الرابع من هذه الطبعة باسم البيمارستان العتيق .

وإنّ المدرسة التى بالقرافة ما يسمّونها الناس إلّا بالشافعى، والمجاورة للشهد لا يقولون إلّا المشهد، والخانقاه لا يقولون إلّا سعيد السعداء، والمدرسة الحنفيّة لا يقولون إلا السيوفيّة، والتى بمصر لا يقولون إلّا مدرسة زَيْن التجّار، والتى بمصر أيضا مدرسة المالكيّة، وهذه صدقة السرّ على الحقيقة. والعجب أنّ له بدمشق فى جانب البِيمارِسْتان النُّورِىّ مدرسة أيضا، ويقال لها : الصلاحيّة، وهى منسوبة إليه وليس لها وقف. قال : وكان مع هذه المملكة المتّسعة والسلطنة العظيمة كثير التواضع واللطف قريبا من الناس رحيمَ القلب كثير الاحتمال والمداراة، وكان يحبّ العلماء وأهل الخير ويقرّبهم ويُحسن إليهم ؛ وكان يميل إلى الفضائل ، ويستحسن الأشعار الجيّدة ويردّدها فى مجالسه، حتّى قيل : إنّه كان كثيرًا ما يُنشِد قول أبى المنصور محمد بن الحسين بن أحمد بن الحسين بن إسحاق الحِمْيَرىّ، وهو قوله :

وزارنى طَيْفُ مَنْ أهوى على حَذَرٍ * من الوُشاة وداعِى الصبح قد هَتَفا
فكدتُ أوقِظ مَنْ حولى به فَرَحًا * وكاد يَهْتِك سِترَ الحبّ بى شَغَفَا
ثم انتبهتُ وآمالى تخيّل لى * نَيْلَ المنى فاستحالت غِبْطَتِى أَسَفا

وقيل : إنّه كان يُعجبه قول نَشْو المُلْك أبى الحسن علىّ بن مفرّج المعروف بابن المنجّم المغربىّ[1] الأصل المصرىّ الدار والوفاة، وهو فى خِضاب الشَّيْب وأجاد :

وما خضبَ الناسُ البياض لقُبْحِهِ * وأقبحُ منه حين يظهر ناصِلُهْ
ولكنّه مات الشبابُ فَسُوِّدت * على الرسم من حُزْنٍ عليه منازله

قالوا : فكان [إذا قال : مات الشباب][2] يُمسك كريمته وينظر إليها ويقول : إى واللهِ مات الشباب ! . وذكر العماد الكاتب الأصبهانىّ فى كتابه الخريدة أنّ السلطان صلاح الدين فى أوّل ملكه كتب إلى بعض أصحابه بدمشق :

(١) فى ابن خلكان : «المعرى» . (٢) زيادة عن ابن خلكان .

أيُّها الغائبونَ عَنّا وإن كنـ * ـتم لقلبي بذكركم جيرانَا
إنّني مـذ فقـدتكم لأراكم * بعيون الضمير عنـدي عِيانا

قال ابن خلّكان : وأمّا القصيدتان اللتان ذكرتُ أنّ سِبْط بن التَّعاوِيذيّ أنفذهما إليه من بغداد، وأنّ إحداهما وازَنَ بها قصيدة صَرَّدَرّ[1] الشاعر، وقد ذكرت منها أبياتا في ترجمة الكُنْدُرِيّ[2] وأوّلها :

أكذا يُجازى ودّ كُلّ قرينِ * أم هـذه شِيمُ الظّباءِ العِينِ

ثم ذكر قصيدة سبط [بن] التَّعاوِيذيّ . وهي على هذا الوزن أضربتُ عن ذكرها لطولها . ثم قال ابن خلّكان : وأمّا القصيدة الثانيـة (يعني التي كتبها إليه الخليفة في أوائل أمر صلاح الدين) قال : فمنها قوله :

حتّامَ أرْضَى في هواكَ وتغضبُ * وإلى متى تجْني عليّ وتَعْتِبُ
ما كانَ لي لولا مَلالُك زلّةٌ * لمّا مَلِلتَ زعمتُ أنّي مذنبُ
خذ في أفانين الصدود فإنّ لي * قلباً على العِـلّات لا يتقلّبُ
أتظنّني أضمرتُ بعـدك سَلْوَةً * هيهات عطفُك من سلوّي أقربُ
لي فيك نار جوانح ما تنطـفي * حزنا وماء مدامع ما ينْضُبُ
أنسيتَ أيّاما لنـا ولياليًا * للهـو فيها والبَطالةَ مَلْعَبُ
أيامَ لا الواشي يعُـدّ ضلالةً * وَلَهي عليك ولا العـذولُ يؤنّبُ
قد كنتَ تُنْصِفُني المودّةَ راكبًا * في الحبّ من أخطاره ما أركبُ

(١) هو الرئيس أبو منصور علي بن الحسن بن الفضل الكاتب المشهور بصرّدرّ . وقد ذكر المؤلف وفاته سنة ٤٦٥ هـ (ح ٥ ص ٩٤) من هذه الطبعة . (٢) هو أبو نصر محمد بن منصور بن محمـد الملقب عميد الملك الكندري ، كان من رجال الدهر جودا وسخاء وكتابة وشهامة . استوزره السلطان طغرلبك السلجوقي . وقد ذكر المؤلف وفاته سنة ٤٥٧ هـ (ح ٥ ص ٧٦) من هذه الطبعة . وفي الأصل هنا « الكندي » وهو خطأ . وما أثبتناه عن ابن خلكان وديوان سبط بن التعاويذي .

واليوم أقنع أن يمرّ بمضجعي * فى النوم طَيْفُ خيالكَ المتأوِّبُ
ما خلتُ أنّ حديد أيّام الصِّبا[1] * يَبْلَى ولا ثوبَ الشّبيبة يُسْلَبُ
حتّى انجلى ليلُ الغَوَايةِ واهتدى * سارى الدجى وانجاب ذاك الغَيْهَبُ[2]
وتنافر البِيضُ الحسان فأعرضتْ * عنّى سُــعاد وأنكرتنى زينبُ
قالت وريعتْ من بياض مَفَارِقى * ونحولِ جسمى بان منك الأطيب
إن تُنْكِرى سُقْمِى فخصرُكِ ناحلٌ * أو تُنْكِرى شيبى فثغرُكِ أشنبُ
يا طالبًا بعــد المشيب غَضَارةً * من عيشه ذَهَبَ الزمانُ المُذْهَبُ
أتروم بعــــد الأربعين تَعُدُّها * وصلَ الدُّمَى هيهات عزّ المطلبُ

والقصــيدة طويلة ذكرها ابن خلّكان، وقد نقلتها من خط غيره . ثم قال
ابن خلّكان : وقــد مدحه جميع شعراء عصره، فمنهم العَلَم الشّاتانِىّ[3] واسمه الحسن
— رحمه الله — مدحه بقصيدة أوّلها :

أرى النصر مقرونًا برايتك الصُّفْرا * فسِرْ واملِكِ الدنيا فأنت بها أحرى

ومدحه المهذّب أبو حفص عمر بن محمد بن علىّ بن أبى نصر المعروف بابن الشِّحْنَة
الموصلىّ الشاعر المشهور بقصيدته التى أوّلها :

سـلام مَشُوقٍ قد بَرَاه التشوّقُ * على جيرة الحىّ الذين تفرّقـوا

وعدد أبياتها مائةٌ وثلاثةَ عشرَ بيتا، وفيها البيتان السائران أحدهما :

وإنّى امرؤٌ أحببتُكم لمكارمٍ * سمعت بها والأُذْنُ كالعين تَعْشَقُ

(١) رواية هذا البيت فى الديوان :
ما خلت أوراق الصبا تذوى لنا * ربّهـا ولا ثوب الشــبيبة يسلب
(٢) فى الأصل : « وانساب » وهو تحريف . وما أثبتناه عن ابن خلكان والديوان .
(٣) الشاتانى، نسبة إلى شاتان : قلعة بديار بكر، وهو الحسن بن على بن سـعيد بن عبد الله أبو الحسن علم الدين . كان أديبا شاعرا فاضلا . وكانت وفاته سنة ٥٧٩ هـ كما فى ياقوت أو سنة ٥٩٩ هـ كما فى ابن خلكان . وفى الأصل : « الساماتى » وهو تحريف .

وقد أخذ هذا المعنى من قول بَشّار بن بُرْد، وهو :

يا قوم أُذْني لبعض الحي عاشقةٌ * والأُذْنُ تَعْشَقُ قبل العَيْنِ أحيانا

والبيت الثاني من قول آبن الشِّحْنَة المذكور .

وقالت لي الآمال إن كنتَ لاحقًا * بأبناء أيّوب فأنت الموفّق

قال : ومدحه آبن قَلَاقِس(١) وآبن الذِّرْوِيّ(٢) وآبن المنجّم(٣) وآبن سناء الملك(٤) وآبن الساعاتي(٥) والإربليّ(٦) ومحمد بن إسماعيل بن حمدان . انتهى ما أوردته من كلام آبن خلّكان ومن كلام آبن شدّاد وآبن الأثير وآبن الجوزيّ وغيرهم بآختصار .

وقال العلّامة أبو المظفّر في تاريخه مرآة الزمان : « ولمّا كان في سادس عشر صفر وجد السلطان كَسَلًا وحمّ حُمّى صفراويّة، ثم ذكر نحوًا ممّا ذكره آبن شدّاد إلى أن قال : وأحضر الأفضلُ (يعني ولده) الأمراءَ : سعد الدين مسعودا أخا بدر الدين مودود شِحْنة دِمَشق، وناصر الدّين صاحب صِهْيَوْن، وسابق الدين عثمان صاحب شَيْزَر آبن الداية، وميمونا القَصْريّ(٧)، والبكى الفارسي، وأيْبَك فُطَيْس، وحُسام الدين

(١) هو أبو الفتوح نصر الله بن عبد الله بن مخلوف بن علي بن عبد القوي بن قلاقس القاضي الأعز الشاعر المشهور الاسكندري الأزهري، كان شاعرا مجيدا، وفاضلا نبيلا. توفي ثالث شوّال سنة ٥٦٧ هـ (عن ابن خلكان). (٢) الذّروىّ : نسبة الى ذروة، بلد باليمن، وهو وجيه الدين علي بن الحسين ابن الذّروىّ أبو الحسن من مشاهير الشعراء بمصر. (٣) هو نشو الملك أبو الحسن علي بن مفرج المعروف بابن المنجم (عن ابن خلكان) وكما تقدم للمؤلف ص ٥٦ من هذا الجزء. (٤) هو أبو القاسم القاضي السعيد ابن سناء الملك هبة الله ابن القاضي الرشيد أبي الفضل جعفر بن المعتمد سناء الملك الشاعر المشهور المصري صاحب ديوان الشعر البديع والنظم الرائق، أحد الفضلاء الرؤساء النبلاء — وسيذكر المؤلف وفاته سنة ٦٠٨ هـ. (عن شذرات الذهب وابن خلكان) (٥) هو بهاء الدين علي بن محمد بن رستم بن هردوز المعروف بابن الساعاتي المصري، شاعر مبرز في حلبة المتأخرين، له ديوان شعر أجاد فيه كل الإجادة، وديوان آخر لطيف، سماه مقطعات النيل. توفي سنة ٦٠٤ هـ (عن ابن خلكان وشذرات الذهب).

(٦) هو محمد بن يوسف بن محمد الملقب موفق الدين الإربليّ الشاعر المشهور كان إماما مقدما في علم العربية، ومن أعلم الناس بالعروض وأحذقهم بنقد الشعر، وأعرفهم بجيده من رديئه، واشتغل بعلوم الأوائل. أقام بشهرزور مدة ثم رحل الى دمشق ومدح السلطان صلاح الدين. توفي سنة ٥٨٥ هـ (عن عقد الجمان).

(٧) في الأصل : «وعون الدين القصري» . وما أثبتناه عن مرآة الزمان وابن الأثير وعقد الجمان.

بِشَارة، وأسامة الحلبيّ[(١)] وغيرهم، فاستحلفهم لنفسه. وكان عند السلطان أبو جعفر إمامُ الكَلّاسَة يقرأ القرآن، فلمّا آنتهى إلى قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَادَةِ﴾، وكان قد غاب ذهنه فتح عينيه، وقال: صحيح. ثم قال أبو المظفّر: وغسّله آبنُ الدَّوْلَعِيّ، وصلّى عليه القاضي محيي الدّين بن الزَّكِيّ. وبعث القاضي الفاضل له الأكفان والحنوط من أجلّ الجهات. ثم قال: «وقال العماد الكاتب: دخلنا عليه ليلة الأحد للعيادة، ومرضه في زيادة؛ وفي كلّ يوم تضعف القلوب، وتتضاعف الكروب؛ ثم آنتقل من دار الفناء، إلى دار البقاء، سَحَر يوم الأربعاء؛ ومات بموته رجاء الرجال، وأظلم[(٢)] بغروب شمسه فضاء الإفضال. ورثاه الشعراء؛ فمن ذلك قول بعضهم[(٣)]:

شَمْلُ[(٤)] الهُـدَى والملكِ عمّ شتاتُه * والدهرُ ساء وأقلعت حسـناتُهُ
بالله أين النـاصر الملك الذى * لله خالصـةً صفَتْ نيّـاتُهُ
أين الذى [مذ][(٥)] لم يزل مخشيّـةً * مرجـوّةً رَهَبَـاتُه وهِبَـاتُهُ
أيـن الذى كانت له طاعاتُنـا * مبـذولةً ولربّه طـاعاتُهُ
أين الذى ما زال سـلطاناً لنـا * يُرْجَى نَدَاهُ ويُتّـقى سَـطَواتُهُ
أين الذى شَرُفَ الزمان بفضـله * وسَمَتْ على الفضـلاء تشريفاتُهُ

(١) في الأصل: «أسامة الحلى». (٢) كذا في الفتح القسى ومرآة الزمان. وفي الأصل: «أعرب». (٣) هو العماد الكاتب الأصفهاني ختم بها مؤلفه «البرق الشامي» كما في حسن المحاضرة للسيوطي والروضتين ومرآة الزمان وعقد الجمان. (٤) رواية هذا البيت في الأصل:

شمل الهوى والملك عمّ شتاته * والدهر ساء وقلت حسناته

والتصويب عن مرآة الزمان وحسن المحاضرة للسيوطي والروضتين وعقد الجمان.

(٥) رواية البيت في الأصل هكذا:

أين الذى لم تزل مخشوّة * مرجوة هباته وهباته

والتصويب عن الروضتين.

لا تحسبوه مات شخصا واحدا * قد عَمّ (١) كلّ العالمين مماتُهُ
ملكٌ عن الإسلام كان محاميًا * أبدًا لماذا أسلمته حُماتُهُ
قد أظلمتْ مذ غاب عنّا دُورُه * لمّا خلتْ من بَدْرِه داراتُهُ
دُفِن السماح فليس تُنشَرُ بعدما * أودَى إلى يوم النشور رُفاتُهُ
الدين بعد أبي المظفّر يُوسفٍ * أقوت (٢) قُراه وأقفرتْ ساحاتُهُ
بحرٌ خلا من وارديه ولم تزل * محفوفةً بوروده حافاتُهُ
مَن لليتامى والأرامل راحمٌ * متعطّفٌ مفضوضةٌ صدقاتُهُ
لو كان في عصر النبيّ لأُنزِلت * في ذِكْرِه من ذكْرِه آياتُهُ
بكت الصوارم والصواهل إذخلتْ * من سَلِّها (٣) وركوبها عَزَماتُهُ
يا وحشةَ الإسلام حين تمكّنت * من كلّ قلب مؤمن روعاتُهُ
يا راعيًا للدين حين تمكنت * منه الذئاب وأسلمتهُ رُعاتُهُ
ما كان ضرّك لو أقمتَ مراعيًا * دينا تولّى مذ رحلتَ وُلاتُهُ
فارقتَ مُلكًا غيرَ باقٍ متعبًا * ووصلتَ مُلْكا باقيا راحاتُهُ
فعلى صلاح الدين يوسفَ دائمًا * رِضْوانُ ربِّ العرش بل صلواتُهُ (٤)

(١) رواية مرآة الزمان: « لا مل عم كل ... الخ » . ورواية الروضتين وعقد الجمان:
* تمات كل العالمين مماته *

(٢) في الأصل: « أقوت قواه » . وما أثبتناه عن مرآة الزمان وعقد الجمان .

(٣) رواية الأصل: * من مهلها وركوبها عزماته * ورواية الروضتين:
* من سلها وركوبها عزواته * وما أثبتناه عن عقد الجمان ومرآة الزمان .

(٤) وهي قصيدة طويلة ، قال صاحب مرآة الزمان: « إن عدد أبياتها مائتان وعشرون بيتا » .
وقال صاحب الروضتين: « إنها مائتان واثنان وثلاثون بيتا » . وفي حسن المحاضرة للسيوطي وعقد الجمان:
« إنها مائتان وثلاثون بيتا » .

ذكر أولاد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب — رحمه الله —

كانوا ستّة عشر[1] ذكرا وآبنــة واحدة ، أكبرُهم الأفضل علىّ ، وُلِد بمصر سنة خمس وستّين يوم عيد الفطر . وأخوه لأبيه وأمّه الملك الظافر خِضر، وِلد بمصر سنة ثمان وستين . وأخوهما أيضا لأبيهما وأمّهما قطب الدين موسى، ولِد بمصر سنة ثلاث وسبعين . فهؤلاء الثلاثة أشقّاء . ثم الملك العزيز عثمان الذى ملك مصر بعد أبيه ، ولِد بها سنة سبع وستين[2] . وأخوه لأبيه وأمّه الأعزّ يعقوب، ولِد بمصر سنة آثنتين وسبعين . والملك الظاهر غازى صاحب حلب ، ولِد بمصر سنه ثمان وستين . وأخوه لأبيه وأمّه الملك الزاهر داود ، ولِد بمصر سنة ثلاث وسبعين . والملك المعز إسحاق، ولِد سنة سبعين . والملك المؤيّد مسعود، ولِد بدمشق سنة إحدى وسبعين . والملك الأشرف محمد ، ولِد بالشام سنة خمس وسبعين . وأخوه أيضا لأبيه وأمّه الملك المحسن أحمد ، ولِد بمصر سنة سبع وسبعين . وأخوه أيضا لأبيه وأمّه الملك العالب ملكشاه، ولِد بالشام سنة ثمان وسبعين . وأخوهم أيضا لأبيهم وأمّهم أبو بكر النصر[3]، ولد بحَرّان بعد وفاة أبيه سنة تسع وثمانين . والبنت مؤنسة خاتون تزوّجها آبن عمّها الملك الكامل — الآتى ذكره — ابن الملك العادل وماتت عنده .

وملك بعد السلطان صلاح الدين مصرَ آبنُه الملك العزيزُ عثمان الآتى ذكره إن شاء الله تعالى وملك دمشقَ بعده آبنُه الملك الأفضل علىّ، وملك حلبَ آبنه

---

(١) كذا فى الأصل ومرآة الزمان وفى الروضتين والسيرة والفتح القسى وعقد الجمان : « سبعة عشر » . لم يذكر المؤلف منهم الا ثلاثة عشر. وبقيتهم كما فى الروضتين : الجواد أبو سعيد أيوب ركن الدين. والأشرف المعظم أبو منصور توران شاه فخر الدين . وعماد الدين شادى . ونصرة الدين مروان .

(٢) فى الأصل : « سنة تسع وستين » . وما أثبتناه عن ابن خلكان ومرآة الزمان والروضتين .

(٣) فى مرآة الزمان : «وأبو بكر ويلقب بالنصرة» بالباء الموحدة . وفى الروضتين : «المنصور أبو بكر» .

الظاهر غازى كما كانوا أيام أبيهم . ثم وقع بين الملك العزيز والأفضل أمور نذكرها فيما يأتى إن شاء الله تعالى . انتهت ترجمة السلطان صلاح الدين — رحمه الله — . ونذكر الآن ما وقع فى أيامه من الحوادث، ومن تُوُفِّى من الأعيان فى زمانه على سبيل الاختصار على عادة هذا الكتاب . وبالله المستعان .

٥

***

السنة الأولى من ولاية الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيّوب على مصر، وهى سنة سبع وستين وخمسمائة . (أعنى سلطنته بعد موت العاضد العُبَيْدىّ آخر خلفاء الفاطميّين بمصر) . وأمّا وزارته فكانت قبل ذلك بمدّة من يوم مات عمّه الملك المنصور أسد الدين شِيرِكُوه بن أيّوب فى يوم السبت ثانى عشر جمادى الآخرة سنة أربع وستين وخمسمائة . وقد ذكرنا حوادث وزارته فيما مضى ، ونذكر الآن من يوم سلطنته بعد الخليفة العاضد (أعنى حوادث سنة سبع وستين وخمسمائة) .

١٠

فيها خطب لبنى العباس بمصر وأبطل الخطبة لبنى عُبَيْد حسب ما تقدّم ذكره فى ترجمة العاضد ، وفى ترجمة صلاح الدين أيضا ؛ ولمّا وقع ذلك كتب العماد الكاتب عن السلطان صلاح الدين لنور الدين الشهيد يُخبِره بذلك :

١٥

قد خَطَبْنا للمستضىء بمصر * نائبِ المصطفى إمامِ العصر
ولدينا تضاعفتْ نِعَمُ اللّـ * ـه وجلّت عن كلّ عدٍّ وحَصْر
واستنارت عزائمُ الملك العا * دل نورِ الدين الهُمَامِ الأغرّ

وفيها بعث الملك العادل نور الدين محمود المذكور بالبشارة للخليفة المستضىء على يد الشيخ شهاب الدين المطهّر بن شرف الدين بن أبى عَصْرُون، فلمّا وصل

٢٠

شهاب الدين المذكور للخليفة قال فى المعنى آبن الحَرَسْتَانِىّ[(١)] الشاعر المشهور قصيدة أوّلها :

جاء البشير فَسُرّ الناس وآبتهجوا * فما على ذى سرورٍ بعدها حَرَجُ

وخلَع الخليفةُ على شهاب الدين المذكور . ثم بعث جواب الملك العادل على ٥ يد الخادم صَنْدَل[(٢)] وعلى يديه الخِلعُ والتقاليدُ له ، وفى الخِلعة الطَّوْقُ وفيه ألف دينار والفرجيّة والعِمامة ، ثم أرسل مع الخادم المذكور لصلاح الدين صاحب الترجمة خِلعًا دون خِلع نور الدين . وبعث أيضا لنور الدين سيفا قلّده للشام[(٣)] ، ثم سيفا آخر قلّده بمصر ، ويكون صلاح الدين نائبه بمصر . و زُيّنت بغداد وضُربت القِبابُ لذلك .

وفيها وقعت الوحشة بين نور الدين وصلاح الدين . هذا لأمر ذكرناه فى أوائل ١٠ ترجمة صلاح الدين ، ثم سكن ذلك .

وفيها توُفّى حَسّان بن نُمَيْر الكلبىّ أبو النَّدَى الشاعر المشهور المعروف بعَرْقَلة الدمشقىّ ، ويقال له عرقلة من حاضرة دمشق ، كان شيخا خليعا أعورَ مطبوعا لطيفا ظريفا ، كان آختصّ بالسلطان صلاح الدين وله فيه مدائح ، وله شعر رائق كثير ، من ذلك قصيدته المشهورة :

١٥ كتَم الهوى فَوَشَتْ عليه دموعُهُ * من حَرِّ نارٍ تحتويه ضلوعُهُ
صبٌّ تشاغَل بالربيع وزهره * زمنا[(٤)] وفى وجه الحبيب ربيعُهُ

---

(١) الحرستانى : نسبة الى حرستا ، قرية كبيرة عامرة فى وسط بساتين دمشق على طريق حمص (عن معجم البلدان لياقوت) . (٢) هو عماد الدين صندل ، كان من أكابر الخدم المقتفوىّ (عن عقد الجمان والروضتين) . (٣) عبارة تاريخ الواصلين فى أخبار الخلفاء والملوك والسلاطين ٢٠ (نسخة فى مجلدين مأخوذة بالتصوير الشمسى محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٣١٩ تاريخ) وتاريخ الدول والملوك لابن الفرات : «وجمع له بين تقلد السيفين إشعارا بتقليده الإقليمين . الشام والديار المصرية» . (٤) كذا فى فوات الوفيات : وفى الأصل «قوم» . ورواية البيت فى عقد الجمان :

صب تشاغل بالحبيب وزهره * قـوم ... ... الخ»

يا لائمي فيمَن تمنّع وصلُه * عن صبِّه[1] أحلى الهوى ممنوعهُ
كيف التخلّص إن تجنّى أو جَنَى * والحسنُ شيءٌ ما يُرَدّ شفيعهُ
شمسٌ ولكن في فؤادي حرّها * بدرٌ ولكن في القَباءِ[2] طلوعهُ
قال العواذل ما الذي آستحسنتَهُ * منه وما يَسْبيك قلتُ جميعهُ

وفيها تُوفّى عبد الله بن أحمد بن أحمد بن أحمد العلّامة أبو محمد المعروف بآبن الخَشّاب النحويّ اللغويّ حُجّة العرب ، برَع في فنون العلوم وآنفرد بعلم النحو والعربيّة حتّى فاق أهلَ عصره .

وفيها تُوفّى عبد الله بن أحمد بن الحسين [بن أحمد بن الحسين][3] بن إسحاق أبو محمد الحِميَرِيّ[4] ويعرف بآبن النَّقّار[5] الكاتب . وُلِد بطرابُلس سنة تسع وسبعين وأربعمائة . ولمّا آستولى الفرنج على طرابلس آنتقل منها إلى دمشق ؛ وكان شاعرًا ماهرًا ، ومن شعره — رحمه الله — القصيدة المشهورة التي أوّلها :

بادِر إلى اللّذاتِ في أزمانها * وآركُضْ خيولَ اللّهو في ميْدانِها
وآستقبِل الدنيا بصدرٍ واسعٍ * ما أوسعتْ لكَ من رحيبِ مكانها

وله :

اللهُ يعلم أنّني ما خِلْتُهُ * يصبو إلى الهِجْران حين وصلْتُهُ
مَنْ مُنصِفِي من ظالمٍ مُتعنِّتٍ[6] * يزداد ظلمًا كلّما حكّمتُهُ

(١) في الأصل وعقد الجمان : « عن يعتى » . وما أثبتناه عن فوات الوفيات .
(٢) رواية عقد الجمان : * بدر ولكن في القلوب طلوعه *
(٣) التكملة عن تهذيب تاريخ ابن عساكر . (٤) كذا في الأصل ومرآة الزمان وعقد الجمان . وفي تهذيب تاريخ ابن عساكر : «الحيدي» . (٥) في الأصل : «ابن اليار» وفي عقد الجمان : « ابن البقار» . والتصويب عن مرآة الزمان وتهذيب تاريخ ابن عساكر والخريدة للعماد الكاتب .
(٦) في الأصل : « متعنّس » . وما أثبتناه عن مرآة الزمان وعقد الجمان .

ملّكتُه رُوحى ليحفظ مِلْكَهُ * فأضاعنى وأضاع ما ملّكتُهُ
لا ذنبَ لى إلّا هواه لأنّه[1] * لمّا دعانى للسّقام أجبتُهُ

وفيها توفّى العاضد خليفةُ مصر، حسب ما ذكرناه فى ترجمته .

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم فى هذه السنة، قال : وفيها تُوفّى أبو علىّ أحمد بن محمد ابن علىّ الرُّحَبيّ الحرمىّ[2] فى صفر . وأبو محمد عبد الله بن منصور بن المَوْصِلىّ . وأبو محمد عبدالله بن أحمد بن أحمد [بن أحمد][3] بن الخشّاب النحوىّ . والعاضد عبدالله بن يوسف بن الحافظ العُبَيْدىّ فى المحرّم، وانقضت دولة الرَّفْض عن مصر . وأبو الحسن علىّ بن عبد الله بن خَلَف بن النِّعْمَة الأندلُسىّ[4] بسَبْتَة فى رمضان . وأبو المطهّر القاسم بن الفضل بن عبد الواحد الصَّيْدَلانىّ بأصبهان فى جمادى الأولى، وقد نيّف على التسعين . وأبو المظفّر محمد بن أسعد [بن محمد بن نصر][5] بن حكيم العراقىّ الواعظ شيخ الحنفيّة بدمشق . وأبو المكارم المبارك بن محمد بن المُعَمَّر البَادَرَايِىّ[6] . وأبو العلاء وجيه بن عبد الله السَّقَطِىّ . وأبو بكر يحيى بن سَعْدون القُرْطُبِىّ الأَزْدِىّ[7] نزيل الموصل يوم الفطر .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وسبع أصابع . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وعشرون إصبعا .

---

(١) رواية الخريدة : «لأنى» .

(٢) فى المختصر المحتاج إليه من تاريخ بغداد (نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٢٤ تاريخ اختصار الذهبى وبخطه) وشذرات الذهب «الحريمى» .

(٣) الزيادة عما تقدم ذكره للمؤلف فى وفيات السنة . (٤) فى شذرات الذهب : «الأندلسى البلنسى» . (٥) التكملة : عن «الجواهر المضية فى طبقات الحنفية» . (نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥ م تاريخ) . (٦) البادرايى : نسبة الى بادرايا، بليدة بنواحى واسطا (عن معجم البلدان لياقوت) . (٧) فى الأصل : «الفرى» . وما أثبتناه عن غاية النهاية فى القراءات وشذرات الذهب ومعجم البلدان لياقوت .

⁂

السنة الثانية من ولاية السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب على مصر، وهى سنة ثمان وستين وخمسمائة .

فيها سار الملك العادل نور الدين محمود صاحب دمشق إلى الموصل ، وصلّى بالجامع الذى بناه وسط المَوْصل وتصدّق بمال عظيم . ولمّا علِم صلاح الدين صاحب الترجمة بتوجّهه إلى الموصل خرج بعساكره من مصر إلى الشام ، وحصر الكَرَك والشُّوبَك ونَهب أعمالَهما، ثم عاد لمّا بلغه عَوْد نور الدين إلى الشام . وهذه أوّل غزوات صلاح الدين .

وفيها تُوُفّى الأمير نجم الدين أيّوب بن شادى بن مَرْوان والد صلاح الدين المذكور . كان أميرًا عاقلًا حازمًا شجاعًا جَوادًا عاطفًا على الفقراء والمساكين محبًّا للصالحين ، قليل الكلام جدًّا لا يتكلّم إلّا لضرورة . ولمّا قدم مصرَ سأله ولدُه السلطان صلاحُ الدين صاحبُ الترجمة أن يكون هو السلطان ، فقال : أنت أولى . وكان سبب موته أنّه ركب يوما وخرج من باب النّصر يريد الميدان[1]، فشبّ به فرسه فوقع على رأسه ، فأقام ثمانية أيام ومات فى ليلة الثلاثاء السابع والعشرين من ذى الحِجّة ، ودُفن إلى جانب أخيه أسد الدين شِيرِكُوه بن أيوب فى الدار

---

(١) يستفاد مما ذكره المقريزى فى الجزء الثانى (ص ٤٦٤) من خططه عند الكلام على المقابر التى خارج باب النصر: أن الميدان المذكور هو الذى كان يطلق عليه ميدان العيد حيث كان يوجد مصلى العيد خارج باب النصر . وكان هذا الميدان واقعا فى الجزء البحرى من ميدان القبق والميدان الأسود . ومحله اليوم المنطقة الواقعة بين باب النصر وباب الحسينية المشغولة بمقابر جبانة باب النصر التى يخترقها اليوم من الجنوب الى الشمال الشارع الذى فتحته مصلحة التنظيم باسم شارع نجم الدين صاحب الترجمة ، حيث سقط عن جواده فى تلك الجهة سنة ٥٦٨ هـ ، وكان له بها مسجد ذكره المقريزى فى الجزء الثانى من خططه (ص ٤١٢) عند الكلام على المساجد .

السلطانية[1] ثم نقلا بعد سنتين[2] إلى مدينة النبيّ صلى الله عليه وسلم. وكان آبنه السلطان صلاح الدين قد عاد من الكَرَك فبلغه خبرُ موته فى الطريق، فوجَد عليه وتأسّف حيث لم يحضُره. وخلّف من الذكور ستة: السلطان صلاح الدين يوسف، وأبابكر العادل الآتى ذكره فى ملوك مصر، وشمس الدولة تُوران شاه وهو أكبر الجميع، وشاهِنْشَاه، وسيف الإسلام طُغْتِكين، وتاج الملوك بُورِى وهو الأصغر.

وفيها تُوفّى الحسن بن أبى الحسن صافى ملك النحاة مولى الحسين بن الأُرْمَوِىّ التاجر البغدادىّ، قرأ النحو وأصول الدين والفقه والخلاف والحديث وبَرَع فى النحو وفاق أهلَ زمانه، وسافر البلاد وصنّف الكتب فى فنون العلوم، من ذلك «المقامات» التى من جنس «مقامات الحَرِيرىّ»، وكان يقول: مقاماتى جِدٌّ وصدق، ومقامات الحَرِيرىّ هَزْل وكذب. قلت: ولكن بين ذلك أهوال. ومن مصنّفاته كتاب أربعمائة كراسة، سمّاها «التذكرة السفرية»[3].

وفيها توفى سعد الدين بن علىّ بن القاسم بن علىّ أبو المعالى الكُتْبِىّ الحَظِيرِىّ الحنفىّ، كان شاعرا فاضلا. والحَظِيرة: قرية فوق بغداد وهى (بفتح الحاء المهملة وكسر الظاء المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء) وإلى هذه القرية يُنسب كثير من العلماء. ومن شعر الحَظِيرىّ — رحمه الله تعالى وعفا عنه —:

صُبحُ مَشِيبى بدا وفارقنى * ليلُ شبابى فصِحْتُ وَا قَلَقِى
وصِرتُ أبكى دمًا عليه ولا * بُدّ لصُبْحِ المَشِيبِ من شَفَقِ

(١) الدار السلطانية، هذه كانت ضمن القصر الكبير الشرقى الذى نزل به صلاح الدين بعد توليته سلطنة مصر بعد موت الخليفة العاضد، وكان دفن أسد الدين شيركوه وأخوه نجم الدين أيوب فى التربة التى كانت بقرب المشهد الحسينى. (٢) كذا فى تاريخ الواصلين. وفى الأصل: «سنين».
(٣) كذا فى الأصل وتهذيب ابن عساكر. وفى بغية الوعاة: «التذكرة السحرية». ولم نعثر عليها فى كشف الظنون.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: وفيها تُوُفّى نجم الدين أيّوب بن شادى والد الملوك . وملك النحاة أبو نزار الحسن بن صافى البغدادىّ بدمشق . وأبو جعفر محمد بن الحسن الصَّيْدَلانِىّ بأصبهان، وله خمس وتسعون سنة . وصالح ابن إسماعيل أبو طالب آبن بنت مُعَافَى المالكىّ مفتى الإسكندريّة — رحمه الله — .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وثمانى عشرة إصبعا .

* * *

السنة الثالثة من ولاية السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب على مصر، وهى سنة تسع وستّين وخمسمائة .

فيها كتب صلاح الدين صاحب الترجمة لنور الدين يستأذنه فى إنفاذ جيش ١٠ إلى اليمن فأذن له، فبعث صلاح الدين أخاه شمس الدولة تُوران شاه بن أيّوب، فسار إليها، وكان فيها عبد النبىّ بن مَهْدِىّ من أصحاب المصريّين[1]، وكان ظالما فاتكا ، فحصره شمس الدولة تُوران شاه فى قصره بزَبِيد[2] مدّة ، حتّى طلب الأمان فأمّنه، فلمّا نزل إليه قيّده ووكّل به، وفتح صَنْعَاء وحصون اليمن والمدائن، يقال : إنّه فتح ثمانين حصنا ومدينة وآستولى على أموالها وذخائرها ، وقتل عبد النبىّ ١٥ المذكور . وولّى على زَبِيد سيف الدولة مبارك بن مُنْقِذ[3] ، وعزّ الدّين عثمان بن الزّنْجِيلىّ[4] على باقى البلاد[5]

(١) يريد بهم العبيديين . (٢) زبيد : مدينة مشهورة باليمن ، أحدثت فى أيام المأمون وبإزائها ساحل غلافقة وساحل المندب . (عن معجم البلدان لياقوت) . (٣) فى الأصل : «منقر» . والتصويب عن تاريخ الواصلين والروضتين وتاريخ الاسلام للذهبى وابن الأثير ومرآة الزمان ٢٠ وعقد الجمان . (٤) فى إحدى روايتى ابن الأثير : «الزنجبيلىّ» .
(٥) فى الروضتين وابن الأثير وتاريخ الواصلين وتاريخ الإسلام للذهبى وعقد الجمان : «على عدن» .

وفيها قبض صلاحُ الدين على جماعة من أعيان الدولة العُبَيْدِيّة : مثل داعى الدُّعاة[(١)]، وعُمَارة اليَمَنِىّ وغيرِهما، بلغه أنهم يجتمعون على إثارة الفِتَن، واتفقوا مع السُّودَان وكاتبوا الفرنج، فقتل داعى الدعاة، وصلب عُمَارة اليمنىّ . قال القاضى شمس الدين ابن خلّكان : هو أبو محمد عُمَارة بن أبى الحسن على بن زَيْدَان[(٢)] ابن أحمد بن محمد الحَكَمِىّ اليَمَنِىّ، الملقّب نجم الدين الشاعر؛ وهو من جبال اليمن من[(٣)] مدينة مَرْطَان[(٤)]، بينها وبين مكّة من جهة الجنوب أحد عشر يوما . وكان فقيها فصيحا، أقام بزَبِيد مدّة يُقرأ عليه مذهب الشافعىّ ، وله فى الفرائض مصنّف مشهور باليمن، ومدح خلفاءَ مصر، فقرّبوه وأعطَوْه الأموال ، فكان عندهم بمنزلة الوزير، وكان أيضا معظّما قبل ذلك فى اليمن؛ ثم ظهرت أمور اقتضت خروجه منها، فقدم إلى مصر فى سنة خمسين وخمسمائة . وقيل: إنّ سبب قتله أنّه مدح تُوران شاه، وحرّضه على أخذ اليمن بقصيدة أوّلها :

العِلمُ مذ كان محتاجٌ إلى العَلَمِ * وشَفْرةُ السيف تَسْتَغْنِى عن القَلَمِ

إلى أن قال :

هذا ابنُ تُومَرْتَ قد كانت بدايتُهُ * كما يقول الوَرَى لَحْمًا على وَضَمِ

وكان أوّلُ هذا الدِّين من رجل * سعى إلى أن دَعَوْه سيّدَ الأُمَمِ

قال العِماد الكاتب: اتّفقت لعُمارة اتّفاقات: منها أنّه نُسب إليه قولُ هذا البيت فكان أحدَ أسباب قتله؛ وأفتى قضاةُ مصر بقتله، وقيل: إنّه لمّا أمر صلاحُ الدين

(١) هو داعى الدعاة عبد الجبار بن إسماعيل بن عبد القوى ، كما فى كتاب النكت العصرية فى أخبار الوزراء المصرية لعمارة اليمنىّ . (٢) فى الأصل : « هو أبو محمد عمارة بن أبى الحسن على بن زيد بن مدران بن أحمد بن محمد الحلبى اليمنى » . وما أثبتناه عن ابن خلكان وعقد الجمان وشذرات الذهب . (٣) فى ابن خلكان وعقد الجمان : «أن وطنه من تهامة باليمن» .
(٤) هكذا ضبطت بالقلم فى النكت العصرية وعقد الجمان فى أكثر من موضع .

بصلبه ، مرّوا به على دار القاضي الفاضل ، فرمى بنفسه على بابه وطلب الدخول إليه ليستجير به فلم يُؤذَن له ، فقال :

عبدُ الرحيم قد احتجبْ * إنّ الخلاص من العجب

فصُلِب وهو صائم في شهر رمضان .

٥ وفيها تُوفّي السلطان الملك العادل نور الدين أبو القاسم محمود بن زَنْكِي بن آق سُنْقُر صاحب الشام ومصر المعروف بنور الدين الشهيد . قال ابن عساكر : « وُلِد سنة إحدى عشرة وخمسمائة ، وكان معتدل القامة أسمر اللّون واسع الجَبْهة حسن الصورة ، لحيتُه شَعَراتٌ خفيفة في حَنَكه ، ونشأ على الخير والصلاح . وكان زَنْكِي يقدّمه على أولاده ، ويرى فيه مخايلَ النَّجابة . وفتح في أيام سلطنته نيّفًا وخمسين حِصنًا » .

١٠ قلت : ومصر أيضا من جملة فتوحاته ، وأيضا ما فتحه صلاح الدين من البلاد والحصون هو شريكه في الأجر والثواب ، ولولاه إيش كان صلاح الدين ! حتّى ملك مصر من أيدي تلك الرافضة من بني عُبَيْد خلفاء مصر وقوّة بأسهم ! . قلت : وترجمة الملك العادل طويلة ، يضيق هذا المحلّ عن ذكرها ، وأحواله أشهر من أن تُذكر . غير أنّا نذكر مرض موته ووفاته . وكان ابتداء مرضه أنّه خَتَن ولدَه

١٥ الملك الصالح إسماعيل يوم عيد الفطر ، فهُنّئ بالعيد والطهور ، فقال العِماد الكاتب — رحمه الله — :

عِيدان فِطْرٌ وطُهْرُ * فتحٌ قريب ونصرُ
كلاهما لك فيه * حقًّا هَناءٌ وأجْرُ

فمرِض بعد عَوْده من صلاة العيد بالخوانيق ، وما كان يرى الطبّ ، على قاعدة

٢٠ الأتراك ، فأُشير عليه بالفَصْد في أوّل مرضه فامتنع ، وكان مَهيبًا فما رُوجِع ؛ فمات يوم الأربعاء حادي عشر شوّال ، ودُفِن بالقلعة ، ثم نقل إلى مدرسته التي أنشأها مجاورة

الخواصين بدمشق . وعاش ثمانيا وخمسين سـنة . وكانت سلطنته ثمانيا وعشرين سنة وستة أشهر . ورثاه العماد الكاتب بعدّة مَرَاثٍ؛ من ذلك قوله :

يا ملكًا أيّامُهُ لم تَزَل * لفضله فاضـلةً فاخِرهْ
ملكتَ دنيـاك وخلّفتها * وسرتَ حتّى تملكَ الآخرهْ

٥ قال أبو اليسر[(١)] شاكر بن عبـد الله [التَّنُوخيّ المَعَرّيّ[(٢)]] : تعـدّى بعض أمراء صلاح الدين بن أيّوب [على رجل][(٣)] وأخذ ماله ، فجاء إلى صلاح الدين فلم يأخذ له بيده؛ فجاء إلى قبر نور الدين وشقّ ثيابه ، وحثا الترابَ على رأسه ، وجعل يستغيث : يا نور الدين أين أيّامك ! ويبكى . فبلغ صـلاحَ الدين فأسـتدعاه وأعطاه ماله ، فأزداد بكاؤه؛ فقال له صلاح الديـن : مايُبْكيك وقد أنصفناك ؟ فقال : إنّمـا
١٠ أبكى على مَلِك أُنصِفتُ ببركاته بعد موته ، كيف يأكله التراب ويفقده المسلمون ! .
وتسلطن بعده ولده الملك الصالح إسماعيل ولم يبلغ الحُلُمَ . وقد مرّ من أخباره نبذةٌ كبيرة فى ترجمة صلاح الدين .

الذى ذكر الذهبيّ وفاتهم فى هذه السنة ، قال : وفيها تُوفّى النقيب أبو عبد الله أحمد [بن علىّ][(٤)] بن المعمَّر العَلَوىّ ببغداد فى جُمـادى الأولى . والحافظ أبو العلاء
١٥ الحسن بن أحمد الهَمَذانىّ العطّار المقرئ فى جُمادى الأولى ، وله إحدى وثمانون سنة . ودَهبَل بن علىّ [بن منصور بن إبراهيم بن عبدالله المعروف با][(٥)] بن كَارَةَ الحنبلىّ . وناصح الدين سعيد بن المبارك بن الدهّان النحوىّ ببغداد ، وله خمس وسبعون سنة . وأبو تميم سَلْمان بن علىّ الرَّحْبىّ الخبّاز بدمشق . وعبد النبى بن المَهْدِىّ صاحب اليمن ،

(١) فى الأصل : «أبو القاسم» والتصويب عن مرآة الزمان والروضتين . (٢) الزيادة
٢٠ عن تاريخ ابن عساكر والروضتين ومرآة الزمان . (٣) فى الأصل : «فى أخذ ماله» . والتكلة والتصحيح عن مرآة الزمان . (٤) التكلة عن ابن الأثير وشذرات الذهب والمنتظم وشرح القصيدة اللامية فى التاريخ وعقد الجمان . (٥) الزيادة عن شذرات الذهب والمختصر المحتاج إليه من تاريخ بغداد .

وكان باطنيًا آستأصله أخو صلاح الدين . وأبو الحسن عليّ بن أحمد الكِنَانِيّ القُرْطُبيّ نحاس، وله ثلاث وتسعون سنة . والفقيه عُمَارة بن عليّ بن زَيْدان اليمنيّ الشاعر، شُنِق في جماعة سَعَوْا في إعادة الدولة العُبَيْدِيّة . والسلطان نور الدين محمود بن زَنْكي الأَتابكيّ بن آق سُنْقُر التركيّ المَلِكْشَاهِيّ في شوّال ، وله ثمان وخمسون سنة .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم ستّ أذرع وستّ عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وعشر أصابع .

***

السنة الرابعة من ولاية السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب على مصر، وهي سنة سبعين وخمسمائة .

فيها ملك السلطان صلاح الدين دِمَشْق من الملك الصالح آبن الملك العادل نور الدين محمود، حسب ما ذكرناه في ترجمته . وكان أخذه لدمشق بمكاتبة القاضي كمال الدين الشَّهْرُزُورِيّ و [صدّيق] (1) بن الجاولي والأعيان ، وكان بالقلعة رَيْحان الخادم، فعزم على قتاله ، فجهّز إليه عسكر دمشق، وركب صلاح الدين من الجسور، فآلتقاه أهل دمشق بأسرهم وأحدقوا به، فنثر عليهم الدراهم والدنانير، ودخل دمشق فلم يُغلق في وجهه باب ولا منعه مانع، فملكها صِلْحًا لا عَنْوَةً .

وفيها آستخدم صلاحُ الدين العِمادَ الكاتب الأصبهانيّ، وسببه أنه آلتقى بالقاضي الفاضل ومدحه بأبيات منها :

(2)
عاينتُ طَوْدَ سكينةٍ ورأيتُ شمـ * ـسَ فضيلةٍ ووردتُ بَحْرَ فَواصِلِ
ورأيتُ سَحْبانَ البلاغة ساحبًا * ببيانه ذيلَ الفخار لوائلِ

(1) التكملة عن عقد الجمان . ويستفاد مما ذكره صاحب العقد أن صديق بن الجاولي هذا كان من جملة رسل شمس الدين صاحب بصرى إلى صلاح الدين ليدعوه لفتح دمشق .
(2) في الأصل : « بحر فضائل » . وما أثبتناه عن الروضتين وعقد الجمان .

حِلَف [الحصافة] (١) والفصاحة والسما * حة والحماسة والتُّقى والنائل
بحرٌ من الفضل الغزير خِضَمُّهُ (٢) * طامي العُباب وماله من ساحِلِ
فى كفّه قلمٌ يعجّل جريه * ما كان من أجلٍ ورزقٍ آجلِ
أبصرتُ قُسًّا فى الفصاحة معجزًا * فعرفتُ أنّى فى فهاهة باقلِ

فدخل القاضى الفاضل على السلطان صلاح الدين وقال : غدًا تأتيك تراجمُ الأعاجم، وما يحلّها مثل العماد الكاتب . فقال : [مالى] (٣) عنك مندوحة، أنت كاتبى ووزيرى ، وقد رأيتُ على وجهك البَرَكة، فإذا آستكتبتُ غيرَك تحدّث الناس ؛ فقال الفاضل : هـذا يحلُّ التراجم ، وربّما أُعيِيتُ (٤) أنا ولا أقدر على ملازمتك ، فإذا غِبْتُ قام العمادُ الكاتب مُقامى ، وقـد عرفت فضـل العماد، وخدمته للدولة النورية، فآستكتبه .

وفيها تُوفّى السلطان أرسلان شاه (٥) بن طُغرِل [بن محمد] (٦) بن مَلِكشاه بن ألْب أرسلان آبن داود بن ميكائيل بن سَلْجوق بن دُقاق السَّلْجُوقىّ . وقام بعده فى الملك آبنه طُغرِل شاه ، وكان صغير السِّنّ ، فتولّى تدبير ملكه محمد بن إيلدكز الأتابك وكان يلقّب بالبَهْلَوان .

وفيها تُوفّى يحيى بن جعفر أبو الفضل زعيم الدّين ، صاحب مخزن الخلفاء : المقتفى والمستنجد والمستضىء ، وناب فى الوزارة ، وتقلّب فى الأعمال نيفًا

(١) التكملة عن الروضتين وعقد الجمان . (٢) فى الأصل .
* بحر من البحر الخضم خضمه * وما أثبتناه عن الروضتين وعقد الجمان .
(٣) فى الأصل : « فقال منك مندوحة » . والتكملة والتصحيح عن مرآة الزمان وعقد الجمان .
(٤) فى الأصل : «أعيت» . وما أثبتناه عن مرآة الزمان وعقد الجمان .
(٥) كذا فى الأصل ومرآة الزمان وعقد الجمان . وفى شذرات الذهب : أن وفاته كانت سنة ٥٧٣ هـ .
(٦) التكملة عن شذرات الذهب وابن الأثير .

وعشرين سنة ، وكان حافظا للقرآن فاضلًا عارفا منصفا ، محبًّا للعلماء والصالحين ؛ ومات فى شهر ربيع الأول، وكانت جنازته مشهودةً . قال العماد الكاتب : جلس يومًا فى ديوان الوزارة فقام شهاب الدين بن الصَّيْفى[1] فأنشده :

لكلِّ زمانٍ من أماثل أهلِهِ * برامكةٌ يختارهم كلُّ معشرِ[2]

أبو الفضل يحيى مثل يحيى بنِ خالدٍ * يداً[3] وأبوه جعفر مثل جعفرِ

ثم قام ثابت[4] الواعظ — رحمه الله — فأنشد بديهًا :

وفى الجانب الشرقىّ يحيى بنُ جعفر * وفى الجانب الغربىّ موسى بن جعفرِ

فذاك[5] إلى الله الكريم شفيعُنا * وهذا إلى المولى الإمامِ المطهَّرِ

(يعنى ساكن الجانب الشرقىّ صاحب الترجمة، وبالجانب الغربىّ موسى بن جعفر الصادق) .

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة ، قال : وفيها تُوفّى قاضى القضاة أبو طالب رَوْح بن أحمد الحَدِيثِىّ[6] ، وله ثمانٍ وستّون سنة . وفخْرُ النساء خديجةُ بنت أحمد النَّهْرَوَانِيّة فى شهر رمضان . وعبد الله [بن عبد الصمد][7] بن عبد الرّزاق السُّلَمِىّ العَطّار . وأبو بكر محمد بن علىّ بن محمد الطُّوسىّ . وأبو عبد الله محمد بن عبد الله بن حليل القَيْسىّ مسند المغرب .

(١) فى الأصل : «جمال الدين بن الصيفى» . وما أثبتناه عن ابن خلكان . وهو أبو الفوارس سعد بن محمد بن سعد بن الصيفى التميمى شهاب الدين المعروف بالحيص بيص . وسيذكر المؤلف وفاته سنة ٥٧٤ هـ . (٢) رواية شذرات الذهب : « ... كل محشر » . (٣) فى شذرات الذهب : « ندى ... الخ » . (٤) فى شذرات الذهب . «ناشب الواعظ» . (٥) كذا فى الأصل والمصادر التى تحت أيدينا ، وإن كان السياق يقتضى أن تكون الرواية :

فهذا إلى الله الكريم شفيعنا * وذاك ... ... الخ

(٦) الحديثى : نسبة الى حديثة الفرات ، وتعرف بحديثة النورة . (عن معجم البلدان لياقوت). وراجع الحاشية رقم ٤ ص ٧ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

(٧) التكملة عن المنتظم والمختصر المحتاج إليه من تاريخ بغداد وعقد الجمان .

§ أمر النيــــل فى هذه السنة — المـاء القديم سبع أذرع و إحدى وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وتسع عشرة إصبعا .

*
* *

السنة الخامسة من ولاية صلاح الدين يوسف بن أيّوب على مصر ، وهى سنة إحدى وسبعين وخمسمائة .

فيها عزل الخليفةُ المستضىءُ بالله الحسنُ صندلَ الخادم[1] عن الأستادارية ، وضيّق على ولده الأمير أبى العبّاس أحمد ، لأمر بلغه عنهما ، وولّى [ابن[2]] الصاحب الأستادارية عوضا عن صندل المذكور .

وفيها وثبت الإسماعيليّة على السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب وهو على اعزاز ، جاءه ثلاثة فى زِىّ الأجناد ، فضربه واحد بسكّين فى رأســه فلم يجرحه وخدشت السكّين خدّه وقُتِل الثلاثة ، فرحل صلاح الدين إلى حلب ، فلمّـا نزل عليها بعث إليه الملك الصالح إسماعيل بن الملك العادل نور الدين محمود أخته خاتون بنت نور الدين فى اللّيــل ، فدخلت عليه فقام قائمـا وقبّل الأرض لها و بكى على نور الدين ؛ فسألته أن يَرُدّ عليهم اعزاز ، فأعطاها إيّاها ، وقدّم لهـا من الجواهر والتُّحَف شـيئًا كثيرا ؛ واتّفق مع الملك الصـالح أنّ من حَمَـاة وما فتحه إلى مصر له ، وباقى البلاد الحلبيّة للصالح .

وفيهـا قدِم شمس الدولة تُوران شاه بن أيّوب أخو صلاح الدين من اليمن إلى دِمشق فى سَلْخ ذى الحجّة .

وفيها فوّض سيفُ الدولة غازى أمرَ الموصل إلى مجاهد الدين قَيْماز الخادم .

(١) كذا فى الأصل ومرآة الزمان والمنتظم . وفى ابن الأثير : « سنجر المقتفوى » .
(٢) التكملة عن المنتظم وابن الأثير . وهو أبو الفضل هبة الله بن على بن هبة الله بن الصاحب .

وفيها تُوُفّى علىّ بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين الحافظ أبو القاسم الدمشقى المعروف بابن عساكر، مولده فى أوّل المحرم سنة تسع وتسعين وأربعمائة. كان أحد أئمة الحديث المشهورين، والعلماء المذكورين، سمع الكثير وسافر، وصنّف تاريخا لدمشق، وصنّف كتبا كثيرة، وكان إماما فى الفنون، فقيها محدّثا حافظا مؤرّخا.

قال العماد الكاتب: أنشدنى لنفسه بالمِزّة[1]:

أيا نفسُ ويحَك جاء المشيبُ * فماذا التَّصابِى وماذا الغَزَلْ
تولّى شبابى كأنْ لم يكنْ * وجاء مَشيبِى كأنْ لم يَزَلْ
[كأنّى بنفسى على غِرّةٍ * وخَطْبُ المنونِ بها قد نَزَلْ][2]
فياليت شِعْرِىَ مِمّن أكون * وما قدّر الله لى فى الأزل

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: وفيها توفّى الحافظ ثِقَةُ الدّين أبو القاسم علىّ بن الحسن بن هبة الله بن عساكر فى رجب، وله ثلاث وسبعون سنة إلا أشهرا. ومَجْدُ الدين أبو منصور محمد بن أسعد بن [محمد المعروف بـ] حَفَدَة[3] الطُّوسِىّ العَطّارِىّ الشافعىّ الواعظ. وأبو حنيفة محمد بن عُبيد الله[4] الأصبهانىّ الخَطِيبىّ فى صفر. وأبو جعفر هبة الله بن يحيى بن البُوقِىّ[5] الشافعىّ.

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وست عشرة إصبعا. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا وعشر أصابع.

(١) المزة: قرية كبيرة غناء فى وسط بساتين دمشق، بينها وبين دمشق نصف فرسخ (عن معجم البلدان لياقوت).

(٢) الزيادة عن ابن خلكان وابن كثير وعقد الجمان.

(٣) فى الأصل: «محمد بن سعد بن جعدة». والزيادة والتصحيح عن المنتظم وشذرات الذهب والمختصر المحتاج إليه من تاريخ بغداد.

(٤) فى الأصل: «عبد الله». وما أثبتناه عن المشتبه والمختصر المحتاج إليه من تاريخ بغداد.

(٥) فى الأصل: «ابن البونى». وما أثبتناه عن طبقات الشافعية والمختصر المحتاج إليه من تاريخ بغداد. والبوقى: نسبة إلى بوقة من قرى أنطاكية (عن معجم البلدان لياقوت).

⁂

السنة السادسة من ولاية السـلطان صـلاح الدين يوسف بن أيّوب على مصر، وهى سنة آثنتين وسبعين وخمسمائة .

فيهـا تزوج السلطان صلاح الدين يوسف بالخاتون عِصْمة الدِّين بنت الأمير
٥ مُعِين الدين أُنُر[1] زوجة الملك العادل نور الدين محمود، وكانت بقلعة دمشق .

وفيهـا كانت فتنة مقدّم السُّودان من صَعِيد مصر، سار من الصعيد إلى مصر فى مائة ألف أسْوَد، ليُعيد الدولة المصريّة الفاطميّة، فخرج إليه أخو صلاح الدين الملك العـادل أبو بكر، وأبو الهيجاء الهَكّارِىّ ، وعزّ الدين مُوسَك بمَنْ معهم من عساكر مصر، وآلتَقَوْا مع السُّودان، فكانت بينهم وقعة هائلة ، قُتِل كبير السودان
١٠ المذكور ومَن معـه . قال الشيخ شمس الدين يوسف فى مرآة الزمان : « يقال إنهم قتلوا منهم ثمانين ألفا وعادوا إلى القاهرة » .

وفيها خرج السلطان صلاح من دمشق إلى مصر ، وآستناب أخاه شمس الدولة تُوران شاه على الشام . وجاءت الفرنج إلى دَارَيّا[2] ، فأحرقوا ونهبوا وعادوا .

وفيها أمر السلطان صلاح الدين قَرَاقُوش الخادم بعمارة سور القاهرة ومصر ،
١٥ وضيّع فيه أموالا كثيرة ولم ينتفع به أحد .

وفيها أبطل صلاح الدين المُكوسَ التى كانت تُؤخذ من الحاج بجُدّة، ممّا يُحمل فى البحر، وعوّض صاحب مكّة عنها فى كلّ سـنة ثمانية آلاف إردبّ قمحًا تُحمل إليه فى البحر، [ويُحمل مثلُها][3] فتفرّق فى أهل الحرمين .

---

(١) راجع الحاشية رقم ٦ ص ٢٨٦ من الجزء الخامس من هذه الطبعة . (٢) داريا :
٢٠ قرية كبيرة مشهورة من قرى دمشق بالغوطة ، والنسبة إليها دارانى على غير قياس (عن معجم البلدان لياقوت) .
(٣) الزيادة عن مرآة الزمان وعقد الجمان .

وفيها عَمّرَ صلاح الدين مدرسة الشافعىّ[1] بالقرافة، وتولّى الشيخ نجم الدين الخُبُوشَانِىّ عِمارتها . وعَمّرَ البِيمَارِسْتَانَ[2] فى القصر، ووقف عليه الأوقاف .

وفيها حَجّ بالناس من الشام قَيْمَاز النَّجْمِىّ .

وفيها تُوفّى علىّ بن منصور أبو الحسن السَّرُوجِىّ الأديب، مؤدّب أولاد الأَتَابِك زَنْكِى بن آق سُنْقُر ، كان يأخذ الماء بفيه ويكتب به على الحائط كتابةً حسنة كأنّها كُتِبت بقلم الطومار، وينقط ما يكتب ويشكله . ومن شعره فى فصل الربيع وفضل دِمشق، ومَدَح نور الدين قصيدة طَنّانةً أوّلها :

فصلُ الربيع زمانٌ نَوْرُه نُورُ * أنفاسُ[3] أشجاره مِسْكٌ وكافورُ

وفيها تُوُفّى محمد بن مسعود أبو المعالى ، خرج إلى الحجّ فى هذه السنة فتُوُفّى بفَيْد[4]، كان أديبا فاضلا . ومن شعره هَجْوٌ فى قاض ولِىَ القضاء :

ولمّا [أن][5] تولّيتَ القضايا * وفاض الجَوْرُ من كَفّيكَ فَيضا

ذُبِحتُ بغير سِكّينٍ وإنّى * لأرجو الذبح بالسّكّين أيضا

وفيها توفّى محمد بن عبد الله بن القاسم أبو الفضل كمال الدين الشَّهْرَزُورِىّ قاضى دمشق . مولده فى سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة، كان إماما فاضلا فقيها مُفْتِيًا ، كان إليه فى أيّام نور الدين الشهيد مع القضاء أمرُ المساجد والمدارس والأوقاف والحِسْبَة، والأمور الدينيّة والشرعيّة . وكان صاحب القلم والسيف، وكانت شِحْنَكِيَة دمشق إليه ، ولّى فيها بعض غِلمانه ؛ ثم ولّاها نورُ الدين بعد ذلك

---

(١) راجع الحاشية رقم ٥ ص ٥٤ من هذا الجزء . (٢) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٠١ من الجزء الرابع من هذه الطبعة . (٣) رواية عقد الجمان : * ونشر أزهاره ... الخ *
(٤) فيد : اسم جبل عنيه بين مكة والمدينة قرب البحر (عن معجم البلدان لياقوت) .
(٥) فى الأصل : «ولما توليت القضاء» . والكلمة والتصحيح عن شذرات الذهب ومرآة الزمان وعقد الجمان .

لصلاح الدين يوسف بن أيّوب قبل قدومه إلى مصر . وكان مع فضله ودينه له الشعر الجيّد، وكان بينه وبين صلاح الدين يوسف بن أيّوب، صاحب الترجمة فى أيام نور الدين مصاغنة . ومن شعره :

وجاءوا عِشاءً يُهرَعون وقد بدا * بجسمىَ من داء الصبابة ألوانُ
فقالوا وكلٌّ مُعْظِمٌ بعضَ ما رأى * أصابتك عينٌ قلت عَيْنٌ وأجفان

٥

قلت : وهذا شبه قول القائل ولم أدرِ مَن السابق :

ولمّا رَأَوْنِى العاذلون متيّماً * كئيباً بمن أهوى وعقلىَ ذاهبُ
رَثَوْا لى وقالوا كنتَ بالأمس عاقلاً * أصابتْك عين قلت عينٌ وحاجبُ

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هـذه السنة، قال : وفيها توفّى أبو [محمد] صالح[1] ابن المبارك بن الرِّخْلة القزّاز . والمحدّث أبو [محمد][2] عبد الله بن عبد الرحمن الأُمَوىّ الدِّيباجىّ الأصبهانىّ العثمانىّ الإسكندرانىّ . وأبو الحسن علىّ[3] بن عساكر . وأبو بكر محمد بن أحمد بن ماه[4] شاده الأصبهانىّ المقرئ، آخر من روى عن سليمان الحافظ . وقاضى الشام كمال الدين أبو الفضل محمد بن عبد الله بن القاسم بن المظفّر الشَّهْرُزُورِىّ فى المحرّم . والقاضى أبو الفتح نصر بن سيّار بن صاعد الكِنَانِىّ الهَرَوِىّ الحنفىّ مُسْنِد خُراسان يوم عاشوراء، وله سبع وتسعون سنة .

١٠

١٥

§ أمر النيـل فى هذه السنة — الماء القديم ستّ أذرع وإحدى وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا وإحدى وعشرون إصبعا .

(١) التكملة عن المختصر المحتاج إليه من تاريخ بغداد وشذرات الذهب وعقد الجمان .

(٢) التكملة عن حسن المحاضرة للسيوطى وشذرات الذهب وعقد الجمان . (٣) تتمة نسبه كما فى غاية النهاية وشذرات الذهب والمختصر المحتاج إليه وعقد الجمان : «أبو الحسن على بن عساكر بن المرحب ابن العوّام البطائحى الضرير المقرئ الحنبلى» . (٤) كذا فى الأصل . وفى شذرات الذهب : «ابن ماشاده» . وفى هامشه نقلا عن زيادات السخاوى على نزهة الألباب لابن حجر العسقلانى : «ماشاذه» .

٢٠

⁂

السنة السابعة من ولاية صلاح الدين يوسف بن أيّوب على مصر، وهى سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة .

فيها توفّى صَدَقة بن الحسين بن الحسن أبو الفرج[1] الناسخ الحنبلىّ، كان يُعرف بابن الحدّاد ، كان فقيها مُفْتيًا مناظرا . قال أبو المظفّر: لكنّه قرأ «الشفاء»[2] وكتب الفلاسفة، فتغيّر آعتقاده، وكان يبدو من فلتات لسانه ما يدلّ على ذلك. ومن شعره — رحمه الله تعالى — :

لا تَوَطّنها فليست بمُقامْ * وآجتنبْها فهى دار الإنتقامْ
أتُراها صنعةً من صانعٍ * أم تُراها رميةً من غير رامْ

وفيها توفّى كُمُشْتِكين خادم السلطان نور الدين الشهيد . كان من أكابر خدّامه (أعنى مماليكه)، وكان ولّاه المَوْصِل نيابةً عنه . فلمّا مات نور الدين هرب إلى حلب، وخدم شمس الدين آبن الداية، ثم جاء إلى الملك الصالح آبن نور الدين الشهيد فأعطاه حارِم ، ثم غضِب عليه لأمر وطلب منه قلعة حارم بعد أن قبض عليه، فامتنعوا أصحابه من تسليمها ، فعلّقه الملك الصالح مُنَكَّسا، ودخّن تحت أنفه حتّى مات .

وفيها توفّى محمد بن عبد الله بن هبة الله بن المظفّر، الوزير أبو الفرج آبن رئيس الرؤساء، ولقبُه عضد الدولة . وكان أبوه أستادار المقتفى وأقرّه المستنجد. فلمّا ولِى المستضىء آستوزره، فشرع ظهير الدين [بن العطّار][3] أبو بكر صاحب المخزن فى عداوته،

(١) فى الأصل «أبو الفتح» . والتصويب عن شذرات الذهب والمنتظم وشرح القصيدة اللامية فى التاريخ والمختصر المحتاج اليه والبداية والنهاية لابن كثير . (٢) يريد كتاب الشفاء والحكمة للرئيس أبي على الحسين بن عبد الله بن سينا الذى تقدّمت وفاته سنة ٤٢٨ هـ .
(٣) زيادة عن عقد الجمان ومرآة الزمان . وسيذكر المؤلف ترجمته ووفاته سنة ٥٧٥ هـ .

حتّى غيّر قلبَ الخليفة عليـه ، فطلب الحجّ فأذِن له ، فتجهّز جَهَازا عظيما واشترى ستّمائة جمل لحَمْل المنقطعين وزادِهم ، وحمّل معه جماعة من العلماء والزهّاد ، وأخذ معه بيمَارِسْتانًا فيـه جميع ما يحتاج إليه ، وسافر بتجمّل زائد . فلمّا وصل إلى باب قَطُفْتا[1] خرج إليه رجل صوفىّ بيـده قِصّة ، فقال : مظلوم ! فقال الغلمان . هاتِ قِصّتك . فقال : ما أسلّمها إلّا للوزير . فلمّا دنا منه ضربه بسكّين فى خاصرته ، فصاح : قتلنى ، وسقط من دابّته ، وبقِى على قارعة الطريق مُلْقًى ، وتفرّق من كان معه إلّا حاجبَ الباب ، فإنّه رمَى بنفسـه عليه ، فضربه الباطنىّ بسكّين فجرحه ، وظهر للباطنىّ رفيقان فقتِلوا وأحْرِقوا . ثم حُمِـل الوزير إلى داره فمات بها . وكان مشكورَ السّيرة مُحسِنا إلى الرعيّة ، غير أنّ القاضى الفاضل لمّا بلغه خبرُ قتله ، أنشد :

وأحسنُ من نيل الوزارة للفتى * حيـاةٌ تُريه مَصْـرَعَ الوزراءِ

وما ربّك بظلّام للعبيد . كان — عفا الله عنه — قد قتـل ولَدَى الوزير ابن هُبَيْرة وخلقا كثيرا .

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السـنة ، قال : وفيها توفّى الوزير أبو الفرج محمد بن عبد الله ابن رئيس الرؤساء ، وثَبَتْ عليه الإسماعيليّة فى ذى القعدة . وهارون ابن العبّاس أبو محمـد بن المأمونىّ صاحب التاريخ . وأبو شاكر يحيى بن يوسف السَّقْلَاطُونِىّ[2] .

§ أمر النيل فى هـذه السنة — المـاء القـديم خمس أذرع وثلاث أصابع . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وإحدى وعشرون إصبعا .

(١) قطفتا : محلة كبيرة ذات أسواق بالجانب الغربى من بغداد مجاوره لمقبرة الدير (عن معجم البلدان لياقوت) . (٢) السقلاطونى نسبة الى سقلاطون ، بلد بالروم تصنع فيـه الملابس الملوّنة بالألوان القرمزية . وراجع الحاشية رقم ٦ ص ٨٠ من الجزء الرابع من هـذه الطبعة .

⁂

السنة الثامنة من ولاية صلاح الدين يوسف بن أيّوب على مصر، وهى سنة أربع وسبعين وخمسمائة .

فيها جرى بحث فى مجلس ظَهير الدين بن العطّار [صاحب المخزن](1)، فى قتال(2) عائشة لعليّ . فقال ابن البغدادىّ الحنفىّ : كانت عائشة باغيةً على علىّ، فصاح عليه ابن العطّار وأقامه من مكانه وأخبر الخليفة ، فجمع الفقهاء وسأل : ما يجب عليه؟ فقالوا : يُعزّر . فقال ابن الجَوْزىّ . لا يجب عليه التعزير، لأنّه رجل ليس له علم بالنَّقل ، وقد سمِع أنّه جرى قتال ولم يعلم أنّ السفهاء أثاروه بغير رضا الفريقين ، وتأديبه(1) العفو عنه، فأطلق .

وفيها توفّى سعد بن محمد بن سعد أبو الفوارس شِهاب الدين [بن](3) الصَّيْفِىّ التَّميمىّ، المعروف بالحَيْص بَيْص، كان شاعرا فاضلا، مدح الخلفاء والوزراء والأكابر، وله ديوان شعر ، وكانت وفاته ببغداد فى شعبان . وسبب تسميته بالحيص بيص أنه رأى الناس فى يوم حركة فقال : ماللناس فى حيص بيص ! فغلب عليه هذا اللّقب . ومعنى هاتين الكلمتين : الشدّة والآختلاط . تقول العرب : وقع الناس فى حيص بيص [أى(4) فى شدّة وآختلاط] . ومن شعر الحيص بيص — رحمه الله وعفا عنه — :

لم أَلْقَ مُستكبِرًا إلّا تحوّل لى * عند اللقاء له الكِبرُ الذى فيه
ولا حَلَا لِى من الدنيا ولذّتها * إلّا مقابلتى للتّيه بالتّيه

---

(1) زيادة عن مرآة الزمان والمنتظم وعقد الجمان وما تقدّم ذكره للمؤلف .
(2) يريد وقعة الجمل . وقد تقدّم الكلام عليها سنة ست وثلاثين هـ (ج ١ ص ١٠١) من هذه الطبعة .
(3) التكملة عن ابن خلكان والمنتظم وشذرات الذهب وعقد الجمان وما سيذكره المؤلف فى هذه السنة نقلا عن وفيات الذهبى . (4) الزيادة عن ابن خلكان وعقد الجمان .

وكان الحَيْص بَيْص[1] يلبَس زِىّ العرب ، ويتقلّد سيفا ، فعمِل فيه أبو القاسم ابن الفضل :

كم تُنادى[2] وكم تطـــوّل طُرْطُو * رَك ما فيـــك شعرةٌ من تميم
فكُلِ الضَّبَّ وأقرُضِ الحَنْظَل [اليا[3] * بس] وآشرب ما شئتَ بول الظليم
ليس ذا وجهَ من يُضيف ولا * يَقْــرِى ولا يدفعُ الأذى عن حريم

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة ، قال : وفيها توفّى أبو أحمد أسعد بن بلدرك[4] الجِبْرِيلِىّ البوّاب . والحَيْص بَيْص الشاعر شهاب الدين أبو الفوارس سعد ابن محمد بن سـعد بن صَيْفِىّ التَّميمىّ فى شوّال . وفخر النسـاء شُهْدة بنت أحمـد ابن الفرج الإبَرِىّ فى المحرّم ، وقد جاوزت التسعين . وأبو رشيد عبدالله بن عمر الأصبهانىّ فى شهر ربيع الآخر . وأبو نصر عبد الرحيم بن عبـد الخالق اليوسُفىّ . وأبو الخطّاب عمر بن محمد التاجر بدمشق . وأبو عبد الله محمد بن نَسيم العَيْشُونِىّ .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم أربع أذرع وثلاث عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة ستَّ عشرةَ ذراعا وتسعَ عشرةَ إصبعا .

* * *

السنة التاسعة من ولاية السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب على مصر ، وهى سنة خمس وسبعين وخمسمائة .

(١) هو أبو القاسم هبة الله بن الفضل بن القطان عبد العزيز بن محمد بن الحسين بن على بن أحمد بن الفضل بن يعقوب بن يوسف بن سالم المعروف بابن القطان الشاعر المشهور البغدادى . توفى سنة ٥٥٨ هـ (عن ابن خلكان) .

(٢) فى ابن خلكان وتاريخ ابن الوردى : « كم تبارى ... الخ »

(٣) التكملة عن ابن خلكان وتاريخ ابن الوردى وعقد الجمان .

(٤) كذا فى الأصل وعقد الجمان وشذرات الذهب والبداية والنهاية لابن كثير . وفى شرح القصيدة اللامية فى التاريخ : « بلدرك » بالياء التحتية .

فيها ختن السلطان صلاح الدين ولده الملك العزيز عثمان .

وفيها توفّى الخليفة أمير المؤمنين المستضىء بأمر الله أبو محمد الحسن بن يوسف المستنجِد بن المقتفِى محمد العباسىّ الهاشمىّ البغدادىّ . كان أحسنَ الخلفاء سيرة، كان إماما عادلا شريفَ النفس حسنَ السيرة ليس للمال عنده قدر، حليما شفيقا على الرعيّة، أَسْقط المكوسَ والضرائبَ فى أيّام خلافته ، وكانت وفاته ببغداد فى ثانى ذى القعدة عن ستّ[1] وثلاثين سنة، وكانت خلافته تسع سنين . وهو الذى عادت الخطبةُ بآسمه فى الديار المصريّة والبلاد الشاميّة والثغور، وآجتمعت الأمّة على خليفة واحد، وآنقطع فى أيّامه دولةُ بنى عُبَيْد الفاطميّين الرافضة من مصر وأعمالها. ولله الحمد . وأمّه أمّ ولد مولّدة .

وفيها توفّيت الزاهدة العابدة علم بنت عبد الله بن المبارك . كانت تضاهى رابعة العدويّة فى زمانها ، مرِض ولدها أحمد بن الزُّبيدِىّ فآحتُضِر، وجاء وقت الصلاة ، فقالت : يا بُنَىّ، أُدخل فى الصلاة، فدخل وكبّر ومات ، فخرجت إلى النساء وقالت . هَنِّينى! قلن ماذا؟ قالت : ولدى مات فى الصلاة. فتعجّب الناسُ من ذلك . وكانت وفاتها ببغداد، وعمرها مائة سنة وستّ سنين، ولم يتغيّر لها شىء من حواسّها .

وفيها توفّى منصور بن نصر بن الحسين الرئيس ظهير الدين صاحب المخزن للخلفاء، ونائب الوزارة . نال من الوجاهة والرياسة مالم ينله غيرُه من أطباقه، إلى أن قبض عليه الخليفة الناصر لدين الله، وعلى أصحابه وحواشيه، وصادره وأجرى عليه العقوبة إلى أن مات .

---

(١) ذكر ابن الأثير وفاته فى هذه السنة (٥٧٥ هـ) ثم قال : « وكانت ولادته سنة ست وثلاثين وخمسمائة » فيكون عمره حين وفاته تسعا وثلاثين سنة ويؤيده ما فى تاريخ أبى الفدا إسماعيل وتاريخ ابن الوردى . وفى ابن كثير : « توفى وله من العمر تسع وثلاثون سنة » .

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم فى هذه السنة قال : وفيها توفّى أبو الفتح أحمد بن أبى الوفاء الحنبلىّ بحرّان . والمستضىء بأمر الله أبو محمد الحسن بن المستنجد يوسف ابن المقتفى فى شوّال . وأبو الحسين عبد الحقّ بن عبد الخالق اليوسفىّ فى جمادى الأولى . وأبو الفضل عبد المحسن بن تُرَيْك[1] الأزجىّ . وأبو الحسن علىّ بن أحمد الزَّيدىّ المحدّث الزاهد . وأبو المعالى علىّ بن هبة الله [بن علىّ][2] بن حَمْدون . والقاضى أبو المحاسن عمر بن علىّ القُرَشى عمّ كَرِيمة . وأبو هاشم عيسى بن أحمد الهاشمىّ الدُّوشَابِىّ[3] .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وستّ أصابع . مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وسبع أصابع .

***

السنة العاشرة من ولاية السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب على مصر، وهى سنة ستّ وسبعين وخمسمائة .

فيها قدمت امرأة إلى القاهرة عديمة اليدين، وكانت تكتب برجليها كتابةً حسنة، فحصل لها القبول التام، ونالها مال جزيل .

وفيها حجّ من العراق الأمير طاشتِكين[4]، ومن الشام الأمير سيف الدين علىّ بن المشطوب .

(١) فى الأصل . « ابن بريد » وهو تحريف . وفى شذرات الذهب . « ابن ربك » وهو تصحيف . والتصويب عن المشتبه والمختصر المحتاج إليه من تاريخ بغداد . (٢) التكملة عن المختصر المحتاج إليه (٣) فى الأصل : « الدساى » . والتصويب عن شذرات الذهب واللباب . والدوشابىّ : نسبة الى دوشاب وهو الدبس بالعربية وبيعه أو عمله . (٤) فى الأصل : « تكين » . والتصويب عن عقد الجمان ومرآة الزمان وما سيأتى ذكره للؤلف فى بعض السنين القادمة .

وفيها توفّى أحمد بن محمد بن أحمد الحافظ أبو طاهر السِّلَفِيّ (١) الأصبهانيّ، وُلد سنةَ سبعين وأربعمائة، وكان طاف الدنيا ولقِيَ المشايخ، وكان يمشى حافيا لطلب العلم والحديث، وقدم دمشقَ وغيرَها، وسمِع بعدّة بلاد، ثم دخل مصرَ وسمع بها، وآستوطن الإسكندريّة حتى مات بها فى يوم الجمعة خامس شهر ربيع الآخر، ودفِن داخل الإسكندرية وقد جاوز المائة بخمس سنين. ومن شعره فى معنى كِبَر سنّه :

أَنا إنْ بان شبابى ومضى * فبربِّى الحمدُ ذهنى حاضرُ
ولئن خَفَّتْ وجَفَّتْ أعظمى * كِبَراً غصنُ علومى ناضرُ

وفيها توفّى الملك المعظّم فخر الدين شمس الدولة تُوران شاه بن أيّوب أخو السلطان صلاح الدين صاحب الترجمة لأبيه. كان أكبرَ من صلاح الدين فى السنّ، وكان يرى فى نفسه أنّه أحقّ بالملك من صلاح الدين يوسف المذكور، وكان تبدو منه كلمات فى سكره فى حقّ صلاح الدين، ويبلغ صلاحَ الدين، فأبعده وبعثه إلى اليمن، فسفَك الدماء وقتل الأماثل وأخذ الأموال. ولم يَطِبْ له اليمن فعاد إلى الشام على مضض من صلاح الدين، فأعطاه بَعْلَبَكّ فلعه عنه أشياءُ فأبعده إلى الإسكندريّة، فتوجّه إليها وأقام بها معتكفا على اللهو، ولم يحضُر حروب أخيه صلاح الدين ولا غَزَواته، ومات بالإسكندريّة، فأرسلت أختُه شقيقتُه ستُّ الشام، فحملتْه فى تابوت إلى دمشق فدفنتْه فى تُرْبتها التى أنشأتْها بدمشق. وكان تُوران شاه المذكور جوادا ممدَّحا حسن الأخلاق، إلّا أنّه كان أسوأ بنى أيّوبَ سيرةً وأقبحهم طريقة.

(١) السلفى: نسبة الى جدّه إبراهيم سلفة (عن ابن خلكان)

وفيهـا توفّى الملك غازِى بن مودود بن زَنْكِى بن آق سُنْقُر التركىّ سيف الدين صاحب الموصـل وابن أخى السلطان الملك العادل نور الدين محمود الشهيد . كان غازى من أحسن الناس صـورةً ، وكان وَقورا عاقلا غيورا ، ما يدع خادما بالغا يدخل دارَه على حُرَمه، وكان طاهرَ اللّسان عفيفا عن أموال الناس، قليل السفك للدماء، مع شُحٍّ كان فيه .

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال : وفيها توفّى الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد السِّلَفِىّ فى شهر ربيع الآخر، وقد جاوز المـائة بيقين . وشمس الدولة تُوران شاه بن أيّوب بن شادِى صاحب اليمن بالإسكندرية فى صفر . وأبو المعالى عبد الله بن عبد الرحمن [بن أحمد بن علىّ](1) بن صابر السلمىّ فى رجب . وأبو المَفاخِر سعيد بن الحسين المأمونىّ . وأبو الفَهْم عبد الرحمن بن عبد العزيز بن محمد الأَزْدىّ آبن أبى العجائز فى جمـادى الآخرة . وأبو الحســن(2) علىّ بن عبـد الرحيم بن العَصّار السُّلَمِىّ البَغْدادىّ اللغوىّ فى المحرّم . وصاحب الموصـل سيف الدين غازى بن مودود آبن اتابَك فى صفر، وله ثلاثون سنة .

§ أمر النيل فى هـذه السنة ــ المـاء القديم ثلاث أذرع وعشر أصابع . مبلغ الزيادة ستّ عشرةَ ذراعا وستّ عشرةَ إصبعا .

* * *

السنة الحادية عشرة من ولاية السلطان صـلاح الدين يوسف بن أيّوب على مصر، وهى سنة سبع وسبعين وخمسمائة .

(1) التكملة عن شذرات الذهب والمختصر المحتاج اليه من تاريخ بغداد .

(2) فى الأصل : «أبو الحسين» . وما أثبتناه عن المشتبه والمختصر المحتاج إليه .

فيها عاد السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيّوب صاحب الترجمة من دمشق إلى القاهرة، وٱستناب على الشام [ٱبن][1] أخيه عزّ الدين فرخشاه .

وفيها أمر السلطانُ صلاح الدين أخاه سيفَ الإسلام طُغتِكين بالمسير إلى اليمن، فأخذ يتجهّز للسير .

وفيها بعَث السلطانُ صلاحُ الدين الخادمَ بهاءَ الدين قَرَاقُوش إلى اليمن[2]، فتوجّه وقبض على سيف الدولة مبارك بن كامل بن مُنْقِذ، وطلب منه المال؛ وكان نائب أخيه تُوران شاه .

وفيها بُنِيت قلعة الجبل بالقاهرة[3] .

وفيها توفّي الملك الصالح إسماعيل ٱبن الملك العادل نور الدين محمود بن زَنْكِي ٱبن آق سُنْقُر صاحب حلب بمرض القُولَنْج ، وكان لمّا ٱشتدّ به مرض القولنج وصف له الحكماءُ قليلَ خمر[4]، فقال : لا أفعل حتّى أسأل الفقهاء . فسأل الشافعيّة فأفتَوه بالجواز فلم يقبل، وقال : إن الله تعالى قرّب أجلي ، أيؤخّره شرب الخمر ! قالوا : لا . قال : فوالله لا لَقِيتُ اللهَ وقد فعلتُ ما حرّم عليّ ، فمات ولم يشربه . ولمّا أشرف على الموت أحضر الأمراءَ وٱستحلفهم لٱبن عمّه عزّ الدين [مسعود ٱبن مودود][5] صاحب الموصل ؛ فقيل له : لو أوصيت لٱبن عمك عماد الدين صاحب سِنْجار! فإنّه صُعْلوك ليس له غيرُ سِنْجار، وهو تربية أبيك وزوج أختك،

(١) التكملة عن ابن خلكان ومرآة الزمان وابن الأثير وعقد الجمان . (٢) كذا في الأصل . ولم نقف على إرسال بهاء الدين قراقوش الى اليمن في المصادر التي تحت أيدينا . وقد وجدنا في عقد الجمان في حوادث هذه السنة أن بهاء الدين قراقوش توجه الى المغرب لمحاربة عبد المؤمن ، ثم عاد إلى مصر .
(٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٥٤ من هذا الجزء . (٤) كذا في الأصل . وفي ابن الأثير والروضتين : « وكان عنده علاء الدين الكاشاني الفقيه الحنفي ... فٱستفتاه فأفتاه بجواز شربها » . وفي شذرات الذهب ومرآة الزمان : « فسأل الشافعية فأفتوه بالجواز ، وسأل العلاء الكاشاني الحنفي فأفتاه بالجواز أيضا » . (٥) زيادة عن ابن الأثير وشذرات الذهب وعقد الجمان .

وشجاع كريم، وعزّ الدين له من الفرات إلى هَمَذان ؛ فقال : هذا لم يَخْفَ عنّى، ولكن قد علمتم آستيلاء صلاح الدين على الشام، [سوى ما بيدى][1]، ومصر واليمن، وعمادُ الدين لا يثبت له إذا أراد أخذ البـلاد، وعزّ الدين له العساكر والأموال فهو أقدر على حفظ حَلَب وأثبتُ من عماد الدين، ومتى ذهبتْ حلبُ ذهب الجميـع ؛ فآستحسنوا قولَه .

قلت : ولم يخطُر ببـال أحد أخذ صـلاح الدين بن أيّوب الشام من الملك الصالح هــذا قبل تاريخه، فإنّه كان غَرْسَ نعمة أبيــه الملك العادل ، فلم يلتفت صلاح الدين للأيادى السالفة، وآنتهز الفرصةَ حيث أمكنتْه، وقاتل الملك الصالح هذا حتّى أخذ منه دمشق، فلهذا صار عند الصالح كَمِينٌ من صلاح الدين .

وفيها توفّى عبد الرحمن[2] بن محمــد [بن عُبيد الله][3] بن أبى سَـعيد أبو البركات الأَنْبارِىّ النحوىّ ، مصنّف كتاب « الأسرار فى علم العربيّــة »[4] وكتـاب « هداية الذاهب فى معرفة المذاهب» . كان إماما فى فنون كثيرة مع الزهد والورع والعبادة، وكانت وفاته فى شعبان .

وفيها توفّى عمر[5] بن حَمّويه عِماد الدين والد شيخ الشيوخ صدر الدين وتاج الدين، وهو من ولد حَمّويه بن علىّ الحاكم على خراسان إمام السامانيّة .

(١) زيادة عن ابن الأثير والروضتين . (٢) فى الأصـل هنا : « عبد الرحيم » . والتصويب عن ابن خلكان وابن الأثير ومرآة الزمان وبغية الوعاة وشذرات الذهب وعقد الجمان والمختصر المحتاج إليه وما سيذكره المؤلف نقلا عن الذهبى . (٣) فى الأصل «محمد بن أبى السعادات» . والتصويب والزيادة عن ابن خلكان وابن الأثير وبغية الوعاة للسيوطى وعقد الجمان والمختصر المحتاج إليه . (٤) فى الأصل : « كتاب الأنوار» . وما أثبتناه عن ابن خلكان وشذرات الذهب ومرآة الزمان وكشف الظنون . (٥) فى الأصل : «عمرو» . وما أثبتناه عما سيذكره المؤلف نقلا عن الذهبى وشرح القصيدة اللامية فى التاريخ . وهو شيخ الشيوخ أبو الفتح عمر بن على بن الزاهد محمد بن على بن حمويه الجوينى الصوفى، كما فى شذرات الذهب .

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم فى هذه السنة فى كتاب الإشارة[1]، قال : وفيها توفّى الملك الصالح إسماعيل ابن السلطان نور الدين بحلب فى رجب، وله ثمانى عشرة سنة. والكمال أبو البَرَكات عبد الرحمن بن محمد الأنبارىّ النحوىّ العبد الصالح. وشيخ الشيوخ أبو الفتوح[2] عمر بن علىّ الجُوَينِيّ.

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم خمسُ أذرع وعشرُ أصابع. مبلغ الزيادة ثمانى عشرةَ ذراعا وخمس أصابع.

*

السنة الثانية عشرة من ولاية الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيّوب على مصر، وهى سنة ثمان وسبعين وخمسمائة.

فيها سار سيف الإسلام طُغْتكين أخو صلاح الدين من مصر إلى اليمن إلى أن نزل زَبيد، وبها حِطّان [بن مُنقِذ[3] الكِنانىّ]، فأمره أن يسير إلى الشام، فجمع أمواله وذخائره ونزل بظاهر زَبيد فقبض عليه سيف الإسلام، وأخذ جميع ما كان معه، وقيمته ألف ألف دينار، ثم قتله بعد ذلك. وكان عثمان الزنجيلىّ بعَدَن، فلمّا بلغه ذلك سافر إلى الشام بعد أن أثّر باليمن آثارا كثيرة ووقف الأوقاف، وله مدرسة أيضا بمكّة، ورباط بالمدينة وغيرها.

وفيها فى خامس المحرّم خرج صلاح الدين من مصر فنزل البِرْكة[4] قاصدا الشام، وخرج أعيان الدولة لوداعه، وأنشده الشعراءُ أبياتا فى الوداع، فسمع قائلا يقول فى ظاهر المخيّم :

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٦٠ من الجزء الخامس من هذه الطبعة.
(٢) فى شذرات الذهب: «أبو الفتح». (٣) الزيادة عن ابن الأثير.
(٤) يريد بركة الحجاج. راجع الحاشية رقم ١ ص ١٨ من الجزء الخامس من هذه الطبعة.

تمتّع من شَميم عرارِ نجــدٍ * فما بعــد العشيّة من عَرَار

فطلب القائل فلم يجده . فوجَم الناس وتطيّر الحاضرون، فكان كما قال .

قلت: وقول من قال، فكان كما قال، ليس بشيء، فإنّ صلاح الدين عاش بعد ذلك نحو العشر سنين، غير أنّه ما دخل مصر بعــدها فيما أظنّ، فإنه آشتغل بفتح الساحل وقتال الفرنج، كما تقدّم ذكره فى ترجمته .

وفيها توفّى أحمد بن علىّ بن أحمد الشيخ أبو العبّاس المعروف بآبن الرِّفاعىّ، إمام وقته فى الزهد والصلاح والعلم والعبادة . كان من الأفراد الذين أجمع الناس على علمه وفضله وصلاحه . كان يسكن أمّ عَبِيدة بالعراق، وكان شيخ البطائحة[1]، وكان له كرامات ومقامات، وأصحابه يركبون السِّباع ويلعبون بالحيّات، ويتعلّق أحدهم فى أطول النخل ثم يُلقِى نفسه إلى الأرض ولا يتألّم، وكان يجتمع عنده كلّ سنة فى المواسم خلقٌ عظيم . قال الشيخ شمس الدين يوسف فى تاريخه مرآة الزمان : «حَكَى لى بعض أشياخنا قال : حضرتُ عنده ليلة نصف شعبان، وعنده نحو من مائة ألف إنسان قال : فقلت له : هــذا جمع عظيم، فقــال لى : حُشِرتُ مَحْشَرَ هامان إن خطر ببالى أنّى مقدّم هذا الجمع . قال : وكان متواضعا سليم الصدر مجرّدا من الدنيا ما آدّخر شيئا قطّ» . انتهى .

قلت : وعلْم الشيخ أحمد بن الرفاعىّ وفضله وورعه أشهر من أن يذكر، وهو أكثر الفقراء أتباعا شرقا وغربا، والأعاجم يسمّونه : سيّدى أحمد الكبير، وقيل :

(١) البطائحة — سكان البطائح — : وهى عدّة قرى مجتمعة فى وسط الماء بين واسط والبصرة، ولها شهرة بالعراق (عن ابن خلكان) .

إنّ سبب مرضه الذى مات منه، أنّ عبد الغنيّ بن محمد بن نُقْطَة الزاهد مضى إلى زيارته، فأنشد[(١)] أبياتا منها :

إذا جَنّ ليلى هام قلبى بذكركم * أنوح كما ناح الحَمَام المُطَوَّقُ
وفوقى سحاب يُمطر الهمّ والأسى * وتحتى بحارٌ بالأسى تتدفّق
سلوا أمّ عمرٍو كيف بات أسيرها * تُفكّ الأسارى دونه وهو موثق
فلا هو مقتولٌ ففى القتل راحةٌ * ولا هو ممنونٌ عليه فيعتق[(٢)]

وكانت وفاة الشيخ أحمد فى يوم الخميس ثانى عشر[(٣)] جمادى الأولى، وقد جاوز سبعين سنة[(٤)] .

وفيها توفّى الأمير فرخشاه بن شاهنشاه بن أيّوب أبو سعد عزّ الدين . كان من الأماثل الأفاضل، كان متواضعا سخيّا جوادا شجاعا مِقْداما ، وكان عمّه صلاح الدين قد آستنابه بالشام ، وكان فصيحًا شاعرا . مات بدمشق فى جُمادَى الأولى . ومن شعره — رحمه الله تعالى — .

أقرَضُونى زمنًا قربهمْ * وآستعادوا بالنَّوَى ما أقرضوا
أنا راضٍ بالذى يرضيهمُ * ليت شعرى بالتلاقى هل رَضُوا؟

وفيها توفّى الأمير يوسف بن عبد المؤمن بن علىّ أبو يعقوب صاحب المغرب، أمير الموحّدين . كان حسن السيرة عادلا ديّنا ملازما للصلوات الخمس ، لابسا للصوف، مجاهدا فى سبيل الله تعالى .

---

(١) كذا فى الأصل . وفى ابن خلكان : وكان للشيخ أحمد مع ما كان عليه من الاشتغال بسادته شعر، منه على ما قيل : * إذا جنّ ليلى ... الخ *
وقال صاحب شذرات الذهب نقلا عن ابن الجوزى — بعد أن ذكر وفاته كما ذكرها المؤلف — : « مفهوم كلام ابن الجوزى أن الأبيات لغيره مع أن ابن خلكان ذكر أنها من نظمه » .
(٢) رواية ابن خلكان وشذرات الذهب وعقد الجمان : « فيطلق » .
(٣) فى ابن خلكان : « توفى يوم الخميس الثانى والعشرين من جمادى الأولى» .
(٤) فى مرآة الزمان وعقد الجمان : «وقد جاوز تسعين سنة» .

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: وفيها توفّى الشيخ الكبير أبو العبّاس أحمد بن علىّ بن أحمد الرفاعىّ بالبطائح . وأبو طالب الخضر بن هبة الله بن أحمد بن طاوس فى شوّال . والحافظ أبو القاسم خَلَف بن عبد الملك بن مسعود بن موسى ابن بَشْكُوَال الأنصارىّ القُرْطُبىّ فى شهر رمضان، وله أربع وثمانون سنة. وأبو طالب أحمد بن المسلم بن رَجَاء اللَّخْمِىّ التَّنُوخىّ فى شهر رمضان بالإسكندريّة . وخطيبُ الموصل أبو الفضل عبد الله بن أحمد بن محمد الطُّوسىّ فى شهر رمضان عن اثنتين وتسعين سنة . وعزّ الدين فرخشاه بن شاهنشاه بن أيّوب نائب دمشق فى جُمادى الأولى. والقطب النَّيْسابُورىّ أبو المعالى مسعود بن محمد بن مسعود شيخ الشافعيّة فى آخر شهر رمضان . وأبو محمد هبة الله بن محمد بن هبة الله الشِّيرَازىّ بدمشق فى شهر ربيع الأوّل .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ستُّ أذرع وإحدى وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة سبعَ عشرةَ ذراعا وإصبعان .



السنة الثالثة عشرة من ولاية صلاح الدين يوسف بن أيّوب على مصر، وهى سنة تسع وسبعين وخمسمائة .

فيها فى يوم الأحد عاشر المحرّم تسلّم السلطانُ صلاحُ الدين آمِد من ديار بكر، ودخل إليها وجلس فى دار الإمارة، ثم سلّمها وأعمالَها إلى نور الدين محمد[1] بن قرا أرسلان صاحب حِصن كَيْفَا، وكان قد وعده بها لمّا جاء إلى خدمته . ثم عاد

(١) فى الأصل: «نور الدين محمود» وهو خطأ . والتصويب عن السيرة ومرآة الزمان وابن الأثير والروضتين وعقد الجمان .

إلى حلب وحاصرها حتى أخذها من عماد الدين زنكى ابن أخى نور الدين الشهيد، وبذل له عوضها سنجار، وعمل الناسُ فى ذلك أشعارا كثيرة، منها :

وبعتَ بسنجارَ خيرَ القلاع * ثكلتكَ من بائعٍ مشترى

وكان فى أيام حصار حلب أصاب تاجَ الملوك بُورِى بن أيوب سهمٌ فى عينه فمات بعد أيام، فحزن أخوه السلطان صلاح الدين عليه حزنا شديدا، وكان يبكى ويقول: ما وفتْ حلبُ بشعرة من أخى تاج الملوك بُورِى . وخرج عماد الدين من حلب وسار إلى سنجار . ولمّا طلع صلاح الدين إلى قلعة حلب فى سلخ صفر [أنشده][1] القاضى [محيى الدين بن] زكىّ الدين محمد بن علىّ القرشىّ[2] قاضى دمشق أبياتا منها :

وفتحه[3] حلبًا بالسيف فى صفرٍ * مبشّرٌ بفتوح القدس فى رجبِ

وكان كما قال، لكن بعد سنين ، وهو الذى [خطب][1] بالقدس لمّا فتحه صلاح الدين فى رجب .

وفيها توفّى محمد بن بختيار الأديب ، أبو عبد الله المولّد[4] المعروف بالأبله البغدادىّ الشاعر المشهور، كان شاعرا ماهرا جمع فى شعره بين الصناعة والرقّة .

ومن شعره :

زار من أحيا بزورته * والدُّجى فى لون طرّته
قمرٌ يثنى معاطفه * بانةٌ فى ثِنْيِ بُردته

(١) الزيادة عن مرآة الزمان وابن خلكان . (٢) التكملة عن السيرة وابن خلكان وتاريخ ابن الوردى . وفى عقد الجمان . « فخر الدين بن الزكى » . (٣) رواية ابن خلكان .

* وفتحك القلعة الشهباء فى صفر *

ورواية عقد الجمان :

وفتحكم حلب الشهباء فى صفر * قضى لكم بافتتاح القدس فى رجب

(٤) فى الأصل . « الموله » . وما أثبتناه عن ابن خلكان وعقد الجمان ومرآة الزمان .

بِتُّ أستجلى المُدام علَى * غـــرّة الواشى وغرّته
يالها من زَوْرةٍ قصُرت * فأماتت طـولَ جَفْوَته
يالَهُ فى الحسن من صنمٍ * كلُّنـا فى جاهليّتـه

وله قصيدة طنّانة أولها :

٥ دعنِي أُكابد لَوْعَــتِي وأمانِى * أين الطَّلِيقُ من الأســير العانِى

وفيها توفّى الملك تاج الملوك بُورِى بن أيّوب بن شادِى أبو سعيد أخو السلطان صلاح الدين من سهم أصابه فى حصـار حَلَب كما تقدّم ذكره . كان مولد تاج الملوك فى ذى الحِجّة سنة ستّ وخمسين وخمسمائة ، وكان قد جُمِـع فيه محاسن الأخلاق : من مكارمَ وشيمٍ ولُطف طباع ، مع شجـاعة(١) وفضل وفصاحة، وكان

١٠ شاعرا بليغا . ومن شعره :

رمضان بل مرضان إلّا أنّهم * غَلِطوا إذًا فى قولهم وأساءوا
مرضـان فيـــه تخـالفا * فنهاره سلّ وأما ليله آستسقاء

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هـذه السنة ، قال : وفيها توفّى إسماعيل بن قاسم الزيّات بمصر . وتقيّـة بنت [غيث بن](٢) علىّ الأرْمَنَازِيّة(٣) الشاعرة . وأبو الفتـح

١٥ عبد الله بن أحمد الأصبهانىّ الخِرَقِىّ فى رجب، وله تسع وثمانون سنة . ومحمـد بن بَخْتِيار البغدادىّ الشاعر المعروف بالأبْلَه . وأبو العَلَاء محمد بن جعفر بن عقيل، وله ثلاث وتسعون سـنة . وأبو طالب محمـد بن علىّ الكَتَّانِىّ المُحْتَسِب . والعـلّامة رضىّ الدين يونس بن محمد بن مَنَعَة فقيه الموصل .

(١) فى الأصل «مع مكارم وشجاعة» . (٢) التكلة عن شذرات الذهب وابن خلكان .

٢٠ (٣) فى الأصل : « الأرمازيه » . والتصويب عن ابن خلكان وشذرات الذهب . والأرمنازية : نسبة الى أرمناز . بليدة قديمة من نواحى حلب ، بينها نحو خمسة فراسخ (عن معجم البلدان لياقوت) .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ستّ أذرع وإحدى وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وثلاث وعشرون إصبعا .

***

السنة الرابعة عشرة من ولاية صلاح الدين يوسف بن أيّوب على مصر، وهى سنة ثمانين وخمسمائة .

فيها حجّ بالناس من العراق طاشتكين .

وفيها توفّى إيلغازى بن ألبى بن تمرتاش بن إيلغازى بن أُرْتُق قطب الدين صاحب ماردين ؛ كانت وفاته فى جمادى الآخرة . وخلّف ولدين صغيرين . وكان ملكا شجاعا عادلا مُنْصِفا عاقلا .

وفيها توفّى عبد الرحيم[1] بن إسماعيل بن أبى سعد[2] شيخُ الشيوخ صدر الدين وابن شيخ الشيوخ النّيسابورىّ . وُلد سنة ثمانٍ وخمسمائة، وكان فاضلا رسولا[3] بين الخليفة وصلاح الدين ، وكان يَلْبَس الثياب الفاخرة ، ويتخصّص بالأطعمة الطّيبة ، فكان أهل بغداد يَعيبون عليه حيث لم يسلُك طريق المشايخ فى التعفّف عن الدنيا ، ولمّا مات رثاه ابن المنجّم[4] المصرىّ :

يا أخلّائِى وحقّكمُ * ما بَقِى من بعدِكمْ فَرَحُ

أىُّ صدرٍ فى الزمان لنا * بعدَ صدر الدين ينشرح

---

(١) كذا فى الأصل والمختصر المحتاج إليه وشرح القصيدة اللامية فى التاريخ وابن الوردى وما سيذكره المؤلف نقلا عن الذهبى . وفى ابن الأثير وعقد الجمان « عبد الرحمن بن إسماعيل » .

(٢) كذا فى الأصل والمختصر المحتاج إليه . وفى ابن الأثير وتاريخ ابن الوردى وعقد الجمان « ابن أبى سعيد » .

(٣) فى الأصل « مترسلا » . وما أثبتناه عن ابن الأثير .

(٤) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٩٥ من هذا الجزء .

وتولّى مشيخةَ الرّباط بعده الشيخ صفىّ الدين إسماعيل .

وفيهـا توفّى محمد بن قرا أَرْسـلان نور الدين صاحب حصن كَيْفَا، الذى كان أعطاه السلطان صـلاح الدين آمِد . وترك ٱبْنَه ظهيرَ الدين سُكْمان صـغيرا ، عمره عشرُ سنين .

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهـم فى هـذه السنة ، قال : وفيها توفّى صـدر الدين عبد الرحيم بن إسماعيل بن أبى سعد شيخ الشيوخ فى رجب بالرَّحْبة راجعا فى الرسلية[1]. وأبو عبد الله محمد بن حمزة بن أبى الصَّقْر القرشىّ . وأبو الوفا محمود بن أبى القاسم [عمر][2] الأَصْبَهانىّ فى شهر ربيع الآخر، وله إحدى وسبعون سنة . أجاز له طَرّاد [الزَّيْنبى النَّقيب][2] وسمع من أبى الفتح [أحمد بن محمـد][2] البيودرحانىّ[3] . وصاحب المغرب أبو يعقوب يوسف بن عبـد المؤمن[4] شهيدًا على حصار شَنْتَرِين[5] بالأندلس فى رجب .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم ستّ أذرع وثلاث عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وثلاث عشرة إصبعا .

* * *

١٥ السنة الخامسة عشرة من ولاية السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب على مصر، وهى سنة إحدى وثمـانين وخمسمائة .

(١) كذا بالأصل . (٢) الزيادة عن المختصر المحتاج اليـه من تاريخ بغداد

(٣) كذا فى الأصل والمختصر المحتاج اليه . ولم نجد هذه النسبة فى الكتب التى تحت يدنا . والموجود فى كتب الأنساب ومعجم البلدان لياقوت : « البورحانى » . ولعل ما ورد فى الأصل والمختصر محرف ٢٠ عنها . وبورجان : بلد بين هراة ونيسابور . (٤) قد قدّم المؤلف وفاته سنة ٥٧٨ هـ .

(٥) شنترين كلمتان، إحداهمـا من « شنت » والأخرى من « رين » : مدينـة متصلة الأعمال بأعمال باجة فى غرب الأندلس (عن معجم البلدان لياقوت)

فيها قطع السلطان صلاح الدين الفرات ونزل على الموصل وآفتتح عدّة بلاد .

وفيها توفّي عبد السلام بن يوسف بن محمد الأديب أبو الفتوح[1] الجُماهِرِيّ[2] .
كان فاضلا شاعرا . ومن شعره من قصيدة :

على ساكِنى بطن العقيق سَلَامُ * وإنْ أسهرونى بالفِراق وناموُا
حرمتمْ[3] عَلَيّ النــومَ وهو محلَّلٌ * وحلّلتمُ التعذيبَ وهو حــرام
أَلَا يا حمــاماتِ الأَراك إليكُمُ * فمالِيَ فى تعــريدكُنّ مَــرَامُ
فَوَحْدِى وشوقى مُسْعِدُومؤانِسٌ * ونَوْحِى ودَمْعِى مُطْرِبٌ ومُدَام

وفيهــا توفّيت عصمة الدين خاتون بنت مُعين الدين أُنُر زوجةُ السلطان صلاح الدين صاحبِ الترجمة ، تزوّجها بعد زوجها الملكِ العادل نورِ الدين الشهيد. كانت من أعفّ النــاس وأكرمهنّ ، كان لهــا صــدقات كثيرة وبِرّ عظيم ، بنَتْ بدمشق مدرسة للحنفيّة فى حَجْر[4] الذهب ، ورِبَاطًا للصوفيّة ، وبَنَتْ تربة بقَاسِيُون على نهر بَرَدَى[5] ، وبها دُفِنت ، وأوقفت على هــذه الأماكن أوقافا كثيرة . وماتت فى رجب ، فبلغ صلاحَ الدين موتُها وهو مريض بحَرّان فتزايد مرضه لموتها ولحزنه عليها . ثم مات بعدها أخوها سعد الدين مسعود بن أُنُرفى هذه السنة ، وكان من أكابر الأمراء ، زوّجه صلاحُ الدين أختَه ربيعةَ خاتون . فلمّا توفّى تزوّجها بعده الأمير مظفَّرُ الدين بن زَيْن الدين .

وفيها توفّى محمــد آبن الملك المنصور أســد الدين شِيرِكُوه بن شادى الأمــير ناصر الدين آبن عمّ السلطان صلاح الدين . كان السلطان صلاح الدين يخافه لأنّه

(١) فى الأصل « أبو الفتح » . وما أثبتناه عن المختصر المحتاج اليه من تاريخ بغداد .
(٢) فى الأصل . « الجاهور » . والتصويب عن شرح القاموس والمختصر المحتاج اليه .
(٣) فى المختصر المحتاج اليه . « حطرتم » (٤) حجر الذهب : محلة بدمشق .
(٥) بردى نهر بدمشق .

كان يدّعى أنّه أحقّ بالملك منه . وكان السلطان صلاح الدين يبلغه عنه هذا ،
وكان زوجَ أخت السلطان صلاح الدين ستّ الشام بنت أيّوب . ومات بحمص
فى يوم عَرَفة، وتناثر لحمه حتّى قيل إنّه سُمّ، وقيل مات فجأة، فنقلته زوجتُه
ستّ الشام إلى تربتها، ودفنته عند أخيها الملك المعظّم تُوران شاه بن أيّوب المقدّم
ذكره . ولمّا بلغ صلاح الدين موته أبقى على ولده أسد الدين شِيركُوه بن محمد المذكور
ما كان بيد والده : حِمْص وتَدْمُر والرَّحْبَة وسَلَمْيَة، وخلع عليه وكتب منشورا بذلك .

وفيها توفّى محمد بن أحمد بن فتح الدين البَغْدادىّ الحنفىّ، كان فقيها شاعرا أديبا .
ومن شعره فى مليح عليه قَبَاءٌ كُمُّه مطرّز :

صَمَّمْتُ مُعَذِّبِى لمّا أتانِى * ورَقْمُ طِرازِه قد راق عينِى
فياطَرْزَيه هل يُدْنى زمانى * ليالىَ وصلِنا بالرَّقْمتَيْنِ

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال : وفيها تُوفّى أبو الطاهر إسماعيل
ابن مكّىّ [بن إسماعيل بن عيسى][1] بن عَوْف الزُّهْرىّ شيخ المالكيّة بالثغر فى شعبان .
وصاحب أَذْرَبِيجان البَهْلَوان [محمد][2] بن إيلدكز . والشيخ حياة بن قَيْس الحَرّانىّ
العابد فى جُمَادى الأولى . وأبو اليسر شاكر بن عبد الله بن محمد التَّنُوخىّ كاتب
نور الدين . والمهذّب عبد الله بن أسعد [بن علىّ][3] بن الدهّان الموصلىّ الشافعىّ
النحوىّ الشاعر فى شعبان بحِمْص . والحافظ أبو محمد عبد الحقّ بن عبد الرحمن الأَزْدِىّ
الإشْبِيلِىّ فى شهر ربيع الآخر ببِجَايَة[4]، وله سبعون سنة . والحافظ أبو زيد[5] عبد الرحمن

(١) التكملة عن تاريخ الاسلام للذهبى وشذرات الذهب . (٢) فى الأصل «بهلوان بن الركن» . والزيادة والتصويب عن ابن الأثير وتاريخ أبى الفداء وتاريخ ابن الوردى وعقد الجمان .
(٣) التكملة عن تاريخ الاسلام وعقد الجمان وطبقات الشافعية وشذرات الذهب .
(٤) بجاية : مدينة على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب (عن معجم البلدان لياقوت) .
(٥) فى تاريخ الاسلام وعقد الجمان وشذرات : «أبو القاسم وأبو زيد» .

ابن عبدالله السُّهَيْلِيّ المالَقِيّ[1] الأديب في شعبان . وعبد الرازق بن نصر بن المسلم النجّار الدمشقيّ . وأبو الفتح [عُبيد الله بن] عبد الله [بن محمد بن نجا] بن شاتيل[3] الدبّاس في رجب، وله تسعون سنة . وأبو الجيوش عساكر بن عليّ المُقْرِئ بمصر . وأبو حفص عمر بن عبدالمجيد المَيَانِشيّ[4] بمكّة . وأبو المجد الفضل بن الحسين البانياسيّ في شوّال . وصاحب حِمْص ناصر الدين محمد بن أسد الدين شِيرِكُوه . والحافظ أبو سعد[5] محمد بن عبد الواحد الصائغ بأصبهان في ذى القعدة . والحافظ العلّامة أبو موسى محمد بن أبى بكر عمر بن أبى عيسى المَدِينيّ في جمادى الأولى، وله ثمانون سنة .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم سبع أذرع وتسع عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وإصبع واحدة .

* * *

السنة السادسة عشرة من ولاية صلاح الدين يوسف بن أيّوب على مصر، وهي سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة .

فيها حكَم المنجّمون في الآفاق بخراب العالم في جُمادى الآخرة، وقالوا تَقْتَرِن الكواكب السيّارة : الشمسُ والقمر وزُحل والمرّيخ [والزُّهَرَة[6]] وعُطَارِد والمُشْتَرِى في برج المِيزان أو السَّرطان ، فتُؤَثِّر تأثيرا يضمحلّ به العالم ، وتَهُبّ سموم مُحْرِقة تحمل

(١) المالقى نسبة الى مالقة ، مدينة بالأندلس عامرة من أعمال رية ، سورها على شاطئ البحر بين الجزيرة الخضراء والمرية . (عن معجم البلدان لياقوت) . (٢) التكملة عن تاريخ الاسلام وشذرات الذهب والمختصر المحتاج اليه من تاريخ بغداد . (٣) في الأصل : «شايل» . والتصويب عن تاريخ الاسلام وشرح القاموس وشرح القصيدة اللامية في التاريخ . (٤) الميانشى : نسبة الى ميانش ، قرية من قرى المهدية بافريقية (عن معجم البلدان لياقوت) . (٥) في الأصل : « أبو سعيد » . والتصويب عن تاريخ الاسلام وشذرات الذهب وشرح القصيدة اللامية في التاريخ .
(٦) زيادة عن مرآة الزمان وعقد الجمان .

رملا أحمر ، فآستعدّ الناسُ وحفَروا السراديب وجمعوا فيها الزاد . وآنقضت المدّة المعيّنة ، وظهَر كذب المنجّمين . فقال [أبو الغنائم محمد] (1) بن المعلّم فى أبى الفضل (2) المنجّم قصيدة طنّانة :

قُلْ لأبى الفضل قولَ مُعْتَرِفٍ * مضَى جُمادى وجاءنا رَجَبُ

وما جَرَتْ (3) زَعْزَعٌ كما حكَموا * ولا بَدَا كوكَبٌ له ذَنَبُ

ومنها :

مُدَبِّر الأمرِ واحدٌ ليس للسبْـ * ـعة فى كلّ حادثٍ سَبَبُ

لا المُشْتَرِى سالمٌ ولا زُحلٌ * باقٍ ولا زُهَرةٌ ولا قُطُبُ

ومنها :

فليُبْطِلِ المدّعون ما وضَعُوا * فى كُتْبِهم ولتُحْرَقِ الكُتُبُ

قلت : وهذا الكذب متداوَل بين القوم إلى زماننا هذا ، حتّى إنّه لا يمضى شهر إلّا وقد أوعدوا الناسَ بشىء لا حقيقةَ له . والعجب أنّ الشخص من العامّة إذا كذَب مرّة على رجل يَسْتَحِى ولا يعود إلى مثلها ، وهؤلاء القوم لا عِرْض لهم ولا دينَ ولا مُرُوءةَ . ولله درّ القائل ولم أدرِ لمن هو :

دعِ النجومَ لصوفىٍّ يعيشُ بها * وبالعزائم فانهَض أيّها الملِكُ

إنّ النبىّ وأصحابَ النبى نَهَوْا * عن النجوم وقد أبصرتَ ما مَلَكوا

(1) التكملة عن مرآة الزمان وعقد الجمان وآبن خلكان . وهو أبو الغنائم محمد بن على بن فارس بن على ابن عبد الله بن الحسين بن القاسم المعروف بابن المعلم الواسطى الهرثى الملقب نجم الدين الشاعر المشهور . كان شاعرا رقيق الشعر وشعره يذوب من رقته . وسيذكر المؤلف وفاته سنة ٥٩٢ هـ .

(2) هو أبو الفضل الفارسى المنجم نزيل بغداد، كان منجما ببغداد يتكلم فى الأحكام النجومية ويقلده الناس فيما يقول ويدعى أكثر مما يعلم (راجع ترجمته فى تاريخ الحكماء ص ٤٢٦) .

(3) فى الأصل « وما جرى » . وما أثبتناه عن مرآة الزمان والروضتين وعقد الجمان وتاريخ الحكماء لابن القفطىّ .

وفيها عاد السلطان صلاح الدين إلى الشام وتلقاه شيركوه بن محمد بن شيركوه وأخته سفرى خاتون أولاد ابن عمه محمد بن أسد الدين شيركوه وزوجته ست الشام، وهي أخت السلطان صلاح الدين، فقال السلطان لأخيه العادل أبي بكر بن أيوب: اقسم التركة بينهم على فرائض الله تعالى. وكان محمد قد خلف أموالا عظيمة، فكان مبلغ التركة ألف ألف دينار. ٥

وفيها دخل سيف الإسلام أخو صلاح الدين إلى مكة، ومنع من الأذان في الحرم بـ «حي على خير العمل».

وفيها قسم السلطان صلاح الدين يوسف البلاد بين أهله وولده برأى القاضي الفاضل، فأعطى مصر لولده العزيز عثمان؛ والشام لولده الأفضل؛ وحلب لولده الظاهر، وأعطى أخاه العادل أبا بكر إقطاعات كثيرة بمصر، وجعله أتابك العزيز؛ ١٠ وأعطى لابن أخيه تقي الدين حماة والمعرة ومنبج وأضاف إليه ميافارقين.

وفيها توفي الحسن بن علي بن بركة أبو محمد المقرئ النحوي، كان إماما فاضلا انتفع بعلمه خلائق كثيرة، وكان أديبا بارعا ومات في شوال. ومن شعره:

وما شان الشيب من أجل لونه * ولكنه حاد[1] إلى الموت مسرع

إذا ما بدت منه الطليعة آذنت * بأن المنايا بعدها تتطلع ١٥

وفيها توفي عبد الله [بن بري][2] بن عبد الجبار المعروف بابن بري النحوي بمصر، كان إماما أديبا فاضلا بارعا في علم النحو والعربية، وانتفع به خلق كثير، ومات بمصر في شوال. وكان حجة ثقة. ومن شعره — رحمه الله —:

(١) كذا في الأصل وتاريخ الإسلام للذهبي. ورواية مرآة الزمان وعقد الجمان: «ولكنه داع».

(٢) التكملة عن ابن خلكان وبغية الوعاة وشذرات الذهب وعقد الجمان وابن الأثير وتاريخ ٢٠ الإسلام للذهبي.

حدٌّ وثغرٌ فجـــلّ ربٌّ * بمُبدع الحسن قد تفرّدْ
هذا عن الواقدىّ يُروى * وذاك يُروى عن المبرّد

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هـذه السنة، قال : وفيها توفى أبو محمـد عبد الله ابن برّى النحوىّ بمصر فى شوّال ، وله ثلاث وثمانون سنة . وأبو محمد عبد الله بن محمد بن جرير القرشىّ الناسخ ببغداد . وأبو محمد الحسن بن علىّ [بن بركة](١) بن عبيدة الكوفىّ النحوىّ المقرئ فى شوّال .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم ستّ أذرع وأثنتا عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة سبعَ عشرةَ ذراعا و إصبع واحدة .

*
* *

السنة السابعة عشرة من ولاية السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب على مصر، وهى سنة ثلاث وثمـانين وخمسمائة .

فيها فتح السلطان صلاحُ الدين بيت المقدس وعكّا وحصونا كثيرة بالساحل، بعد أمور وحروب ذكرناها فى ترجمته .

وفيها توفّى علىّ بن أحمد بن علىّ بن محمد قاضى القضاة أبو الحسن بن الدامَغانىّ الحنفىّ قاضى قضاة بغداد . قال أبو المظفّر : قاضى ٱبن قاضى ٱبن قاضى ٱبن قاضى ٱبن قاضى ٱبن قاضى . وُلد سـنة ثلاث عشرة وخمسمائة(٢)، وولّاه الخليفـة المقتفى القضاءَ بمدينة السلام وسائرِ البلاد مشرقا ومغربا ، وأقرّه المستنجد ثم عزله ، ثم أعاده

(١) التكملة مما تقدّم ذكره للمؤلف .

(٢) فى الأصل : « سـنة عشر وخمسمائة » . والتصويب عن تاريخ الاسلام للذهبى وعقد الجمان والمختصر المحتاج اليه من تاريخ بغداد والجواهر المضية فى طبقات الحنفيـة (نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥ م تاريخ) للشيخ عبد القادر بن أبى الوفاء القرشى .

المستضىء سنة سبعين وخمسمائة ، ثم أقرّه الناصر لدين الله تعالى إلى أن توفّى ببغداد فى ذى القعدة ودفن بالشُّونيزيّة عند جدّه لأمّه أبى الفتح الشاوى[1] . وكان إماما فقيها عالما نزها عفيفا معدودا من كبار فقهاء السادة الحنفية — رحمه الله تعالى — .

وفيها توفّى محمد بن عبد الملك[2] بن المقدّم الأمير شمس الدين، كان من أكابر أمراء الملك العادل نور الدين، ثم صلاح الدين يوسف بن أيّوب . وله المواقف المشهودة، وحضر جميعَ فتوحات السلطان صلاح الدين، ثم إنه آستأذن صلاح الدين فى الحجّ فأذِن له على كُرْه من مفارقته ؛ فلمّا وصل إلى عرفات أراد أنْ يرفع علَم صلاح الدين ويضربَ الطّبل، فمنعه طاشتِكين وقال: لا يُرفَع هنا سوى علم الخليفة. فقال آبنُ المقدّم هذا : والسلطانُ مَمْلُوكُ الخليفة . فمنعه طاشتِكين، فأمر آبن المقدّم غِلمانَه فرُفِع العلم فنكّسوه، فركب آبن المقدّم ومن معه، وركب طاشتِكين له ؛ وآقتتلوا فقتل من الفريقين ، ورَمَى مملوكُ طاشتكين آبنَ المقدّم بسهم فوقع فى عينه فخرّ صريعا، وجاء طاشتِكين وحمله إلى خَيْمته فتوفّى فى يوم الخميس يوم النحر ودفن بالمَعْلَى . ثم أرسل الخليفةُ يعتذر لصلاح الدين أنّ آبن المقدّم كان الباغى، فلم يقبل صلاح الدين، وقال . أنا الجواب عن الكتاب . ولولا آشتغاله بالجهاد لكان له وللخليفة شأن .

وفيها توفّى محمد بن عُبيدالله الأديب أبو الفتح البغدادىّ، المعروف بسِبْط [آبن] التّعَاوِيذىّ . الشاعر المشهور. وله ديوان شعر كبير، الموجود غالبه فى المديح. ومن شعره — رحمه الله — فى غير المديح، فى الزهد :

---

(١) كذا فى الأصل . وفى كتاب الجواهر المضية فى طبقات الحنفية : « أبى الفتح الساوى» بالسين المهملة

(٢) فى الأصل . « محمد بن عبد الله » . والتصويب عن ابن الأثير وشذرات الذهب وتاريخ ابن الوردى وعقد الجمان والروضتين وتاريخ الإسلام .

إجعلْ همومَــك واحدًا * وتخــلّ عن كلّ الهمـــوم
فعساكَ أنْ تحظَى بمــا * يُغنيــك عن كلّ الهموم

وله :

فكمْ ليــلةٍ قد بِتُّ أرشُف رِيقَه * وجُزْتُ على ذاك الشّنيب المُنَضَّدِ
وبات كما شاء الغـرامُ مُعانِقِي * وبِتُّ وإيّاه كحـرفٍ مشـدَّد

٥

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهـم فى هـذه السنة ، قال : وفيها توفّى شيخ الفَتَوَى عبد الجبّار بن يوسف ببغداد . والمحدِّث أبو العزّ[(١)] عبـد المُغيث بن زُهير الحَرْبِيّ . وقاضى القضاة أبو الحسن علىّ بن أحمد آبن قاضى القضاة علىّ بن محمد بن الدامغانىّ الحنفىّ . وأبو الفتح محمـد بن يحيى بن محمـد بن مواهب البَرَدَانِيّ[(٢)] . والأمير الكبير شمس الدين محمد [بن عبد الملك][(٣)] بن المقدّم النُّورِىّ ، قُتِل بعرفات . وأبو السعادات نصر الله بن عبد الرحمن بن محمد [يعرف][(٤)] بابن زُرَيْق القزّاز فى شهر ربيع الآخر ، وله آثنتان وتسعون سنة . وشيخ الحنابلة ناصح الدين[(٥)] أبو الفتح نصر بن فِتْيَان [بن مطرف المعروف بآ][(٦)] بن المَنِّى فى رمضان عن إحدى وثمـانين سنة .

١٠

§ أمر النيل فى هـذه السنة — المـاء القـديم ستّ أذرع وثمـانى أصابع .

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وآثنتا عشرة إصبعا .

١٥

* * *

السنة الثامنة عشرة من ولاية السلطان صـلاح الدين يوسف بن أيّوب على مصر ، وهى سنة أربع وثمانين وخمسمائة .

(١) فى شـذرات الذهب : «أبو العزيز» . (٢) البردانى : نسبة الى بردان ، قرية ببغداد .
(٣) التكملة عما تقدّم للؤلف (٤) الزيادة عن المختصر المحتاج اليه من تاريخ بغداد والمشتبه فى أسماء الرجال للذهبى . (٥) فى المشتبه وشذرات الذهب : « ناصح الإسلام » .
(٦) التكملة عن تاريخ الاسلام للذهبى وابن الأثير والمختصر المحتاج إليه .

٢٠

فيها توفى الأمير أسامة بن مُرْشِد بن علىّ بن المقلّد بن نصر بن مُنْقذ الأمير أبو الحارث[1] مؤيّد الدولة مجد الدين الكِنانىّ . مولده بشَيْزَر فى سنة ثمان وثمانين وأربعمائة، وكانت له اليد الطُّولى فى الأدب والكتابة والشعر، وكان فارسا شجاعا عاقلا مدبِّرا، كان يحفَظ عشرين ألف بيت من شعر العرب الجاهليّة، وطاف البلاد ثم آستوطن حَمَاة فتوفّى فيها[2] فى شهر رمضان، وقد بلغ ستّا وتسعين سنة . وله ديوان شعر مشهور، وكان السلطان صلاح الدين مُغْرًى بشعره . ومن شعره فى قلع الضِّرْس :

وصاحبٍ لا أَمَلُّ[3] الدهرَ صُحْبَتَه * يَشْقَى لنَفْعِى ويسعَى سعىَ مُجْتَهِدِ
لم أَلْقَه مُذْ تصاحبْنا فُمذْ[4] وقعتْ * عينى عليه آفترقنا فُرْقَةَ الأبدِ

وقال فى أيّام الملك العادل نور الدين الشهيد .

سلطاننا زاهدٌ والناس قد زهِدوا * له فكلٌّ على الخيرات مُنْكَمِشُ
أيّامُهُ مثلُ شهرِ الصَّوْمِ طاهرةٌ * من المعاصى وفيها الجوع والعطشُ

وفيها توفّى مجاهد الدين خالص بن عبد الله الناصرىّ خادم الخليفة الناصر لدين الله، كان قريبا من الخليفة سلّم إليه مماليكَه الخواص، وكان سليم الباطن ديّنا، صلى به إمامُه صلاة الفجر فقرأ الإمام فيها : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ﴾ فلمّا سمِع خالصٌ ذلك رفَع صوته وهو فى الصلاة وقال : صلّى الله عليك يارسولَ الله .

(١) كذا فى الأصل . وفى ابن خلكان وشذرات الذهب وعقد الجمان وتاريخ الإسلام للذهبى «أبو المظفر» . وفى ابن كثير «أبو الحارث وأبو المظفر» . (٢) فى ابن خلكان وعقد الجمان وابن كثير : «وتوفى بدمشق» . (٣) فى الأصل : «لم أمل» . وما أثبتناه عن شذرات الذهب وابن خلكان وعقد الجمان وابن كثير . (٤) فى الأصل : «قد نظرت» . وما أثبتناه عن شذرات الذهب . ورواية ابن خلكان وعقد الجمان وابن كثير : * حين بدا * لناظرى افترقنا.. *

فضحك القوم وقطعوا الصلاة. فقال لهم حالصٌ المذكور : مجانين أنتم ! يقول الله : ﴿ صلّوا عليه وسلّموا تسليما ﴾ وأسكت أنا !

وفيهـا تُوفّى محمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن المظفّر بن علىّ ، أبو حامد محيى الدين الشَّهْرُزُورِىّ(١) الإمام الفقيه، ولى القضـاءَ بالمَوْصل، وقدم بغداد رسولا من صاحب الموصل، فأكرمه الخليفة وخلَع عليه . ثم عاد فمات فى جمادَى الأولى .

ومن شعره :

ولـمّا شاب رأسُ الدهر غَيْظًا * لِـما قاساه من فَقْـــد الكرامِ
أقام(٢) يُميط عنـه الشيْبَ عَمْدًا * وينشُر ما أماط على الأنام

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال : وفيها توفّى الأمير مؤيّد الدولة أبو المظفر أسامَة بن مُرْشِـد بن علىّ بن مُقَـلَّد بن نصر بن مُنْقِذ الكِنَانِىّ فى شهر رمضان عن سبع وتسعين(٣) ســنة . وظاعن بن محمد الزُّبَيْرِىّ الخيّاط . وأبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله(٤) [بن يوسف بن أبى عيسى القاضى](٥) بن حُبَيْش الأنصارىّ بمُرْسِية(٦)، وكان خطيبًا وقاضيًا ومحدِّثًا ومسندًا ، توفّى فى صـفر . وأبو القبائل(٧) ابن علىّ عن مائة سنة وزيادة . والعلّامة شمس الأئمّة عماد الدين عمر بن شمس الأئمّة بكر بن محمد الزَّرَنْجَرِىّ(٨) البخارىّ شيخ الحنفيّة فى شوّال ، وله خمس وستون ســنة .

(١) فى الأصل وتاريخ الاسـلام . « كمال الدين » . وما أثبتناه عن ابن خلكان وعقد الجمان وشذرات الذهب وابن الأثير وابن كثير، وقد أجمعت كل هذه المصادر على أنه توفى سنة ٥٨٦ هـ ووافقهم الذهبى وطبقات الشافعية فى ذلك . (٢) رواية ابن خلكان * أقام يميط هذا الشيب عنه *

(٣) تقدّم فيمن ذكر المؤلف وفاتهم أنه بلغ ستا وتسعين سنة . (٤) فى تاريخ الإسلام . «ابن عبيد الله» . (٥) التكملة عن بغية الوعاة للسيوطى وتاريخ الإسلام للذهبى .

(٦) مرسية . مدينة بالأندلس من أعمال تدمير، اختطها عبد الرحمن بن الحكم بن هشام (عن معجم البلدان لياقوت) . (٧) هو عشير بن على بن أحمد بن الصبح أبو القبائل كما فى تاريخ الإسلام للذهبى .

(٨) الزرنجرى : نسبة الى زرنجرى . بلدة ببخارى (عن معجم البلدان لياقوت) .

وأبو عبدالله محمد بن علىّ بن محمد بن الحسن بن صَدَقَة الحَرّانِىّ التاجر، وله سبع وتسعون سنة . والحافظ أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان الحازِمىّ الهَمَذَانِىّ فى جُمادى الأولى شابًّا، وله خمس وثلاثون سنة . وأبو الفرج يحيى بن محمود الثَّقَفِىّ الصُّوفِىّ فى نواحى هَمَذَان غريبا .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ستّ أذرع وآثنتا عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة سبعَ عشرةَ ذراعا وثلاثَ عشرة إصبعا .

*
* *

السنة التاسعة عشرة من ولاية صلاح الدين يوسف بن أيّوب على مصر، وهى سنة خمس وثمانين وخمسمائة .

فيها ولّى السلطان صلاحُ الدين على عَكّة حُسامَ الدين بِشَارة، وولّى على عِمارة سورها الخادم بهاءَ الدين قراقوش .

وفيها توفّى الأمير طُمان بن عبد الله النُّورِىّ صاحب الرَّقّة ، كان شجاعا جوادا محبّا للخير كثير الصدقات يُحبّ الفقهاء والعلماء ، بنى مدرسة بحلب للحنفيّة . وكانت وفاته فى ليلة نصف شعبان ؛ وحزِن السلطان صلاح الدين عليه والمسلمون لحرصه على الجهاد ولمواقفه المشهودة .

وفيها توفّى عبد الله بن محمد بن هبة الله بن المطهّر[1] بن علىّ أبو سعد بن أبى السِّرِىّ التَّمِيمِىّ الموصلىّ القاضى شرف الدين بن أبى عَصْرُون . كان إماما فاضلا مصنّفا ، وكان حَصِيصا بالملك العادل نور الدين ، ثم آقتضى[2] به السلطان صلاح الدين ، وولِى القضاء بعدّة بلاد وضُرّ قبل وفاته بعشر سنين . ومن شعره قوله .

(١) فى الأصول : « ابن علىّ بن المطهر » . وما أثبتناه عن ابن خلكان وشذرات الذهب وتاريخ الإسلام للذهبى وعقد الجمان . (٢) يريد أنه آستقضاه أى ولاه القضاء .

كلُّ جمعٍ إلى الشـتاتِ يصيرُ * أىُّ صَـفوٍ ما شابَهُ التكديرُ
أنت فى اللّهو والأمانى مقيـمٌ * والمنـايا فى كلّ وقت تسـير

وفيهـا توفّى الفقيه عيسى الهَكّارىّ[1] ضياءُ الدين، حضر فتح مصر مع أسدالدين شِيرِكُوه، وهو الذى مشَى بين الأمراء وبين السلطان صلاح الدين لمّـا ولِى وزارة العاضد بعد موت عمّه أسد الدين شِيرِكُوه، حسب ما تقدّم ذكره حتّى تمّ أمره . ثمّ حضر مع السلطان صلاح الدين فتحَ القُدْس والغزوات، وكان صلاح الدين يَميل إليه ويستشيره، وكأنّ الله قـد أقامه لقضاء حوائج الناس والتفريج عن المكروبين مع الوَرَع والعِفّة والدين — رحمه الله — .

وفيهـا تُوفّى الأمير مُوسَك بن جَكُو [ابن][2] خال صـلاح الدين . كان حافظا للقرآن سامعا للحديث، وكان محسنا إلى الناس ملازما للسلطان فى غزواته، وكان ديّنا صالحا جَوَادًا، مرِض بمَرْج عَكّا فأمره السلطان أن يمضى إلى دمشق ليتطبّب بها، فتوجّه إلى دِمشق ومات بها — رحمه الله — .

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: وفيها توفّى أبوالعبّاس التُّرْك أحمد بن أحمد بن محمـد بن ينّال[3] شيخ الصوفيّة بأصبهان ومُسْنِدُها فى شعبان . وأبو الحسين أحمد بن حمزة المَوازِينىّ فى المحرّم . وقاضى القضاة شرف الدين أبو سـعد عبد الله ابن محمد بن أبى عَصْرُون التّميمىّ المَوْصِلىّ فى رمضان . وأبو الفضل عبد المجيد بن [الحُصَيْنىّ[4] بن يوسف بن الحسن بن أحمد بن] دَلِيل الإسكندرانىّ المعدّل . وشيخ

(١) هو أبو محمد عيسى بن محمد بن عيسى بن محمد بن أحمد بن يوسف بن القاسم بن عيسى بن محمـد بن القاسم بن محمد بن الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب — رضى الله عنه — (راجع ترجمته فى ابن خلكان) . (٢) التكملة عن الروضتين وعقد الجمان وتاريخ الإسلام . (٣) فى الأصل: «أبو الحسن» . والتصويب عن المختصر المحتاج اليه وشذرات الذهب وتاريخ الإسلام للذهبى .
(٤) التكملة عن تاريخ الإسلام للذهبى .

الشافعيّة أبو طالب المبارك بن المبارك [بن المبارك](١) الكَرْخى(٢) صاحب ابن الخلّ .
وأبو المعالى [وأبو النجاح](٣) مُنْجب بن عبد الله المُرْشِدِىّ الخادم فى الحرم . والحافظ
يوسف بن أحمد الشيرازى ثم البغدادى الصوفى .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وخمس عشرة إصبعا .
مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا واثنتان وعشرون إصبعا .

*
* *

السنة العشرون من ولاية السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب على
مصر، وهى سنة ستّ وثمانين وخمسمائة .

فيها ملّك سيف الإسلام أخو السلطان صلاح الدين صنعاء من بلاد اليمن .

وفيها حجّ بالناس من العراق طاشتكين المذكور فى السنة الماضية . ١٠

وفيها توفّى مسعود [بن علىّ](٤) بن عُبَيْد الله أبو الفضل بن النادر الصفّار الأديب
الشاعر، كان بارعا فى الأدب، وكتب خطّا حسنا نحوا من مائة ربعة . ومن
شعره قوله :

تولّوا فأولوا الجسمَ من بعدهمْ ضَنًى * وحزنًا شديدا فى الحَشا يتزايدُ
وزاد بلائى بالذين أُحِبّهمْ * وللناس فيما يَعْشَقون مذاهبُ ١٥

وفيها توفّى يوسف بن علىّ بن بُكْتِكِين الأمير زين الدين صاحب إرْبِل .
كان قدم إلى السلطان صلاح الدين نَجْدَةً فمرض ومات، وفرح بموته أخوه مُظَفَّر

(١) التكملة عن تاريخ الإسلام للذهبى وعقد الجمان والمختصر المحتاج إليه وطبقات الشافعية .
(٢) فى عقد الجمان «الكرخى» بالجيم . (٣) زيادة عن تاريخ الإسلام للذهبى .
(٤) فى الأصل : «مسعود بن عبد الله» والزيادة والتصحيح عن مرآة الزمان وعقد الجمان ٢٠
والمختصر المحتاج إليه من تاريخ بغداد وتاريخ الإسلام .

الدين، وتولّى إربل مكانه من قِبَل السلطان صلاح الدين . وكان زين الدين أميرا كبيرا شجاعا مِقداما مدبِّرا .

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفّى الحافظ أبو المواهب الحسن[1] بن هِبة الله بن محفوظ بن صصرى التَّغْلَبيّ الدمشقيّ ، وله تسع وأربعون سنة . وأبو الطيّب عبد المنعم بن يحيي [بن خَلَف بن نفيس][2] بن الخُلُوف الغِرْناطِيّ المقرئ . وأبو عبد الله محمد بن سعيد [بن أحمد[3] بن عبد العزيز بن عبد البرّ بن مجاهد المعروف بـ]ابن زَرْقُون الإشْبِيلِيّ المالكيّ المسنِد . وأبو بكر محمد بن عبد الله بن يحيي بن الفَرَج بن الجَدّ الفِهْرِيّ الحافظ بإشْبِيلِيَة . وقاضي القصاة محيي الدين أبو حامد[4] محمد ابن قاضي القضاة كمال الدين بن الشَّهْرَزُورِيّ ، وله اثنتان وستون سنة . ولي حلب ثم المَوْصِل .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وخمس وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعا وأربع أصابع .

* * *

السنة الحادية والعشرون من ولاية السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب على مصر، وهي سنة سبع وثمانين وخمسمائة .

فيها كان استيلاء الفرنج على عكّا، كما تقدّم في ترجمة السلطان صلاح الدين من هذا الكتاب .

---

(١) في الأصل «أبو المواهب الحسين» والتصويب عن شذرات الذهب وطبقات الحفاظ للسيوطي والمختصر المحتاج إليه من تاريخ بغداد وتاريخ الإسلام للذهبي . (٢) التكملة عن غاية النهاية في أسماء رجال القراءات وتاريخ الإسلام للذهبي والتكملة لكتاب الصلة لابن الأبار .
(٣) التكملة عن تاريخ الإسلام للذهبي . (٤) قد قدم المؤلف وفاته سنة ٥٨٤ هـ .

وفيها توفّى الموفّق أسعد بن [إلياس بن جرجس](١) المَطْرَان الطبيب. كان نصرانياً فأسلم على يد السلطان، وكان عزيز المُرُوءة حسنَ الأخلاق كريمَ العِشرة. وكان يصْحَبُه صبىّ حسن الصورة آسمه عمر. وكان الموفّق يحبّ أهل البيت ويبغض آبن عُنَيْن(٢) الشاعر لخُبث لسانه، وكان يحرّض السلطان صلاح الدين عليه ويقول له: أليس هذا هو القائل.

سُلْطانُنا أعرجٌ وكاتبُـهُ * أعْمَشٌ والوزير منحدبُ

فهجاه آبن عُنَيْن بقوله:

قالوا المـوفّق شِـيعِىٌّ فقلت لهم * هذا خلاف الذى للناس منه ظَهَرْ
فكيف يَجْعَل دينَ الرَّفْض مَذْهبَه * وما دعاه إلى الإسـلام غيرُ عمـرْ

وفيها توفّى سليمان بن جَنْدَر. كان من أكابر أمراء حلب، ومشايخ الدولتين: النُّورِيّة والصلاحيّة، شَهِد مع السلطان صلاح الدين حروبه كلّها، وهو الذى أشار بخراب عَسْقَلان مصلحة للسلمين. ومات فى أواخر ذى الحِجّة.

وفيها توفّى عمر بن شاهنشاه بن أيّوب الملك المظفّر تقىّ الدين. قد ذكرنا من أمره: أنّ عمّه السلطان صلاح الدين كان أعطاه حَمَاة، وعدّة بلاد من حماة إلى ديار بكر، فطمِع فى مملكة الشرق فنفرت عنه وعن عمّه صلاح الدين القلوبُ لعِظَم طمعهما. ووقع لتقىّ الدين هذا مع بكتمر [بن عبد الله(٣) مملوك شاه أرمن] صاحب خِلاط وقائع وحروب، فمات تقىّ الدين بتلك البلاد، فكتم محمد ولدُه موته، وحمله

(١) التكملة عن تاريخ الإسـلام للذهبى وعيون الأنباء فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة.

(٢) هو أبو المحاسن محمد بن نصر الدين بن نصر بن الحسين بن عنين الأنصارى الملقب شرف الدين الكوفى الأصل الدمشقى المولد، الشاعر المشهور. توفى سنة ٦٣٠ هـ (عن ابن خلكان).

(٣) التكملة عما سيأتى للؤلف فى حوادث سنة ٥٨٩ هـ.

إلى ميّافارقين، فدُفن بها . وكانت وفاته يوم الجمعة عاشر شهر رمضان ، ثم بنيت له مدرسة بظاهر حَمَاة، فنُقل إليها . وكان السلطان صلاح الدين يكره ابنه محمدا فأخذ منه بلاد أبيه ، وأبقى معه حماة لا غير . ولقّب محمد هذا بالملك المنصور . وهو أبو ملوك حَمَـاة من بنى أيّوب الآتى ذكرهم . وكان تقيّ الدين شجاعا مقداما شاعرا فاضلا ، ٥ عاشَر العلماء والأدباء وتخلّق بأخلاقهم، وله ديوان شعر . ومن شعره :

يا ناظِـرَيْهِ تَرَفّقَـا * ما فى الورَى لكما مُبارِزْ
هَبْكُمْ مَحَبْـتُمْ أنْ أرا * هُ فهل لقلب الصّبّ حاجِزْ

وفيها توفّى يحيى السُّهْرَوَرْدِىّ[1] المقتول بحَلَب، كان يعانِى علوم الأوائل والمنطق والسـيمياء وأبواب النِّيرَنْجِيَّات[2] ، فاستمال بذلك خلقا كثيرا وتبعوه ، وله تصانيف ١٠ فى هذه العلوم . واجتمع بالملك الظاهر ابن السلطان صلاح الدين صاحب حلب، فأعجب الظاهرَ كلامُهُ ومال إليه . فكتب أهل حلب إلى السلطان صلاح الدين : أدْرِكْ ولدكَ و إلّا تتلف عقيدتُه، فكتب إليه أبوه صلاح الدين بإبعاده فلم يُبْعِده، فكتب بمناظرته ، فناظره العلماء فظهَر عليهم بعبارته ، فقالوا : إنّك قلت فى بعض تصانيفك : إنّ الله قادر على أن يخْلُق نبياً، وهذا مستحيل . فقال : ما وجه استحالته؟ ١٥ فإنّ الله القادر هو الذى لا يمتنع عليه شىء. فتعصّبوا عليه، فحبسه الظاهر وجرت بسببه خُطُوب وشَنَاعات . وكان السُّهْرَوَرْدِىّ ردىء الهيئة، زَرِىّ الخِلْقَة ، دَنِس الثياب ، وسخ البَدَن ، لا يَغْسِل له ثوبا ولا جسما ، ولا يقصّ ظفرا ولا شـعرا ، فكان القمل يتناثر على وجهه ، وكان مَن رآه يهرُب منه لسوء منظره ، وقبح زِيّه.

(١) فى الأصل : « محمد » . والتصويب عن ابن خلكان وعقد الجمان وشذرات الذهب وتاريخ ٢٠ الإسلام . وهو أبو الفتوح يحيى بن حبش بن أميرك الملقب شهاب الدين السهروردى الحكيم .
(٢) النيرنجيات، جمع نيرنج ، وهو أخذ تشبه السحر وليست بحقيقته

وطال أمره إلى أن أمر السلطان بقتله فقتل في يوم الجمعة منسلخ ذي الحجة من هذه السنة، أخرج من الحبس ميتا. ومما ينسب إليه من الشعر القصيدة التي أولها[1]:

أبدا تحن إليكم الأرواح * ووصالكم ريحانها والراح
وقلوب أهل ودادكم تشتاقكم * وإلى كمال جمالكم ترتاح

وقال السيف الآمدي[2]: اجتمعت بالسهروردي بحلب، فقال لي: لا بد أن ٥
أملك الأرض. فقلت: من أين لك هذا؟ فقال رأيت في المنام أني شربت
ماء البحر، فقلت: لعل ذلك يكون اشتهار العلم فلم يرجع، فرأيته كثير العلم قليل
العقل. ويقال: إنه لما تحقق القتل كان كثيرا ما ينشد:

أرى قدمي أراق دمي * وهان دمي فها ندمي

والأول قول أبي الفتح البستي[3] وهو قوله: ١٠

إلى حتفي سعى قدمي * أرى قدمي أراق دمي
فلا أنفك من ندم * وليس بنافعي ندمي

وفيها توفي الشيخ نجم الدين الخبوشاني[4]. قال صاحب المرآة. «قدم إلى الديار
المصرية وأظهر الناموس وتزهد، وكان يركب الحمار فيقف على السلطان صلاح الدين
وأهله. وأعطاه السلطان مالا فبنى به المدرسة التي بجانب الشافعي[5] — رحمة الله ١٥
عليه —. وكان كثير الفتن — منذ دخل مصر إلى أن مات — ما زالت الفتنة قائمة

(١) وهي قصيدة طويلة ذكرها ابن خلكان وصاحب عقد الجمان. (٢) هو أبو الحسن على
ابن أبي على بن محمد بن سالم التغلبي الفقيه الأصولي الملقب سيف الدين الآمدي. توفي سنة ٦٣١ هـ.
(عن ابن خلكان). (٣) هو أبو الفتح على بن محمد البستي تقدمت وفاته سنة ٣٦٣ هـ. وراجع
الجزء الرابع ص ١٠٦ من هذه الطبعة. (٤) هو أبو البركات محمد بن الموفق بن سعيد بن على ٢٠
ابن الحسن بن عبد الله الفقيه الشافعي (عن عقد الجمان وابن خلكان).
(٥) راجع الحاشية رقم ٥ ص ٥٤ من هذا الجزء.

بينه وبين الحنابلة [و] ٱبن الصابونى ّ وزين الدين بن نُجَيَّة(١)، يكفّرونه ويكفرهم، وكان طائشا مُتَهوّرا ، نبش على ٱبن الكيزَانِىّ(٢) وأخرج عظامَه من عند الشافعىّ، وقد تقدّم ذلك . وكان يصوم ويُفطِر على خبز الشعير، فلمّا مات وُجِد له ألوف الدنانير، وبلغ صلاحَ الدين فقال : ياخيبة المَسْعَى ! ومات فى صفر . وتولّى بعــده ـــ تدريس مدرســة الشافعىّ التى بناها ـــ شيخُ الشيوخ صــدر الدين ٱبن حَمّويه(٣) » . إنتهى كلام صاحبِ المرآة بٱختصار بعــد أن ثَلَب الْخُبُوشَانِىّ المذكور بمساوئ أضربتُ عن ذكرها ـــ رحمه الله تعالى ـــ .

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هــذه السنة ، قال : وفيها توفى الفقيه أبو محمــد عبد الرحمن بن علىّ الخِرَقِىّ التّميمىّ فى ذى القعدة، وله ثمانٍ وثمانون سنة. وأبو المعالى عبد المنعم بن عبد الله بن محمد الفَرَاوِىّ(٤) فى شعبان . وصاحب حماة المظفّر عمر بن شاهنشاه بن أيّوب . ونجم الدين محمد بن الموفّق الْخُبُوشَانِىّ الشافعىّ الزاهد . والشهاب السُّهْرَوَرْدِىّ الفيلسوف . ويعقوب بن يوسف الحَرْبِىّ(٥) المقرئ .

§ أمر النيل فى هــذه السنة ـــ المــاء القديم ستّ أذرع وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وأربع عشرة إصبعا .

(١) فى الأصل : «ابن عشة» . والتصويب عن مرآة الزمان وعقد الجمان وشذرات الذهب وابن خلكان . وهو أبو الحسن على بن إبراهيم بن نجا بن غانم الأنصارى المعروف بابن نجية الواعظ المشهور، وسيذكر المؤلف وفاته فيما نقله عن الذهبى ســنة ٥٩٩ هـ . (٢) راجع ترجمته فى ص ٣٦٧ من الجزء الخامس من هذه الطبعة . (٣) هو محمد بن عمر بن على بن محمد بن حمويه، عماد الدين الجوينى كما فى طبقات الشافعية وسيذكر المؤلف وفاته سنة ٦١٧ هـ . (٤) فى الأصــل : «العراوى» . والتصويب عن تاريخ الاسلام وشذرات الذهب والمختصر المحتاج اليه من تاريخ بغداد .

(٥) كذا فى الأصل . وفى غاية النهاية : «الحربى» .

* * *

السنة الثانية والعشرون من ولاية صلاح الدين يوسف بن أيّوب على مصر، وهى سنة ثمان وثمانين وخمسمائة .

فيها توفّى سِنَان بن سليمان [1] ، صاحب الدعوة [2] بقلاع الشام . كان أصله من البصرة من حصن ألَموت [3] ، فرأى منه صاحب الأمر بتلك البلاد نجابةً وشهامة وعقلا وتدبيرا ، فسيّره إلى حصون الشام ، فسار حتّى وصل إلى البلاد الشاميّة ، وكان فيه معرفة وسياسة . وجدّ فى إقامة الدعوة وآستجلاب القلوب ، وكان مجيئُه إلى الشام فى أيّام السلطان الملك العادل نور الدين الشهيد . فجرَت له معه حروب وخطوب ، وآستولَى سِنَان هذا على عِدّة قلاع وأقام واليا ثلاثين سنة والبعوث ترِد عليه فى كلّ قليل من قِبَل نور الدين . ثم إنّ السلطان نورَ الدين عزم على قصده فتوفّى . وأقام سنان على ذلك إلى أن توفّى ببلاد الشام فى هذه السنة .

وفيها توفّى علىّ بن أحمد الأمير سيف الدين بن المَشْطُوب ملك الهَكّارِيّة [4] . وكان أميرا شجاعا صابرا فى الحروب مُطاعا فى قبيلته ، دخل مع أسد الدين شِيرِكُوه إلى مصر فى مرّاته الثلاث ، ثم عاد بعد سلطنة صلاح الدين إلى البلاد الشاميّة ، فدام بها إلى أنْ مات فى آخر شوّال . وقال آبن شدّاد : مات بالقدس وصُلِّىَ عليه بالجامع الأقصى .

وفيها توفّى السلطان قِلِيج أَرْسلان بن مسعود بن قليج أرسلان بن سليمان بن قُتُلْمِش بن إسرائيل بن سَلْجُوق ، الملك عِزّ الدين السلجوقىّ صاحب بلاد الروم .

(١) فى شذرات الذهب : « ابن سلمان » . (٢) يريد بها دعوة الإسماعيلية كما صرح بها فى عقد الجمان وشذرات الذهب وابن الأثير . (٣) ألموت : قلعة على جبل شاهق من حدود الديلم (راجع ابن الأثير ج ٨ ص ١٤٠) . (٤) الهكارية : بلدة وناحية وقرى فوق الموصل فى بلد جزيرة ابن عمر، يسكنها أكراد يقال لهم الهكارية . (عن معجم البلدان لياقوت) .

طالت أيّامه واتّسعت ممالكه . ولمّا أسنّ أصابه الفالج فتعطّلت حركتُه ، وتنافس أولادُه فى الملك ، وحكم عليـه ولده قُطْبُ الدين مَلِكشاه، وقَتَل كثيرا من خواصّه فى حياة أبيـه . وكان قطب الدين مُقيما بسِيوَاس(1) وأبوه بقُونِيَة(2) . ثم جاء إلى أبيه يقاتله فأخرج إليه العساكر، فآلتقاهم قطب الدين وكسرهم و بدد شمل أصحاب أبيه، ثم ظفر بأبيـه فأخذه مُكرَهًا وحمـله إلى قَيْسَارِيَة(3) ، ووقع له معه أمور أُخَر . وآخر الأمر أنّه عهِد إلى ولده غِياث الدين بالمُلك ولم يَعْهَد لقطب الدين . وكانت وفاته فى نصف شعبان .

وفيها تُوفّى نصر بن منصور أبو المرهف النُّمَيْرِىّ الشاعر المشهور، منسوب إلى نُمَير بن عامر بن صَعْصَعَة(4) . وُلِد بِرَقّة الشام ، وأمّه بنت سـالم بن مالك صاحب الرَّحْبَة، ورُبّى بالشام وعاشر الأدباء وقال الشعر وهو آبن ثلاث عشرة سنة . وقلّ بصره بالجُدَرِىّ وله أربع عشرة سـنة . وقدِم بغداد ليداوِىَ عَيْنَيْه فآيسه الأطبّاء ، فحفظ القرآن وتفقّه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل — رضى الله عنه — وكان طاهر اللسان عفيفا دينّا . وله مدائح فى صلاح الدين وغيره . ومن شعره — رحمه الله تعالى — :

تُرَى يتألّف الشـملُ الصديعُ * وآمنُ مِن زمانٍ ما يرُوعُ
وتأنس بعـد وَحْشَتِنا بنجْـدٍ * منازلُنـا القـديمةُ والرُّبُوعُ
ذكرتُ بأيْمَنِ العلَمَيْن عَصْـرًا * مضَى والشملُ(5) مُلْتَئِمٌ جميـعُ

(1) سيواس : بلدة كبيرة مشهورة و بها قلعة صغيرة بينها و بين قيسارية ستون ميلا (عن تقويم البلدان لأبى الفداء إسماعيل) . (2) قونية : مدينة من أعظم مدن الإسلام بالروم (عن معجم البلدان لياقوت) . (3) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٠٤ من الجزء الثانى من هذه الطبعة . (4) انظر بقية نسبه فى ابن خلكان . (5) كذا فى ابن خلكان . وفى الأصل : « والعيش ملتئم » .

فلم أملك لدمعى ردّ غَرْبٍ * وعند الشوق تَعْصِيكَ الدموعُ

ينازعنى إلى خَنْساء قلبى * ودونَ لقائها بلدٌ شَسوعُ

وأَخْوَفُ ما أخاف على فؤادى * إذا ما أنجد البرقُ اللَّموعُ

لقد حُمِّلْتُ من طول التنائى * عن الأحباب مالا أستطيع

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم فى هذه السنة، قال : وفيها توفّى الفقيه أحمد ٥ ابن الحسين بن علىّ العراقىّ الحنبلىّ بدمشق . والمحدّث أبو الفضل إسماعيل بن علىّ الجَنْزوِىّ[1] الشُّرُوطِىّ[2] بدمشق فى سلخ جُمادى الأولى . وأبو ياسر عبد الوهاب [بن هبة الله بن عبد الوهاب][3] بن أبى حَبّة الدقاق بحرّان فى شهر ربيع الأول . وأبو جعفر عبيدالله بن أحمد [بن علىّ بن علىّ][4] بن السَّمين . والأمير الكبير سيف الدين علىّ بن أحمد المَكّارىّ المشطوب فى شوّال بالقدس . وصاحب الروم قِلِيج أَرْسلان بن مسعود ١٠ السلجوقىّ . والنسّابة أبو علىّ محمد بن أسعد الحسينىّ الجَوّانىّ بمصر .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ستّ أذرع وثلاث وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وإحدى عشرة إصبعا .

(١) فى الأصل هكذا . « الجروى » . والتصويب عن المختصر المحتاج اليه من تاريخ بغداد والمشتبه فى أسماء الرجال للذهبى ومعجم البلدان لياقوت وشرح القصيدة اللامية فى التاريخ . والنسبة جنزى . ١٥ ويقول بعضهم فى النسبة اليها «جنزوى» ، وهى أعظم مدينة بأرّان وهى بين شروان وأذربيجان وهى التى تسميها العامة كنجة . (عن معجم البلدان لياقوت) . (٢) الشروطى : نسبة إلى كتابة الشروط وهى الوثائق . (٣) التكلمة عن المختصر المحتاج اليه من تاريخ بغداد والمشتبه فى أسماء الرجال للذهبى وتاريخ الإسلام . (٤) فى الأصل : « عبدالله بن أحمد بن السمين » . والتصحيح والزيادة . عن المختصر المحتاج اليه وشذرات الذهب وتاريخ الإسلام للذهبى . ٢٠

ذكر ولاية الملك العزيز عثمان على مصر

هو الملك العزيز عمَاد الدين أبو الفتح عثمان سلطان الديار المصرية وآبن سلطانها الملك الناصر صلاح الدين يوسف آبن الأمير نجم الدين أيّوب بن شادى ابن مَرْوَان الأيّوبى الكُرْدى الأصل المصرى . ولى سلطنة مصر فى حياة والده صورةً ، ثم تسلطن بعد وفاته آستقلالا باتّفاق الأمراء وأعيان الدولة بديار مصر ، لأنه كان نائبا عن أبيه صلاح الدين بها لمّا كان أبوه مشتغلا بفتح السواحل بالبلاد الشاميّة وتمّ أمره . وكان مولده بالقاهرة فى ثامن جُمادى الأولى سنة سبع وستين وخمسمائة . وكان الملك العزيز هذا أصغر من أخيه الملك الظاهر غازى صاحب حلب، وأصغر من أخيه الأفضل صاحب دمشق . وكان الأفضل هو أكبر الإخوة ، وهو المشار إليه فى أيّام أبيه صلاح الدين ومن بعده ، وهو الذى جلس للعزاء بعد موت صلاح الدين، وصار هو السلطان الأكبر إلى أنْ ظهر منه أمور، منها : أنّه كان آستوزر ضِياءَ الدين الجَزَرِى[1]، فأساء ضِياءُ الدين السِّيرة؛ وشغّف قلوب الجند إلى مصر، وساروا إليها فآلتقاهم الملك العزيز وأكرمهم ، وكانوا مُعْظَمَ الصلاحيّة . وآشتغل الأفضل بلهوه . وكان القُدْس فى يده فعجز عنه وسلّمه إلى نوّاب الملك العزيز هذا ، فبان للناس عجزُ الأفضل . ثم وقعت الوحشة بين العزيز هذا و بين أخيه الأفضل المذكور . وبلغ الفرنجَ ذلك ، فطمعوا فى البلاد وحاصروا جَبَلَة ، وكان بها جماعة من الأكراد فباعوها للفرنج . وبرز الملك العزيز من مصر يريد قتال الفرنج فى الظاهر، وفى الباطن أخذ دمشق من أخيه الأفضل،

(١) هو ضياء الدين أبو الفتح نصر الله بن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد المعروف بابن الأثير الجزرى الشيبانى ، وهو مصنف المثل السائر، وسيذكر المؤلف وفاته سنة ٦٣٧ هـ

وعلم الأفضل بذلك فكتب إلى عمّه العادل أبى بكر بن أيّوب ، وللمشارقة بالنجدة[1]، فأجابوه إلى ما يريد ، وكان مع العادل عدّة بلاد بالشرق ، وكان لمّا توفّى أخوه السلطان الملك الناصر صلاح الدين بالكَرَك قدم دمشق معزّيا للأفضل وأقام عنده أيّاما ، ثم رحل إلى محلّ ولايته بالجزيرة[2] والرُّها[3] وسُمَيْساط[4] والرَّقّة[5] وقلعة جَعْبَر وديار بكر ومَيَّافارِقين[6] . وهى البلاد التى كان أعطاها له أخوه صلاح الدين فى حياته[7]، وكان له أيضا مع ذلك بالبلاد الشاميّة الكَرَك والشَّوْبَك .

والمقصود أنّ الملك العزيز هذا لمّا رحل من مصر إلى نحو دمشق ، سار حتى نزل بظاهر دمشق ، وقيل بعقبة الشُّحُورة[8] ، وجاء العادلُ بعساكر الشرق ونزل بمرج عَذْواء[9] . فأرسل إليه العزيز يقول : أريد الاجتماع بالعادل ، فاجتمعا على ظهور خيلهما وتعاوضا ، فقال له العادل : لا تخرّب البيت وتدخل عليه الآفة ! والعدوّ وراءنا من كلّ جانب ، وقد أخذوا جَبَلَة ، فارجع إلى مصر واحفظ عهد أبيك . وأيضا فلا تكسر حُرْمة دمشق ، وتُطْمِع فيها كل أحد ! وعاد الملك العادل عمه إلى دمشق ، وأقام العزيز فى منزلته . وقدمت العساكر على الأفضل وبعث العادل إلى العزيز يقول له : ارحل إلى مرج الصُّفَّر ، فرحل وهو مريض . وكان

(١) يريد بالمشارقة أمراء المشرق ، وهم الظاهر غازى بحلب ومحمد بن تقى الدين بحماة وأسد الدين شيركوه بن محمد بحمص والأمجد مجد الدين بهرام شاه ببعلبك ، وعسكر الموصل وغيرها راجع ابن الأثير وعقد الجمان فى حوادث سنة ٥٩٠ هـ . (٢) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٥ من الجزء الثالث من هذه الطبعة . (٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٧٠ من الجزء الخامس من هذه الطبعة . (٤) راجع الحاشية رقم ٨ ص ٢٠ من الجزء الثالث من هذه الطبعة (٥) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٧٩ من الجزء الخامس من هذه الطبعة . (٦) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٩٧ من الجزء الثالث من هذه الطبعة . (٧) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣١٩ من الجزء الثالث من هذه الطبعة (٨) عقبة الشحورة : بلدة بين الكسوة ودمشق فى جنوبها (عن تقويم البلدان لأبى الفداء إسماعيل) . وفى الأصل : « بعقبة سحورا » ولم نقف عليها فى المعاجم التى تحت أيدينا (٩) كذا فى الأصل . وفى ابن الأثير : « مرج الريحان » وقد بحثنا عن كليهما فى الكتب التى تحت أيدينا فلم نوفق إليهما .

. العادل أنْ يُبعده عن البلد . فوصل الملك الظاهر غازى من حلب، والملك المنصور من حَمَاة، وشيرِكُوه بن محمد بن شِيركوه من حِمْص، والأمجد من بعلبكّ، والجميع نجدةً للأفضل . فقال لهم العادل : قد تقرّر أنّه يرحل إلى مصر . وآشتدّ مرض العزيز فآحتاج إلى المصالحة، ولولا المرض ما صالح ، فأرسل الملك العزيز كبراء دولته فخرَ الدين إياز جِهَارَكس(١) وغيرَه يحلّف الملوك، وطلب مصاهرة عمّه العادل فزوّجه آبنته الخاتون . ورجع كلٌّ واحد إلى بلده، وذلك فى شعبان سنة تسع وثمانين وخمسمائة .

وقال العماد الكاتب الأصفهانىّ : خرج الملوك لتوديع الملك العزيز إلى مرج الصُّفَّر واحدا بعد واحد . وأوّل مَن خرج إليه أخوه الملك الظاهر غازى صاحب حلب ، فبات عنده ليلةً وعاد ، فخرج إليه أخوه الأفضل صاحب الواقعة، فقام إليه وآعتنقا وبكيا، وأقام عنده أيضا يوما، وكان قد فارقه منذ تسع سنين، فلمّا عاد كتب إلى العزيز من إنشائه من عدّة أبيات :

نَظَرتُكَ(٢) نظرةً من بعد تسع * تقضّتْ بالتفرّق من سنينِ

ولمّا آنفصل العساكر عن دمشق شرع الأفضل على عادته فى اللّهو واللّعب، فآحتجب عن الرعيّة فسُمّى «الملك النوّام» وفوّض الأمر إلى وزيره ضياء الدين الجَزَرىّ ، وحاجبه الجمال محاسن بن العجمىّ، فأفسدا(٣) عليه الأحوال، وكانا سببا لزوال دولته . وآستمرّ الملك العزيز هذا بمصر وأمرُه ينمو ويزداد إلى سنة تسعين .

وفيها عاد الآختلاف ثانيا بين العزيز والأفضل؛ وسببه إغراء الحسد والوسائط . وكان أكبر المحرّضين للعزيز على أخيه الأفضل أُسامة ، حتّى قال له إنّ الله يسألك عن

(١) فى الأصل . «سركيس» . وفى ابن الأثير والروضتين «أياز حركس» . وما أثبتناه عن عقد الجمان .
(٢) هذا البيت مطلع قصيدة للأفضل عدتها ثمانية أبيات ، ذكرها صاحب كتاب الروضتين .
(٣) فى الأصل «فأفسدوا» .

الرعيّة ، هذا الرجل قد غرق في اللهو وشربه ، وآستولى عليه الجزرىّ وآبنُ العجمىّ .
ثم قال له القاضي آبن أبى عصرون : لا تسلم يوم القيامة . وبلغ الأفضلَ قولُ أسامة وآبن
أبى عصرون فأقلع عمّا كان عليه ، وتاب وندم على تفريطه ، وعاشر العلماء والصلحاء ،
وشرع يكتب مصحفا بخطّه ، وكان خطّه في النهاية ، فلم يُغن عنه ذلك . وتحرّك
العزيز يقصده ، فسار الأفضل إلى عمّه العادل يستنجد به ، فالتقاه العادل على صِفّين[1] ، ٥
فسار معه بعساكر الشرق إلى دمشق ؛ وكان الأفضل لمّا آجتاز بحلب آتفق مع
أخيه الظاهر غازى وتحالفا ، وجاء إلى حماة ففعل كذلك مع آبن عمّه المنصور .
وصار العادل يشير عليه بعزل الجزرىّ عن الوزارة ، ويقول له : هذا يخرّب بيتك .
فصار لا يلتفت إليه فحنق منه . ثم إنّ العادل سأل الملك الظاهر غازى في شيء فلم يُجبه ،
فغضب لذلك العادل وآنفرد عنهم ، وكتب إلى العزيز يخبره أنّه معه ، ويستحثّه على ١٠
القدوم إلى دمشق ؛ فخرج العزيز من مصر مُسرِعاً ، ثم علِم العادل أنّه لا طاقة له
بالعزيز ولا بالظاهر ؛ فراسل الأسديّة الذين كانوا بمصر ، وأوعدهم بالأموال
والإقطاعات . وكان الملك العزيز قد قدّم عليهم الصلاحيّة مماليكَ أبيه . والأسديّة
هم مماليك عمّه أسد الدين شِيركوه وحواشيه الأكراد ، ثم دسّ العادل للأسديّة
الأموال ، وكان مقدّم الأكراد الأسديّة أبو الهيجاء السّمين ، وكان العزيز قد عزله ١٥
عن ولاية القدس ، وتقدّمت الأسديّة بسيف الدين أُزْدِيك ؛ فركب أبو الهيجاء
بجموعه ، ومعه أزْكُش في الليل ، وقصدوا دمشق ، فأصبح العزيز فلم يرَ في الخيام من
الأسديّة أحدا ، فرجع إلى مصر . وشرع أُزْكُش وأبو الهيجاء والأسديّة يحرّضون
العادل على أخذ مصر ، وكانت الأسديّة والأكراد يكرهون العادل ، وإنّما دعتهم

(١) صفين . موضع بقرب الرقة على شاطئ الفرات من الجانب الغربى بين الرقة وبالس (عن معجم ٢٠
البلدان لياقوت) .

الصرورة إليه . وآتفق العادل مع آبن أخيه الأفضل وسارا إلى جهة العزيز نحو مصر.
فلمّا وصلوا إلى القُدْس ولّوْا أبا الهيجاء كما كان ، وعزلوا جُرديك عنها، ثم ساروا
حتّى نزلوا ببلبيس وبها جماعة من الصلاحيّة . فتوقّف العادل عن القتال ولم يَرَ آنتزاع
مصر من يد العزيز، وظهرت منه قرائن تدلّ على أنّه لا يؤثر السلطنة للأفضل ،
٥ ولا يرى بتقدمته على العزيز . فأرسل العادل إلى العزيز يطلب منه القاضي الفاضل،
وكان الفاضل قد آعتزلهم وآنقطع إلى داره ، فأرسل إليه العزيز يسأله فآمتنع ، فتضرّع
إليه وأقسم عليه ، فخرج إلى العادل، فآحترمه العادل وأكرمه وتحدّث معه بما قرّره،
وعاد الفاضل إلى العزيز وتحدّث معه ، فأرسل العزيز ولديه الصغيرين مع خادم له
برسالة ظاهرة، مضمونها : «لا تقاتلوا المسلمين ولا تَسْفِكوا دماءَهم ، وقد أنفذت
١٠ ولديّ يكونان تحت كفالة عمّي العادل، وأنا أنزل لكم عن البلاد وأمضي إلى الغرب» .
وكان ذلك بمشهد من الأمراء ، فرقّ العادل وبكى مَن حضَر . فقال العادل :
معاذ الله ! ما وصل الأمرُ إلى هذا الحدّ .

وكان العادل قد قرّر مع القاضي الفاضل ردّ خبز الأسديّة وإقطاعاتهم
وأملاكهم ، وأن يبقَ أبو الهيجاء على ولِاية القدس . ثم قال العادل للأفضل :
١٥ المصلحة أن تمضي إلى أخيك وتصالحه، ما عذرُنا عند الله وعند الناس إذا فعلنا بآبن
أخينا ما لا يليق ! . وكان العزيز أرسل يقول للعادل مع الخادم المقدّم ذكرُه : «البلاد
بلادك وأنت السلطان ونحن رعيّتك » . ففهم الأفضل أنّ العادل رجع عن يمينه،
وأنّه آتفق مع العزيز على أخذ البلاد منه، لكنّه لم يمكنه الكلام، ومضى إلى أخيه
الملك العزيز وآصطلحا، وعاد إلى دمشق . ودخل العزيز والعادل والأسديّة إلى
٢٠ القاهرة يوم الخميس رابع ذي الحجّة . وسلطن العادلُ العزيزَ ومشى بين يديه بالعاشية.[1]

(١) العاشية : سرج من أديم مخروز بالذهب . يخالها الناظر جميعها مصوغة من الذهب تحمل بين السلطان عند الركوب في المواكب الحفلة كالميادين والأعياد ونحوها (عن صبح الأعشى ج ٤ ص ٧) .

ولو أراد العادل مصرَ في هـذه المرّة لأخذها ؛ وإنّما كان قصده الإصلاح بين الإخوة .

ثم وقع بين العزيز هذا والأفضل ثالثا ، وهو أنّه لمّا عاد الأفضل إلى دمشق آزداد وزيرُه الجَزَرِيّ من الأفعال القبيحة ، والأفضل يسمع منه ولا يخالفه ، فكتب قيماز النَّجْمِيّ وأعيان الدولة إلى العادل يشكونه ، فأرسل العادل إلى الأفضل : « اِرفع يد هذا الأحمق السيّئ التدبير القليل التوفيق » ، فلم يلتفت . فاتّفق العادل مع آبن أخيه العزيز هذا على التوجّه إلى الشام فسارا . وآستشار الأفضلُ أصحابَه ، فكلٌّ أشار عليه بأن يلتقي عمّه العادل وأخاه العزيز ولا يخالفهما إلّا الجَزَرِيّ ، فإنّه أشار بالعصيان ، فآستعد الأفضل للقتال والحصار وحلّف الأمراء والمقدّمين ، وفرّقهم في الأبراج والأسوار ، فراسلوا العزيز والعادل وأصلحوا أمرهم في الباطن ؛ وآتّفق العادل مع عزّ الدين ا بن الحِمْصِي على فتح الباب الشرقيّ ؛ وكان مُسَلَّمًا إليه ، فلمّا كان يوم الأربعاء سادس عشرين شهر رجب ركب العادل والعزيز وجاءا إلى الباب الشرقيّ ففتحه آبن الحِمْصي فدخلا إلى البلد من غير قتال ، فنزل العزيز دار عمّته ستّ الشام ، ونزل العادل دار العَقِيقِيّ ، ونزل الأفضل إليهما وهما بدار العقيقي ، فدخل عليهما وبكى بكاء شديدا ، فأمره العزيز بالآنتقال من دمشق إلى صَرْخَد ، فأخرج وزيرَه الجَزَرِيّ في الليل في جملة الصناديق خوفا عليه من القتل ، فأخذ أموالا عظيمة وهرَب إلى بلاده .

وكان العزيز قد قرّر مع عمّه العادل أن يكون نائبَه بمصر ، ويقيم العزيز بدمشق . ثم نَدِم فأرسل إلى أخيه الأفضل رسالة فيها صلاح حاله . ثم وقعت أمور إلى أن سلّم العزيز بُصْرَى إلى العادل ، وكان بها الظافر . وأقام العزيز بعد ذلك بدمشق مدّة ، وصلّى الجمعة عند قبر والده بالكَلّاسة وأمر ببناء القبّة والمدرسة إلى جانبها ،

ثم أمر محيي الدين بن الزكيّ بعمارة المدرسة العزيزيّة، ونقل السلطانَ صلاح الدين إلى الكلّاسة فى سنة آثنتين وتسعين وخمسمائة . وكان الأفضل قد شرع فى بناء تربة عند مشهد القَدَم[1] بوصيّة من السلطان صلاح الدين. وكان الملك العزيز إذا جلس فى مجالس لَهوِه يجلس العادل على بابه، كأنّه برد[ا]ر[2] داره . فلمّا كان آخر ليلة من مُقام العزيز بدمشق، وكانت ليلة الآثنين تاسع شعبان، قال العادل لولده المعظم عيسى : أُدخل إلى العزيز فقبّل يده وآطلب منه دِمشق ، وكان المعظّم قد راهق الحُلُم، فدخل إلى آبن عمّه العزيز وقبّل يده وطلب منه دِمَشْق، فدفعها إليه وأعطاه مستحقّه، وقيل : بل آستناب العادلَ فيها ، ثم أعطاها للمعظّم فى سنة أربع وتسعين . وكان خروج الملك العزيز من دمشق فى يوم تاسع شعبان المذكور. وسار إلى مصر ومضى الأفضل إلى صَرْخَد، وآجتاز العزيز بالقدس فعزَل أبا الهيجاء السمين عن نيابتها ، وولّاها لسُنْقُر الكبير، ومضى أبو الهيجاء إلى بغداد .

وآستمرّ الملك العزيز بمصر، وآستقامت الأمور فى أيّامه، وعدل فى الرعيّة، وعفّ عن أموالها حتّى قيل : إنّ آبن البَيْسانيّ أخا القاضى الفاضل بذل على قضاء المحلّة[3] أربعين ألف دينار ، فعجّل منها عشرين ألفا ، وكان رسوله فى ذلك الملك العادل عمّ العزيز المقدّم ذكره، وبذل له عن ترسّله خمسة آلاف دينار، وللحاجب

(١) مشهد القدم (مسجد القدم) ، هو من الآثار التى فى مدينة دمشق وعوطتها مما يرجى فيه إجابة الدعاء عند القطيعة . يقال إن هناك قبر موسى بن عمران ، ومسجد الباب الشرقى . وقد تبسط فى وصفه ابن عساكر فى تاريخه وأورد فيه عدة أحاديث وأقوال . (راجع تهذيب تاريخ مدينة دمشق ج ١ ص ٢٣٦) .

(٢) هذه الكلمة فارسية مركبة من كلمتين : «برده» ومعناها : الحجاب ، و «دار» ومعناها الحافظ ، ومحافظ الحجاب هو الحاجب أو الحارس .

(٣) المراد بها هنا مدينة المحلة الكبرى (إحدى المدن المصرية القديمة كانت قاعدة مديرية الغربية قبل طنطا ، وهى اليوم قاعدة مركز المحلة الكبرى . ولا تزال هذه المدينة من أكبر وأشهر المدن المصرية ، فهى مركز تجارى عظيم لتجارة القطن وغيره من المحصولات الزراعية . وبالمحلة حلج للقطن ومعامل كبيرة (لشركة مصر) لحليج القطن وغزله ونسج الأقمشة القطنية الجيدة على آختلاف أنواعها ، وبها معامل لصناعة الأقمشة الحريرية الجميلة .

أبى بكر ألفَ دينار، ولجهارَكْس ألفَ دينار . فآجتمعوا على العزيز جميعا وخاطبوه فى ذلك، وألحّ عليه الملك العادل . فقال له العزيز : والله ياعمّ، هذا الرجل بذل لنا هـذا البَذْل [لا][1] عن محبّة لنا ، والله إنّه ليأخذ من أموال الرعيّة أضعافَ ذلك ، لا ولّيتـه أبدا ! فرجع العادل عن مساعدته ، فلمّا آل الأمر إلى العادل صادر آبن البيسانىّ المذكور، وأخذ منه أموالا كثيرة . انتهى .

وقال القاضى شمس الدين بن خلّكان فى ترجمة الملك العزيز هذا بعد أن ذكر آسمه ولقبه قال: «وكان مَلِكا مباركا كثير الخير واسع الكرم محسنا إلى الناس معتقدا فى أرباب الخير والصلاح، وسمع بالإسكندرية الحديث من [الحافظ][2] السِّلَفىّ ، والفقيه أبى طاهر بن عَوْف الزُّهرىّ، وسمع [بمصر][2] من العلّامة أبى محمد بن برّىّ النحوىّ وغيرهم . ويقال : إنّ والده لمّـا كان بالشام والقاضى الفاضل عبد الرحيم بالقـاهرة عند العزيز وُلِد للعزيز المذكور ولد، فكتب القاضى الفاضل يهنّئ والدَه السلطانَ صلاحَ الدين بولد ولده، فقال : «المملوك يقبّـل الأرض بين يدى مولانا الملِك الناصر، دام رُشْدُه[3] وإرشادُه، وزاد سعده وإسعادُه، وكثُر أوليـاؤه وعبيدُه وأحفادُه ، وآشـتدّ بأعضاده فيهم آعتضادُه ، وأنمى الله عددَه حتّى يقال هذا آدم الملوك وهذه أولادُه، وينهى أنّ الله تعالى — وله الحمد — رزق الملك العزيز — عزّ نصرُه — ولدًا مباركا عليّـا ، ذكرا سَرِيًّا ، [برًّا][4] زكيًّا ، نقيًّا تقيًّا ، من ورثةٍ كريمة بعضُها من بعض، وبيتٍ شريف كادت ملوكُه تكون ملائكةً فى السماء، ومماليكه ملوكًا فى الأرض» . انتهى ما كتبه القاضى الفاضل فى التهنئة .

(١) زيادة يقتضيها السياق .　　(٢) زيادة عن ابن خلكان .
(٣) كذا فى ابن خلكان . وفى الأصل «أدام الله تعالى رشده . الخ» .
(٤) زيادة عن ابن خلكان .

قال ابن خلّكان — رحمه الله — : «وكانت ولادة العزيز بالقاهرة فى ثامن جمادى الأولى سنة سبع وستين وخمسمائة . وكان قد توجّه إلى الفيّوم، فطَرَد فرسَه وراء صيد فتقَنْطَر به فرسُه، فأصابته الحُمّى من ذلك، وحُمِل إلى القاهرة فتُوفّى بها فى الساعة السابعة من ليلة الأربعاء (1) الحادى والعشرين من المحرّم سنة خمس وتسعين وخمسمائة — رحمه الله تعالى — قال ولمّا مات كتب القاضى الفاضل إلى عمّه العادل رسالة يُعزّيه، من جملتها :

«فنقول فى توديع النّعمة بالملك العزيز: لا حول ولا قوّة إلا بالله قول الصابرين، ونقول فى استقبالها بالملك العادل: الحمد لله ربّ العالمين قول الشاكرين، وقد [كان] (2) من أمر هذه الحادثة (3) ما قطع (4) كلّ قلب وجلب كلّ كرب ومثّل وقوع هذه الواقعة لكلّ أحد ولا سيما لأمثال المملوك، ومواعظ الموت بليغة، وأبلغها ما كان فى شباب الملوك، فرحم الله ذلك الوجه ونضّره، ثمّ السبيلَ إلى الجنة يسّره .

وإذا محاسنُ أوجهٍ بَلِيتْ ... فعفا الثرى عن وجهه الحسنِ

والمملوك فى حالِ تسطيرِ هذه الخدمة جامع بين مَرَضَىْ قلب وجسد، ووجع أطرافٍ وعليلِ كَبِد، فقد فُجِع المملوك بهذا المولى، والعهد بوالده غيرُ بعيد، والأسَى فى كلّ يوم جديد، وما كان ليَنْدَمِلَ ذلك القَرْح، حتّى أعقبه هذا الجَرْح، والله تعالى لا يُعدِم المسلمين بسلطانهم الملكِ العادل [السلوة، كما لم يُعدِمهم نبيّهم صلّى الله عليه وسلم الأُسوة] (5) — وأخذ فى نعت الملك العادل إلى أن قال — ودُفِن بالقرافة

(1) كذا فى الأصل، وهو الموافق لما فى ابن خلكان طبع باريس. وفى وفيات الأعيان طبع بولاق والروضتين «من ليلة الأحد العشرين من المحرّم» . (2) زيادة عن ابن خلكان .
(3) فى الأصل . «الحكاية» . وما أثبتناه عن ابن خلكان (4) فى الأصل . «ما يقطع كل قلب ويجلب كل كرب . لاسيما لأمثال الملوك» . وما أثبتناه عن ابن خلكان .
(5) زيادة عن ابن خلكان .

الصعرى (يعنى العزيز) فى قُبّة الإمام الشافعيّ — رضى الله عنه — . وقبره معروف هناك» انتهى كلام ابن خلكان برمّته، ولم يتعرّض لشيء من أحواله، ولا إلى ما كان فى بداية أمره .

وقال أبو المظفّر سبط ابن الجوزيّ فى تاريخه : «وفيها (يعنى سنة خمس وتسعين) توفّى الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين صاحب مصر . كان صلاح الدين يحبّه ، وكان جَوادًا شجاعًا عادلا منصفًا لطيفا كثيرَ الخير رفيقا بالرعيّـة حليما . حكى لى المُبارِز سُنْقُر الحَلَبيّ — رحمه الله — قال : ضاق ما بيده بمصر (يعنى عن العزيز) ولم يبق فى الخـزانة درهم ولا دينار، فجاء رجل من أهل الصعيد إلى أَزْكُش سيف الدين، قال : عندى للسلطان عشرة آلاف دينار ولك ألف دينار، وتولينى قضاء الصعيد؛ فدخل أَزْكُش إلى العـزيز فأخبره ؛ فقال : والله لا بعتُ دماءَ المسلمين وأموالهم[1] بملك الأرض! وكتب ورقة لأَزْكُش بألف دينار . وقال : أخرج فاطْرُد هذا الدبِر[2]، ولولاك لأدّبته .

وقد ذكرنا أنّه وهب دمشق [للملك][3] المعظّم ، وكان يُطْلِق عشرة آلاف دينار وعشرين ألفا . وكان سبب وفاته أنّه خرج إلى الفيوم يتصيّد، فلاح له ظَبْىٌ فركض الفرسَ خلفه فكبا به الفرس، فدخل قَرَبُوس [السرج][3] فى فؤاده، فحُمل إلى القاهرة فمات فى العشرين من المحرّم، ودفن عند الشافعى — رحمه الله — عن سبع وعشرين سنة وشهور، وقيل : عن ثمان وعشرين سنة . ولمّا مات نصّ على ولده ناصرالدين محمد، وهو أكبر أولاده، وكان له عشرة أولاد، ولم يذكر عمّه العادلَ فى الوصيّة .

(١) رواية مرآة الزمان : «وأولادهم» . (٢) فى مرآة الزمان : «المدبر» . ولعله : القذر (٣) التكملة عن مرآة الزمان .

وأوصى للأمير أزكُش، وكان مقدَّمَ الأَسَدية وكبيرَهم، وعاش بعد العزيز مدّة طويلة» . انتهى كلام أبى المظفّر .

وقال ابن القادسىّ - خلاف ما نقل أبو المظفّر وابن خلّكان وغيرهما - قال : «كان قد ركب وتبع غزالةً فوقع فاندقّت عُنُقُه، وبقى أربعةَ أيّام ومات . ونصّ على ولده الأكبر محمد إن أمضى العادلُ ذلك . وكانت الوصيّة إلى أمير كبير اسمه أزكُش فوثبت الأسديّة عليه فقتلته» . انتهى .

وقال الشيخ شمس الدين يوسف بن قزأوغلى فى تاريخه : «ولمّا مات العزيز كان لابنه محمد عشرُ سنين، وكان مقدّمُ الصَّلاحيّة فخر الدين جهاركس، وأسد الدين سَرَا سُنْقُر، وزين الدّين قراجا؛ فاتّفقوا على ناصر الدين محمد (يعنى ابن العزيز)، وحلّفوا له الأمراء . وكان سيف الدين أزكُش مقدّمُ الأَسَدية غائبًا بأسوان، فقدم فصوّب رأيَهم وما فعلوه ، إلّا أنّه قال : هو صغيرُ السّن لا ينهض بأعباء الملك ، ولا بدّ من تدبير كبير يحسِم الموادّ ويقيم الأمور؛ والعادل مشغول فى الشرق بماردين[1]، وما ثَمّ أقربُ من الأفضل نجعلُه أَتَابَكَ العساكر . فلم يمكن الصَّلاحيّة مخالفته . وقالوا : افعل، فكتب أزكُش إلى الأفضل يستدعيه وهو بصَرْخَد[2] ، وكتبت الصلاحيّة إلى مَن بدمشق من أصحابهم يقولون : قد اتّفقت الأسديّة على الأفضل، وإن ملكوا حكموا علينا، فامنعوه من المجىء؛ فركب عسكرُ دمشق ليمنعوه ففاتهم؛ وكان الأفضل قد التقى نجّابا من جهاركس إلى مَن بدمشق بهذا المعنى، ومعه كُتُب فأخذها منه وقال : ارجع فرجع إلى مصر . ولمّا وصل الأفضلُ إلى مصر التقاه

(١) ماردين : قلعة مشهورة على قنة جبل الجزيرة مشرفة على دنيسر ودارا ونصيبين وذلك الفضاء الواسع (عن معجم البلدان لياقوت) . (٢) صرخد : بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق، وهى قلعة وولاية حسنة واسعة (عن معجم البلدان لياقوت) .

الأسـدية — يحكى ذلك كلّه في أوّل ترجمـة الملك المنصـور بن العزيز هـذا ، إن شاء الله —

وكان الملك العزيز قويّا ذا بطش وخفّة حركة، كريما محبّا[1] عفيفا لم يردّ سائلا؛ وبلغ من كرمه أنّه لم يبق له خزانة ولا خاصّ ولا بَرْك ولا فَرْش . وأمّا عفتـه فإنّه كان له غلام تركيّ آشتراه بألف دينار يقال له : أبو شامة، فوقف يوما على رأسه في خلوة ليس معهما ثالث، فنظر العزيز إلى جماله ، وأمره أن ينزع ثيابه ، وقعـد العزيز منه مكانَ الفاحشة، فأدركه التوفيـق ونهض مُسرعاً إلى بعض سراريه فقضى وطَره ، وخرج إلى الغلام وأمره بالخروج عنه» . انتهى .

ويُحكى عن عفّته عن الأمـوال أنّ عَرَب المحلّة قتلوا بعضَ أمرائه، وكان والى المحلة آبن بَهْرَام ، فحماهم عشرةَ آلاف دينار، وجاء بها إلى القاهرة ؛ فصادف في الدِّهْليز غلاما خارجا من عنـد السلطان ؛ فقال آبنُ بَهْرام : آرجع إلى السلطان وآستأذِنه لي، فقال الغلام : دعني، أنا في أمرٍ مُهِمٍّ للسلطان، قد وهب لشيخ صيّاد دينارين ، وقد سيّرني إلى الجهات كلّها فلم أجد فيها شيئا ، وقد تعذّر عليه هذا المبلغ اليسير؛ فقال : آرجع إليه، معي مالٌ عظيم . فلمّا دخل آبنُ بَهْرام إلى العزيز فضّ المالَ بين يديه وقال : هذا دِيَةُ فلان؛ فقال : أخذتَها من القاتل ؟ قال : لا ، بل من القبيلة ؛ فقال العزيز : لا أستحِيرُ أخذه ، رُدّه على أربابه ، فراجعه فما كفّهم؛ فخرج آبنُ بَهْرام بالمال وهو يقول : ما يَرُدُّ هذا مع شدّة الحاجة إلّا مجنون ! . فرحم الله هذه الشِّيَم . انتهت ترجمة الملك العزيز من عدّة أقوال . رحمه الله تعالى وعفا عنه وعن جميع المسلمين والحمد لله رب العالمين .

---

(١) في الأصل « كريما حييا » .

+ + +

السـنة الأولى من ولاية السلطان العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف على مصر، وهى سنة تسع وثمانين وخمسمائة، على أنّ والده السلطان صلاح الدين يوسف حكم منها المحرّم وصفرًا .

٥ فيها كانت وفاة السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب حسب ما تقدّم ذكره فى ترجمتـه .

وفيها تُوفّى الأمير بُكْتُمُر [بن عبد الله مملوك] (١) شاه أرمن . وعزّ الدين صاحب المَوْصِل كما سيأتى .

وفيها بنى الخليفة الناصر لدين الله العباسىّ دار الكتب بالمدرسة النظاميّة ببغداد، ١٠ ونقل إليها عشرة آلاف مجلد، فيها الخطوط المنسوبة وغيرها .

وفيها تُوُفّى أسعد بن نصر بن أسعد النحوىّ، كان إمامًا فاضلا أديبا شاعرًا . ومن شعره قوله :

يجمـع المـرءُ ثم يترك ما جَمَّـ * ـعَ من كسبه لغيرِ شَكُورِ

ليس يَحْظَى إلّا بذكر جميـلٍ * أو بعلمٍ من بعده مأثورِ

١٥ وفيـا توفّى الأمير بُكْتُمُر بن عبد الله مملوك شاه أرمن بن سُكمان صاحب خِلاط، مات شاه أرمن ولم يخلّف ولدا، فآتفق خواصّه على بُكْتُمُر فولّى، وضبط الأمور وأحسن للرعيّة، وصاحَب العلماء، وكان حسن السِّيرة متصدّقًا دَيّنا صالحا؛ جاءه أربعـة على زىّ الصوفيّة فتقدّم إليـه واحد منهم فمعه الجاندارية (٢) . فقال :

(١) زيادة عما سيأتى للؤلف بعد أسطر . (٢) الجاندارية . وظيفة صاحبها كالمتسلم للباب، ٢٠ يستأذن على دخول الأمراء للخدمة و يدخل أمامهم الى الديوان (عن صبح الأعشى ج ٤ ص ٢٠) . وفى الأصل : « الجاندارية » .

دعوه، فتقدّم و بيده قِصّة فأخذها منه، فضربه بسكّين فى جوفه فمات فى ساعته. فأخذوا الأرسة وقُرّروا ، فقالوا . نحن إسماعيلية (١)، فقُتِلوا وأُحْرِقوا ؛ وذلك فى جُمادَى الأولى .

وفيها تُوُفِّى السلطان مسعود بن مَوْدُود بن زَنْكِى بن آق سُنْقُر عِزّ الدّين صاحب المَوْصِل وابن أخى السلطان الملك العادل نور الدين الشهيد . كان خفيفَ العارضَيْن أسمَرَ مليحَ اللَّوْن، عادلًا عاقلا محسنا إلى الرعية شجاعا ، صبرَ على حِصار السلطان صلاح الدين يوسف بن أيُّوب له بالموصل ثلاثَ مرّات ، وحَفِظ البلد وفرّق الأموال العظيمة . وكان ديِّنا صالحا، خرج من الموصل لقتال الملك العادل أبى بكر ابن أيُّوب، وكان العادل على حرّان (٢) بعد موت صلاح الدين . فعاد مريضا ومات فى شهر رمضان، وكانت أيّامه ثلاثَ عشرةَ (٣) سنة وستّة أشهر . وأوصى بالمُلْك من بعده لولده الأكبر نور الدين أَرْسلان شاه، وكان أخوه شرف الدين مَوْدود يروم السلطنة ، فَصُرِفت عنه لنور الدين هذا فعزّ ذلك عليه .

الذين ذكر الذهبيّ وَفاتَهم فى هذه السنة، (٤) قال: وفيها توفّى الشيخ سِنان بن سليمان البَصْرىّ زعيم الإسماعيليّة (٥) . وأبو منصور عبد الله بن محمد [بن علىّ بن هبة الله] ابن عبد السلام الكاتب . والقاضى أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الحَضْرَمىّ بالإسْكَنْدرِيّة . وصاحب المَوْصِل عِزّ الدين مسعود بن قطب الدين مَوْدُود بن زَنْكِى .

(١) فى مرآة الزمان وعقد الجمان . «فأخذوا وقرروا ، فقالوا نحن من الإسماعيلية وكانوا قد شفعوا اليه فى أمر لايليق فلم يقبل شفاعتهم فعملوا هذا ، فأحرقوا» . (٢) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٣٥ من الجزء الثالث من هذه الطبعة . (٣) فى الأصل «ثلاثا وعشرين سنة» . وما أثبتناه عن عقد الجمان ومرآة الزمان والبداية والنهاية لابن كثير . (٤) هو الذى ذكر المؤلف وفاته فى السنة الماضية . (٥) التكملة عن تاريخ الإسلام للذهبى والمختصر المحتاج إليه من تاريخ بغداد .

والمكرم بن هبة الله بن المكرم الصُّوفىّ . والسلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن أيّوب فى صفر بقلعة دمشق، وله سبع وخمسون سنة .

§ أمر النيل فى هــذه السنة — المــاء القــديم ستُّ أذرع وثلاثُ أصابع . مبلغ الزيادة ثمانىَ عشرةَ ذراعا وثمانى أصابع .

٥

***

السنة الثــانية من ولاية العزيز عثمان بن صــلاح الدين يوسف على مصر، وهى سنة تسعين وخمسمائة .

فيها تُوُفّى أحمد بن إسماعيل بن يوسف الشيخ الإمام أبو الخير القزوينىّ الشافعىّ . كان إماما عالمــا بالتفسير والفقه، وكان متعبِّدا يختِم القــرآنَ فى كلّ يوم وليــلة . ومولده بقَــزْوِين[1] فى ســنة آثنتى عشرة وخمسمائة . وقــدم بغدادَ ووعــظ ومال إلى الأشــعرىّ، فوقعت الفِتَنُ . وجلس يومَ عاشوراء فى النظامية فقيل له : اِلعن يزيد بن معاوية ؛ فقال : ذاك إمام مجتهد[2]، فجاءه الرَّجْم حتّى كاد يُقتل، وســقط عن المنبر فأدخل إلى بيت فى النظاميّــة ، وأُخِذت فتاوى الفقهاء بتعزيره ، فقال بعضهم يُضرب عشرين سَوْطًا : قيل له : من أين لك هــذا . فقال : عن عمر ابن عبد العزيز، سمع قائلا يقول : أمير المؤمنين يزيد بن معاوية ، فضربه عشرين سوطا . ثم خُلّص القزوينىّ بعد ذلك وأخرج من بغداد إلى قَزْوِين .

١٠

١٥

وفيها توفى السلطان طُغْرُلْبَك شاه بن أَرْســلان شاه بن طُغْرِل شاه بن محمــد ابن مَلِكْشاه بن أَلْب أَرْسلان بن داود بن ميكائيل بن سَلْجُوق السَّلْجُوقىّ آخر ملوك

(١) راجع الحاشــية رقم ١ ص ١١٣ من الجزء الثــالث من هــذه الطبعة .

(٢) فى مرآة الزمان «إمام مجاهد» .

٢٠

السَّلْجُوقِيّة بالعراق سوى[1] صاحب الروم . وكان مبدأ أمره — بعد وفاة والده — سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة[2] ، وكان صغير السّن فكَفَله البَهْلَوان[3] إلى أن مات فى سنة آثنتين وثمانين ، فكَفَله بعده أخو[4] البهلوان لأبيه حتّى أَنِف من الحَجْر وخرج عن يده ، وآنضاف إليه جماعةٌ من الأمراء ، وكَسَر عسكَر الخليفة وأَسَر آبنَ يونس[5] وهابته الملوك . وكان طُغْرُلْبَك هذا سَفّاكا للدماء ، قَتَل وزيره رَضِىّ الدين الغَزْنَوِى[6] ، وفخر الدين العَلَوِىّ رئيس هَمَذان . ثم وقع له أمور ومِحَنٌ وأُخِذ وحُبِس . وقد تقدّم أن طُغْرُلْبَك هذا آخر ملوك السَّلْجُوقِيّة ، وعِدّتُهم نيّف وعشرون ملكا ، ومدّة مُلْكهم مائة وستون سنة . وأوّل مَن ملك منهم طُغْرُلْبَك فى سنة آثنتين وثلاثين وأربعمائة[7] ؛ ثم ألْب أَرْسلان بن داود بن ميكائيل بن سَلْجُوق بن دُقَاق[8] ، وهو آبن أخى طُغْرُلْبَك ؛ ثم بعده ولده مِلِكْشاه ، ثم ولده محمود ، ثم أخوه بَرْكِيارُوق ، ثم أخوه محمد شاه ، ثم ولده محمود ؛ ثم واحد بعد واحد . حسب ما ذكرناهم فى هذا الكتاب كلّ واحد فى محلّه . وطغريلبك[9] (بضم الطاء المهملة وسكون الغين المعجمة وكسر الراء

(١) فى الأصل : « بعد صاحب الروم » . وما أثبتناه عن مرآة الزمان وعقد الجمان . وعبارة شذرات الذهب : «طلب السلطنة من الخليفة وأن يأتى بغداد ويكون على قاعدة الملوك السلجوقية سوى صاحب الروم» . (٢) فى الأصل : «سنة إحدى وسبعين» . وما أثبتناه عن ابن الأثير وعقد الجمان وتاريخ ابن الوردى . (٣) هو محمد بن إلدكز شمس الدين صاحب بلاد الجبل والرى وأصبهان وأذربيجان (عن ابن الأثير) . (٤) هو قزل أرسلان عثمان بن إلدكز (عن ابن الأثير وعقد الجمان) .

(٥) هو جلال الدين عبيد الله بن يونس وزير الخليفة الناصر لدين الله كما سيذكر المؤلف وفاته سنة ٥٩٣ هـ .

(٦) الغزنوى : نسبة الى غزنة ، مدينة بالهند . وفى تاريخ دولة آل سلجوق « وأتهم وزيره عزيز الدين (وفى هامشه عز الدين) بن رضى الدين يوما فقتله وأخاه صبرا » .

(٧) فى الأصل : « فى سنة اثنتين وأربعين » . وما أثبتناه عن مسالك الأبصار لابن فضل الله العمرى (نسخة مأخوذة بالتصوير الشمسى محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٧٨ تاريخ) ، ومرآة الزمان وعقد الجمان وما تقدم ذكره للمؤلف فى الجزء الخامس من هذه الطبعة فى حوادث سنة ٤٣٢ هـ .

(٨) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٣٤ من الجزء الخامس .

(٩) كذا ضبطه فى الأصل هنا . وراجع الحاشية رقم ١ ص ٥ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

المهملة وبعدها ياء ولام ساكنتان) . وهو اسم باللغة التركيّة لطائر معروف عندهم .
وبك . هو الأمير، واضح لا يحتاج إلى تفسير .

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم فى هذه السنة، قال : وفيها تُوفّى العلّامة رَضِىّ الدِّين أبو الخير أحمد بن إسماعيل الطّالقانىّ القَزْوِينىّ الشافعىّ الواعظ فى المحرّم، وله ثمانٍ وثمانون سنة . وطُغْرُلْبَك شاه السلطان ابن أرسلان[1] بن طُغْرِل بن محمد بن مَلِكْشَاه السَّلْجُوقىّ، قتله [فى] المصاف خُوَارَزْم شاه تُكُش . وأبو المظفّر عبد الخالق بن فَيْرُوز الجَوْهَرىّ . والإمام أبو محمد القاسم بن فِيرُّه[2] الرُّعَيْنىّ[3] الشّاطِبىّ[4] المقرئ فى جمادى الآخرة، وله اثنتان وخمسون سنة . والحافظ محمد بن إبراهيم بن خَلَف المالِقىّ[5] أبو عبد الله بن الفخّار بمرّاكُش . والفخر محمد بن علىّ بن شُعَيْب بن الدهّان الأديب المؤرّخ بَخْأة[6] بالحِلّة .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ست أذرع وخمس أصابع . مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا واثنتان وعشرون إصبعا .

* * *

السنة الثالثة من ولاية العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف على مصر، وهى سنة إحدى وتسعين وخمسمائة .

(١) فى الأصل « والد أرسلان » والتصويب عما تقدم ذكره للمؤلف وتاريخ الإسلام للذهبى وعقد الجمان . (٢) فى الأصل «ابن مرة» . وما أثبتناه عن وفيات الأعيان والمشتبه وغاية النهاية فى رجال القراءات وشذرات الذهب وقد ضبطه المشتبه بالقلم وابن خلكان بالعبارة فقال «بكسر الفاء وسكون الياء المثناة من تحتها وتشديد الراء وضمها» . (٣) الرعينىّ : نسبة إلى ذى رعين، وهو أحد أقيال اليمن . (٤) الشاطبىّ : نسبة إلى شاطبة، مدينة فى شرق الأندلس وشرق قرطبة، وهى مدينة كبيرة قديمة، قد خرج منها خلق من الفضلاء (عن معجم البلدان لياقوت) .

(٥) المالقى : نسبة إلى مالقة، مدينة بالأندلس عامرة من أعمال رية، سورها على شاطئ البحر بين الجزيرة الخضراء والمرية (عن معجم البلدان لياقوت) .

(٦) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١١٤ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

فيها أقطع الملك العزيز فارسَ الدين ميمونَ القَصْرىّ نابُلُس[1] فى سبعمائة فارس من مُقَاتِلة الفرنج[2] .

وفيها كانت وقعة الزَّلَّاقة[3] بين يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن وبين أَلْفَنْش[4] الفرنجى ملك طُلَيْطُلَة[5] ، وكان قد استولى على جزيرة الأَنْدَلُس وقهر وُلاتَها ، ويعقوب المذكور مشغول بقتال الخارجين عليه ، وبينه وبين الأندلس زُقَاقُ سَبْتَة[6] ، وعرضه ثلاثُ فراسخ ، فجمع يعقوبُ العساكرَ وعَرَض جندَه ، وكانوا مائتى ألف [مقاتل . مائة ألف][7] يأكلون الأرزاق ، ومائة ألف مُطَّوِّعة ، وعبرَ الزُّقاقَ إلى مكان يقال له الزَّلَّاقة ، والتقَوْا فجرى بينهم قتال لم يجر فى جاهلية ولا إسلام حتّى أنزل الله نصرَه على المسلمين . فولّى أَلْفَنْش هاربا فى نفر يسير إلى طُلَيْطُلَة ، وغنِم المسلمون ما كان فى عسكره . وكان عِدّة من قُتِل من الفرنج مائةَ ألف وستةً وأربعين ألفًا ، وعِدّة الأَسَارى ثلاثين ألفا ، ومن الخيام : مائة ألف خَيْمة وخمسين ألفا ، ومن الخيل ثمانين ألفا ، ومن البغال والأموال والجواهر والثياب ما لا يُحَدّ ولا يُحْصَى . وبيع الأَسير من الفرنج بدرهم ، والسيف بنصف درهم ، والحِصان بخمسة دراهم ، والحِمار بدرهم . وقسم الملك يعقوب هذه الغنائمَ بين المسلمين على مقتضى الشريعة ،

(١) نابلس (بضم الموحّدة واللام) : مدينة مشهورة بأرض فلسطين بين جبلين مستطيلة (عن معجم البلدان لياقوت) . (٢) كذا فى مرآة الزمان . وفى الأصل : «فى مقابلة الفرنج» . (٣) الزلاقة : أرض بالأندلس قرب قرطبة (عن معجم البلدان لياقوت) . (٤) كذا فى الأصل ومرآة الزمان وابن الأثير وتاريخ ابن الوردى وعقد الجمان ، وقد ضبطه بالعبارة (بفتح الهمزة وسكون اللام وفتح الفاء والنون وفى آخره شين معجمة) . وفى معجم البلدان لياقوت وعقد الجمان وقد ضبطه بالعبارة أيضا : «الأدفونش» . وقال : الأول أظهر . (٥) طليطلة ، قال ياقوت : هكذا ضبطه الحميدى (بضم الطاءين وفتح اللامين) . وأكثر ما سمعناه من المغاربة بضم الأولى وفتح الثانية : مدينة كبيرة ذات خصائص محمودة بالأندلس ، يتصل عملها بعمل وادى الحجارة من أعمال الأندلس ، وهى غربى ثغر الروم وبين الجوف والشرق من قرطبة .

(٦) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٧٠ من الجزء الرابع من هذه الطبعة .

(٧) الزيادة عن مرآة الزمان وعقد الجمان .

فٱستغنوا إلى الأبد . ووصــل ٱلفَنش إلى طُلَيْطُلَة على أقبح وجه ، فحلق رأسه ولحيته ، ونكّس صليبه وآلى أنّه لا ينام على فراش ولا يقرب النساء ولا يركب فرسا حتّى يأخذ بالثأر .

وفيها ٱعتنى الخليفة الناصر لدين الله العباسىّ بحَمام البِطاقة ٱعتناء زائدا، حتى صار يكتب بأنساب الطير المحاصر أنّه من ولد الطير الفلانىّ ؛ وقيل : إنّه باع طيرا بألف دينار .

وفيها حجّ بالناس من بغداد سِنجِر[1] الناصرىّ ، ومن الشام سَرَا سُنْقُر وأَيْبَك فُطَيْس الصلاحيّان ، ومن مصر الشريف إسماعيل بن ثعلب الجعفرىّ[2] الطالبىّ .

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هــذه السنة ، قال . وفيهــا تُوُفّى أبو القاسم ذاكر بن كامل الخفّاف . والفقيــه أبو محمد عبــدالله الزاهد ٱبن محمد بن على الأندلسىّ فى المحرّم عن بضع وثمانين سنة . وأبو الحسن نَجَبَة[3] بن يحيى [بن خَلَف[4]] بن نَجَبَة الإشبيلىّ المقرئ النحوىّ .

§ أمر النيــل فى هذه السنة — المــاء القديم ســت أذرع و إصبعان . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وعشر أصابع .

* * *

السنة الرابعة من ولاية العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف على مصر، وهى سنة ٱثنتين وتسعين وخمسمائة .

(١) هو سنجر قطب الدين مملوك الناصر لدين الله الخليفة . (٢) من ولد جعفر بن أبى طالب، كما فى مرآة الزمان وعقد الجمان . (٣) فى الأصل : « أبو المحاسن » . وما أثبتناه عن غاية النهاية وبغية الوعاة وتكملة الصــلة لابن الأبار (ج ٢ ص ٢٣ ٤) .
(٤) التكملة عن غاية النهاية و بغية الوعاة وتكملة الصلة لابن الأبار .

فيها بعد خروج الحاجّ من مكّة هبّت ريحٌ سوداءُ عمّت الدنيا، ووقع على الناس رَمْل أحمر، ووقع من الركن اليمانىّ قطعة، وتحرّك البيت الحرام مرارا . وهذا شىء لم يُعهد منذ بناه عبد الله بن الزُّبَيْر — رضى الله عنهما — .

وفيها أيضا كانت الوقعة الثانية بين السلطان يعقوب وبين أَلْفَنْش ملك الفرنج بعد أن حشد أَلْفَنْش جمعا كثيرا والْتَقَوْا، فكان بينهم قتلة عظيمة، ونصر الله المسلمين . وهزمه يعقوب وتبعه وحصره على الزَّلّاقة و طُلَيْطُلَة ونصب عليها المجانيق وضيّق عليها، ولم يبق إلّا أخذُها . فخرجت إليه[(1)] والدة أَلْفَنْش وبناته ونساؤه وبَكَيْنَ بين يديه، وسألته إبقاءَ البلد عليهنّ، فرقّ لهنّ[(2)] ومنّ عليهنّ بها؛ ولو فتح طُلَيْطُلَة لفتح إلى مدينة النحّاس[(3)] . ثم عاد يعقوب إلى قرطبة فأقام بها شهرا يقسم الغنائم، وجاءته رسل أَلْفَنْش أيضا تسأل الصلح، فصالحه على مدّة معيّنة .

وفيها تُوُفّى محمد بن علىّ بن أحمد[(4)]، الوزير أبو الفضل مؤيّد الدّين بن القصّاب. أصله من شيراز، وقدِم بغداد واستُخْدِم فى الديوان، ثم ترقّى إلى أن ولى الوزارة، وقرأ الأدب والنحو . وكان داهيــةً ردىءَ الاعتقاد إلّا أنّه كان له خِبرَة بالأمور والحروب وفتح البلاد، وكان الخليفة الناصر لدين الله يُثْنِى عليــه ويقول : لو قَبِلوا من رأيه ما جرى ما جرى، ولقد أتْعب الوزراء من بعده .

وفيها تُوُفّى[(5)] محمد بن علىّ بن شُعَيْب، الشيخ أبو شجاع الفَرَضىّ الحاسب البغدادىّ المعروف بابن الدّهان . كان فاضلا عالمــا وصنّف تاريخــا من عشر وخمسمائة إلى سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة .

(١) فى الأصــل : « خرج إليه ولد ألفنش » . والتصحيح عن مرآة الزمان وعقــد الجمان وشذرات الذهب . (٢) فى الأصل : « فرق عليهن » . وما أثبتناه عن مرآة الزمان وعقد الجمان وشذرات الذهب . (٣) مدينة النحاس و يقال مدينة الصفر، لهــا قصة بعيدة عن الصحة . راجع ما كتبه عنها ياقوت فى معجمه . (٤) فى عقد الجمان « محمد بن على بن محمد » .

(٥) قد تقدّمت وفاته فيمن ذكرهم الذهبى سنة ٥٩٠ هـ . ووافقه على ذلك ابن خلكان .

وفيها تُوُفّى محمد بن على بن فارس الشيخ أبو الغنائم [المعروف بـ](١) ابن المعلّم الهُرْثى الشاعر المشهور . وهُرْثُ قرية تحت واسط . كان رقيق الشعر، لطيف المعانى، وله ديوان شعر . ومن شعره القصيدة التى أوّلها

لو قضَى من أهل نجدٍ أرَبَهْ * لم يَهِجْ نشرُ الخُزامَى طَرَبَهْ
علّلوا الصبَّ بأنفاس الصَّبَا * إنّها تَشْفِى العوسَ الوَصِبَهْ
وهى إن مرّتْ عليه نشرتْ * ما انطوى عنه وجلّت كُرَبَهْ
كَلَفِى فيكم قديمٌ عهدُهُ * ما صَبَاباتى بكم مكتسَبَهْ
أين وُرْقُ الجِزعِ مَنْ لى أن أرَى * عُجْمَه إن لم أشاهد عُرُبَهْ

ومنها :

عن جفونى النومَ مَن بعّدَهُ * وإلى جسمى الضَّنَا مَن قرّبَهْ
وصِلوا الطَّيْفَ إذا لم تصِلوا * مستهامًا قد قطعتُم سَبَبَهْ
وإلى أن تُحسِنُوا صُنْعًا بنا * قد أساء الحبُّ فينا أدَبَهْ

وهى أطول من هذا .

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال : وفيها تُوُفّى المحدّث أبو الرِّضا أحمد بن طارق الكَرْكِىّ(٢) فى ذى الحجّة ببغداد . وعبد الخالق بن عبد الوهّاب بن محمد المَالِكىّ(٣) الصابونىّ الخفّاف . وأبو الغنائم محمد بن علىّ بن فارس [المعروف بـ]ابن المعلّم الواسطىّ شاعر العراق عن إحدى وتسعين سنة . والوزير مؤيّد الدين محمد بن علىّ بن القَصّاب . والعلّامة مُجير الدين محمود بن المبارك البغدادىّ الشافعىّ عن خمس وسبعين سنة . ويوسف بن معالى الكِنانىّ المقرئ بدمشق .

---

(١) زيادة عن ابن خلكان . (٢) الكركى . نسبة إلى كرك قرية فى أصل جبل لبنان (عن معجم البلدان لياقوت) . (٣) المالكى : نسبة إلى المالكية — لا إلى المذهب — وهى قرية على الفرات (عن معجم البلدان لياقوت) .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وست وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وثماني عشرة إصبعا .

+ + +

السنة الخامسة من ولاية الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف على مصر، وهي سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة .

فيها قَدِم حُسام الدِّين أبو الهَيْجاء السَّمِين بغداد وخرج الموكب للقائه، ودخل أبو الهيجاء في زِيّ عظيم [و] رتَّب الأطلاب على ترتيب أهل الشام، وكان في خدمته جِلّة من الأمراء، وأوّل ما تقدّم من الأمراء طُلب آبن أخيه المعروف بكور الفرس ثم أمير أمير[1]، وجاء هو بعد الكلّ في العُدّة الكاملة والسلاح التامّ ، وخرج أيضا أهل بغداد للقائه ، وكان رأسه صغيرا وبطنه كبيرا جدّا، بحيث كان بطنه على رقبة البغلة؛ فرآه رجل كَوّاز فعمل في الساعة كوزا من طِين على هيئته، وسبقه فعلّقه في السوق؛ فلمّا آجتاز به ضَحِك . ثم عَمِل بعد ذلك أهلُ بغداد كِيزاناً سمّوها : أبا الهيجاء . وأكرمه الخليفة وأقام له بالضِّيافات .

قلت : أبو الهيجاء هذا هو الذي عَزَله الملك العزيز هذا عن نيابة القُدْس بجُرْديك في أوائل أمره . حسب ما تقدّم ذكره في ترجمة العزيز .

وفيها توفِّي الأمير طُغْتِكين بن أيّوب أخو السلطان صلاح الدين بن أيوب ، ولَقَبُه سيف الإسلام . كان والي اليمن، ملكها من زَبِيد إلى حَضْرَموت[2] ، وكان

(١) في عقد الجمان والذيل على الروضتين : « وكان معه ولدا أخيه عز الدين كر والعرز . وأول ما تقدم طلب كزتم العرز ثم أمير أمير » . (٢) حضرموت . ناحية واسعة شرقي عدن بقرب البحر، وحولها رمال كثيرة تعرف بالأحقاف ، وبها قبر هود عليه السلام (عن معجم البلدان لياقوت)

شجاعًا مقداما شهما . وتُوُفِّى بِزَبِيد . وولِى اليمن بعده ولده شمس الملوك إسماعيل وآدّعى الخلافة .

وفيهـا تُوُفِّى عبد الله بن منصور بن عِمْران الشيخ أبو بكر الباقِلّانِىّ . ومولده فى سنة خمسمائة . وآنفرد بالرِّواية فى القراءات العشر ، وكان حسنَ التلاوة . وقدِم بغدادَ ومات بواسِط فى سَلْخ شهر ربيع الآخر.

وفيها تُوفّى عُبيد الله[(١)] بن يونس بن أحمد الوزير جلال الدين أبو المظفَّر الحَنْبَلِىّ ، وَلِىَ حِجَابةَ الديوان ثم آستوزره الخليفة ، وكان إماما عالمـا فى الأصلين والحساب والهندسة والجبر والمقابلة ، غير أنّه شان أمرَه بأمور فعلها ، منها . أنّه أخرب بيت الشيخ عبد القادر [الجيلانىّ][(٢)] وشتَّت أولادَه ، ويقال إنّه بعث فى الليل من نَبَشَ على الشيخ عبد القادر ورَمى بعظامه فى اللُّجَة ، وقال : هـذا وقف ما يحلّ أن يُدْفَن فيه أحد .

قلت : وما فعله هو بعظام الشيخ أقبحُ من أن يُدْفَن بعضُ المسلمين فى بعض أوقاف المسلمين ، وما ذاك إلّا الحسدُ داخله من الشيخ عبـد القادر وعِظَمِ شهرته حتّى وقع منه ما وقع ؛ ولهذا كان موته على أقبح وجه ، بعد أن قاسَى خطوبًا ومِحَنًا وحُبِس سنين ، حتى أُخرِج من الحبس ميّتا ؛ وهذا ما وقع له فى الدنيا ، وأمّا الأُخرى فأمره إلى الله تعالى . وبالجملة فإنّه كان من مساوئ الدهر .

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هـذه السنة ، قال : وفيهـا تُوُفِّى سيفُ الإسلام طُغْتِكِين بن أيّوب بن شادِى صاحب اليمن فى شوّال ، وولى بعده آبنه إسماعيل . ومقرئ العراق أبو بكر عبـد الله بن منصور الرَّبَعِىّ الباقَلّانىّ بواسط فى شهر ربيع

(١) كذا فى الأصـل وعقد الجمان وابن الأثير والمختصر المحتاج اليه . وفى شذرات الذهب والذيل على الروضتين . «عبد الله» . (٢) زيادة عن شذرات الذهب .

الأول عن ثلاث وتسعين سنة . والوزير جلال الدين عُبَيْد الله بن يونس، مات في المَطْمُورة[(١)] . وعذراءُ بنت شاهِنْشاه بن أيّوب ودُفِنت بالعَذْرَاوِيّة[(٢)] . وقاضي القضاة أبو طالب عليّ بن عليّ بن أبي البركات البُخارِيّ الشافعيّ ببغداد . وأبو المُعَمَّر محمد ابن حَيْدرة بن عمر بن إبراهيم العَلَوِيّ الزَّيْدِيّ الرافضيّ[(٣)] . وأبو الفتح الأصبهانيّ ناصر الدين بن محمد الوترح في ذي الحجّة . وأبو القاسم يحيي بن أسعد بن [يحيي] بن تَوْش[(٤)] الخبّاز في ذي القعدة، غُصّ بلقمة، وعاش بضعا وثمانين سنة . ٥

§ أمر النيل في هـذه السنة — المـاء القديم خمس أذرع وخمس وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وإحدى وعشرون إصبعا .

*
* *

١٠ . السنة السادسة من ولاية العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف على مصر ، وهي سنة أربع وتسعين وخمسمائة .

فيها تُوفّي الأمير جُرْدِيك بن عبد الله النُّورِيّ . كان من أكابر أمراء الملك العادل نور الدين محمود الشهيد، ثم خدَم السلطانَ صلاح الدين يوسف بن أيوب في جميع غزواته وحروبه من يوم قتَل شاوَر بمصر وابنَ الخَشّاب بحلب . وكان أميرا شجاعا مَهِيبا جَوَادًا، ولّاه صلاح الدين نيابة القُدْس إلى أن أخذها منه الأفضل . ١٥

(١) المطمورة : بلد في ثغور بلاد الروم ناحية طرسوس . (عن معجم البلدان لياقوت) .

(٢) العذراوية ، هي المدرسة التي بنتها عذراء بنت شاهنشاه بن أيوب بدمشق (عن عقد الجمان) .

(٣) كذا في الأصل . وفي شرح القصيدة اللامية في التاريخ هكذا «ناصر الوتريخ» . وفي شذرات الذهب . «أبو الفتح ناصر بن محمد الأصبهاني القطان» .

٢٠ (٤) تكملة عن المشتبه والمختصر المحتاج إليه من تاريخ بغداد .

وفيها توفى زنكى بن مودود بن زنكى بن آق سنقر عماد الدين صاحب سنجار، وابن أخى نور الدين الشهيد . كان عاقلا جوادًا لم يزل مع السلطان صلاح الدين؛ وكان السلطان صلاح الدين يحترمه مثل ما كان يحترم نور الدين ، ويعطيه الأموال والهدايا، وكانت وفاته بسنجار . ولمـا احتضر أوصى إلى أكبر أولاده قطب الدين
٥ محمد، ولُقِّب بالملك المنصور .

وفيهـا تُوفِّى قَيْماز بن عبد الله مجاهد الدين الخادم الرومىّ الحاكم على المَوْصل ، وهو الذى بنى الجامع المجاهدىّ والمدرسة والرِّباط والبيمارستان بظاهر الموصـل على دجلة ووقف عليها الأوقاف. وكان عليه رواتبُ بحيث إنّه لم يدع [بالموصل بيتَ] (١) فقير إلّا أعنى أهله ، وكان ديّنا صالحا عابدا عادلا كريما، يتصـدّق كلّ يوم خارجا
١٠ عن الرواتب بمائة دينار . ولمـا مات عزّ الدِّين (٢) مسعود وولِى ابنه أرسلان شاه (٣) حبَس قيماز هذا وضيّق عليه وآذاه إلى أن مات فى حبسه .

وفيهـا تُوفِّى يحيى بن سعيد بن هبة الله العلّامة أبو طالب قِوام الدِّين الشَّيْبانىّ المنشئ الكاتب الواسطىّ الأصل، البغدادىّ المولد والدار والوفاة . مولده فى سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة . واشتغل بالأدب وبَرَع فى الإنشاء وفنون من العلوم كالفقه
١٥ وعلم الكلام والأصول والحساب والشعر، وجالس أبا منصور بن الجَوَاليقىّ وقرأ عليه، وسمـع أبا القاسم بن الصائغ وغيره ، وولِى للخليفة عدّةَ خِدَم كحجبـةَ الباب ، ثم الأسـتادارية ، ثم كتابة الإنشاء آخر عمرِه ومات فى ذى الحجّة . ومن شـعره — وأحسن فيما قال — .

(١) الزيادة عن مرآة الزمان وشذرات الذهب . (٢) هو عز الدين مسعود بن قطب الدين
٢ مودود صاحب الموصل . (٣) هو نور الدين أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكى صاحب الموصل .

بآصطراب الزمان ترتفع الأنـ * ـذالُ فيـه حتّى يعمّ البـلاءُ
وكـذا المـاءُ ساكنًا فإذا * حُرّكَ ثارت من قعره الأقـذاءُ

قلت : وفي هذين البيتين شرح حال زماننا هذا لكثرة من ترقّى فيه من الأوباش إلى الرُّتَب السنيّة من كلّ طائفة ، وقد أذكرني ذلك واقعة جرت في أوّل سلطنة الملك الأشرف إينال[1]، وهي أنّ بعض أوباش الخاصكيّة ممّن ليس له ذات ولا أدوات وقف إلى السلطان وطلب منه إمْرة عشرة، وقال له : يا مولانا السلطان، إمّا أن تُنْعِم عليّ بإمرة عشرة وإلّا وَسِّطْني هنا؛ وقيل: إنّه تمدّد ونام بين يديه حتّى أخذ إمرة عشرة؛ وهو معروف لا يحتاج إلى تسميته. ومن هذه المقولة شيء كثير، ومع ذلك خرج الزمان وللدولة أعيان، فلا قوّة إلّا بالله .

وفيها تُوُفّي أبو الهَيْجاء السَّمين الأميرُ حُسام الدين الكُرْديّ المقدّم ذكرُه في عدّة أماكن، وذكرنا أيضا دخوله إلى بغداد، وأنّه صار من جملة أمراء الخليفة حتى سيّره إلى هَمَـذان، فلم يتمّ له أمر، وآختلف أصحابه عليه فآستحيا أن يعود إلى بغداد، فسار إلى الشام ومرض بها ومات بعد أيّام . وكان أميرا شجاعا مِقْـداما عارفا متحمّلا سَـيُوسًا .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وأربع وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعا وإصبعان .

(١) هو السلطان الملك الأشرف سيف الدين أبو النصر إينال بن عبد الله العلائي الظاهري ثم الناصري . ملك الديار المصرية من سنة ٨٥٧ — ٨٦٤ هـ . كما سيأتي ذكره للؤلف .

ذكر ولاية الملك المنصور محمد على مصر

اختلف المؤرخون فيمن ولى مُلك مصر بعد موت الملك العزيز عثمان ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب . فمن الناس مَن قال . أخوه الأفضل نور الدين علىّ بن صلاح الدين يوسف بن أيّوب؛ ومنهم مَن قال : ولده الملك المنصور محمد هذا . والصواب المقالة الثانية، لأنّه كان ولّاه والدُه العزيز من بعده، وإليه أوصى العزيز بالمُلك، وأيضا ممّا يُقوّى المقالة الثانية أنّ المنصور كان تحت كَنَف والده العزيز بمصر، وكان الأفضل بصَرْخَد[1]، ولم يحضُر إلى مصر، حتّى تمّ أمر المنصور وتسلطن بعد موت أبيـه . و بيان ذلك أيضا يأتى فيما نذكره الآن فى سـياق ترجمة الملك المنصور ، فيُعرف بهذا السياق مَن كان فى هذه المدّة السلطان بمصر إلى حين ملك المَلِك العادل أبو بكر بن أيّوب ، فنقول :

لـمّـا مات الملك العزيز عثمان بديار مصر فى العشرين من المحرّم أوصى بالمُلك لأكبر أولاده وهو ناصر الدين محمد المذكور، ونَصَّ عليه فى الوصيّة، وكان للعزيز عشرة أولاد، ولم يذكر فى الوصيّة عمّه العادل ، وجعل وصيّه الأمـير أُزْكُش مقدّم الأسديّة .

قال أبو المظفّر سبط ابن الجَوْزىّ فى تاريخه : «كان لابنه محمد عشر سنين وكان مقدَّمُ الصلاحيّة فخرَ الدين جِهَارَكَسُ ، وأسد الدين سَرَا سُنْقُر، وزَيْن الدين قراجا، فاتّفقوا على ناصر الدين محمد وحلّفوا له الأمراء، وكان سيف الدين أُزْكُش مقدَّمُ الأسديّة غائبا بأُسْوَان، فقدِم وصوّب رأيهم وما فعلوه، إلّا أنّه قال: هو صغير السن لا ينْهَض بأعباء المُلك، ولا بدّ من تدبير كبير يَحْسِم الموادّ ويُقيم الأمور، والعادل مشغول فى الشرق بمَارِدِين، وما ثَمّ أقرب من الأفضل نجعله أتابَك العساكر، فلم يمكن

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٢٠ من هذا الجزء .

الصلاحيّة مخالفة الأسديّة وقالوا : آعملوا ففعلوا. فكتب أزكُش إلى الأفضل يستدعيه وهو بصَرْخَد. وكتبت الصلاحيّة إلى مَنْ بدمشق من أصحابهم يقولون : قد آتفقت الأسديّة على الأفضل ، وإنْ مَلَك الأفضل الديار المصريّة حكموا علينا ، فآمنعوا الأفضل من المجىء ؛ فركب عسكر دِمَشق ليمنعوه ففاتهم ؛ وكان الأفضل قد آلتقى النّجّاب المتوجِّه إلى دِمشق ثانيا من قِبَل الصلاحيّة، وعلى يده الكُتُب التى تتضمّن ما ذكرناه من منع الأفضل من المجىء إلى الديار المصريّة ، فأخذ الأفضل النّجّاب وعاد به إلى مصر، ولمّا وصل الأفضل إلى مصر آلتقاه الأسديّة والصلاحيّة، ورأى جِهَارَكَس النّجّاب الذى أرسله ، فقال له : ما أسرعَ ما عُدتَ ! فأخبره الخبرَ ، فساق هو وقراجا مَن معهما من وقتهما إلى القُدْس وتحصّنا به . فلمّا وقع ذلك أشارت الأسديّة على الأفضل بقَصْد دِمشق، وأنّ العادل مشغول بمَارِدين . فكتب الأفضل إلى أخيه الملك الظاهر غازى صاحب حَلَب يستنجده ، فأجابه وقال : اقْدَم حتّى أساعدك . فسار الأفضل بالعساكر المصريّة إلى الشام وآستناب بمصر سيفَ الدين أزكُش ، ووصل الأفضل إلى دمشق فى شعبان من السنة وأحدق بها . وبلغ هذا الخبرُ الملكَ العادلَ وهو على مَارِدِين ، وقد أقام عليها عشرة أشهر،ولم يبقَ إلّا تسليمُها وصَعِدتْ أعلامُه على القامة[1] ؛ فلمّا سَمِعوا بوفاة العزيز توقّفوا عن تسليمها ؛ فرحل الملك العادلُ أبو بكر عنها، وترك على حصارها ولدَه الكاملَ محمدا الآتى ذكره فى سلاطين مصر — إن شاء الله تعالى — وسار العادل إلى نحو الشام فوصلها ومعه جماعة من الأمراء ؛ وكان الأفضل نازلًا فى المَيْدان الأخضر فأشار عليه جماعةٌ من الأمراء أن يتأخّر إلى مشهد القَدَم[2] [حتّى[3] يصل الظاهر وصاحبُ

(١) فى الأصل : « إلى القلعة » . وما أثبتناه عن مرآة الزمان . (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٢٦ من هذا الجزء . (٣) زيادة عن مرآة الزمان وعقد الجمان .

حِمْص والأمراء] . ودخل العادلُ ومَن معــه إلى دمشق ، وجاء الظاهر بعسكر حلب، وجاء عسكر حَمَاة وحِمْص، وبِشَارة من بَانْيَاس، وعسكرُ الحصون، وسعدُ الدين مسعود صاحب صَرْخَد[1]، وضايقوا دمشق وبها العادل ، وكسروا باب السلامة[2] ؛ وجاء آخرون إلى باب الفراديس[3] وكان العادل فى القلعة وقد آستأمن إليه جماعةٌ من المصريّين مثل آبن كهدان[4] ومِثْقال الخادم وغيرهما . فلمّــا بلغه أنّ آبن الحنبليّ وأخاه شهاب الدين وأصحابهما قــد كسروا باب الفراديس ركب من وقته وخرج إليهم وجاء إلى جَيْرُون[5] والمجــدُ أخو الفقيــه عيسى قائم[6] على فرســه يشرب الفُقّاع ، ثم صــاح العــادل : يا فَعْلة يا صَنْعة إلى هاهنا ! فلمّا سمعوا كلامه آنهزموا وخرجوا ؛ فأغلق العادلُ بابَ السلامة ، وجاء إلى باب الفراديس فوجدهم قد كسروا الأقفال بالمِرْزَبّات ؛ فقال مَن فعل هذا ؟ قالوا : الحنابلة ؛ فسكت ولم يقُل شيئًا . وقال أبو المظفّر : وحَكَى لى المعظّم عيسى — رحمــه الله — قال : [لمّــا][7] رَجَعْنا من باب الفراديس [و][7] وصلنا إلى باب مدرسة الحنابلة رُمِىَ على رأس أبى (يعنى العادل) حُبُّ[8] الزَّيْت فأخطأه، ووقع فى رَقَبَة الفرس فوقع ميتاً، فنزل أبى وركب غيره ولم ينطق بكلمة،

---

(١) صرخد : مدينة فى جبال عاملة المطلة على حمص بالشام وهى فى جبال لبنان (عن معجم البلدان لياقوت) . وفى الأصل : « صعت » . (٢) باب السلامة : شمالى دمشق ، سمى بذلك تفاؤلا لأنه لا يتهيأ القتال على البلد من ناحيته لما دونه من الأنهار والأشجار . (عن تهذيب تاريخ مدينة دمشق ج ١ ص ٢٦٢) . (٣) باب الفراديس ، شمالى دمشق : منسوب الى محلة كانت خارج الباب تسمى الفراديس ، وهى الآن خراب ، وكان للفراديس باب آخر عند باب السلامة فسدّ ، والفراديس لغة الروم البساتين (عن تهذيب تاريخ مدينة دمشق) وراجع الحاشية رقم ٣ ص ١٥٧ من الجزء الرابع من هذه الطبعة . (٤) فى الأصل «ابن مهران» وفى مرآة الزمان : «ابن كدان» . وما أثبتناه عن عقد الجمان وكما سيأتى فى حوادث سنة ٦١٥ هـ . (٥) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٥ من الجزء الخامس من هذه الطبعة . (٦) فى الأصل . «وهو قائم» . وما أثبتناه عن عقد الجمان ومرآة الزمان . (٧) الزيادة عن مرآة الزمان وعقد الجمان . (٨) الحب : الجرة .

وجاء جهاركس وقراجا فى الليل من جبل سير[1] فدخلا دمشق . وأما المواصلة فساقوا على الكامل محمد فرحلوه عن ماردين ، فجاء أيضا يقصد دمشق ، وجمع التركمان[2] وغيرهم .

وأما أمر دمشق فإنه لما اشتد الحصار عليها ، وقطعوا أشجارها ومياهها الداخلة إليها ، انقطعت عن أهلها الميرة وضجوا ، فبعث العادل إلى ابن أخيه الظاهر غازى صاحب حلب يقول له : أنا أسلم إليك دمشق على أن تكون أنت السلطان ، وتكون دمشق لك لا للأفضل ، فطمع الظاهر وأرسل إلى الأفضل يقول : أنت صاحب مصر فآثرنى بدمشق ، فقال الأفضل : دمشق لى من أبى ، وإنما أخذت منى غصبا . فلا أعطيها لأحد ، فوقع الخلف بينهما ووقع التقاعد ، وخرجت السنة على هذا . ثم دخلت السنة السادسة والتسعون ، والحصار على دمشق . وكان أتابك أرسلان شاه صاحب الموصل قد رحل الكامل من ماردين كما تقدم ذكره . فقدم الكامل دمشق ومعه خلق كثير من التركمان وعسكر حران[3] والرها[4] ، فتأخر الأفضل بالعساكر إلى عقبة الشحورة[5] فى سابع عشر صفر . ووصل الكامل فى تاسع عشره فنزل بجوسق[6] أبيه على الشرف[7] ، ثم رحل الأفضل إلى مرج الصفر[8] ، ورحل الظاهر إلى حلب ، وأحرقوا ما عجزوا عن حمله . وسار الأفضل إلى مصر . وأحصر العادل

(١) سير : جبل بين حمص وبعلبك على الطريق وعلى رأسه قلعة سير (عن معجم البلدان لياقوت) .
(٢) التركمان (بالضم) . جيل من الترك ، سموا به لأنه آمن منهم مائتا ألف فى شهر واحد ، فقالوا : ترك إيمان ، ثم حذفت فقيل تركمان (عن القاموس) . (٣) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٣٥ من الجزء الثالث من هذه الطبعة . (٤) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٥ من الجزء الثالث من هذه الطبعة .
(٥) راجع الحاشية رقم ٨ ص ١٢١ من هذا الجزء . (٦) الجوسق : القصر .
(٧) فى نزهة الأنام فى محاسن الشام ص ٧٠ : ومن محاسن الشام شرفاها وما حويا من المناظر والقصور ، ويسمى أحدهما بالشرف الأعلى والآخر بالشرف الأدنى ، وفى كل شرف منهما عدة من المدارس والمساجد . وكل شرف يطل على «الشقرا» و «الميدان» و «القصر الأبلق» و «المرجة» ذات العيون والغدران .
(٨) مرج الصفر . موضع بين دمشق والجولان صحراء (عن معجم البلدان لياقوت) .

بنى الحنبلىّ : الناصح وأخاه شهاب الدين وغيرهما؛ وكان الأفضل قد وعد الناصحَ بقضاء دمشق، والشهاب بالحِسْبَة؛ فقال لهم العادل : ما الذى دعاكم إلى كسر باب الفراديس، ومظاهرة أعدائى علىّ، وسفك دمى؟ فقال له الناصح : أخطأنا وما ثَمّ إلّا عَفْو السلطان. — ثم ساق أبو المظفّر كلاما طويلا محصوله العفو عن الحنابلة، إلى أن قال — :

٥ وأمّا الأفضل فإنّه سار إلى مصر، فأرسل العادل وراءه [أبا محمد](١) نجيب الدين إليه بالزَّبَدَانِىّ(٢) يقول [له] : ترفّق، فأنا لك مثل الوالد، وعندى كلُّ ما تريد . فقال الأفضل : قل له : إن صحّت مقالتك فابعُدْ عنك أعدائى الصّلاحيّة . وبلغ ذلك الصلاحيّةَ، فقالوا للعادل : إيش قعودنا هنا؟ قم بنا، وساروا خلف الأفضل مَرْحَلَةً مرحلة؛ فنزل الأفضل بلبيس ونزل العادل السائح(٣)؛ فرجع الأفضل وضرب معهم ١٠ المَصَافّ، وتقاتلوا فانكسر الأفضل وتفرّق عنه أصحابه؛ ورَحَل إلى القاهرة وأغلق أبوابها. وجاء العادل فنزل البِرْكة(٤)، ودخل سيفُ الدين أَزْكُش بين العادل والأفضل، واتّفقوا أن يعطيه العادلُ ميّافارِقِين وحَنَى جُور(٥) وديار بكر، ويأخذ منه مصر؛ فاتّفق الأمر على ذلك .

ورَحل الأفضل من مصر فى شهر ربيع الآخر، ودخل العادل إلى القاهرة، ١٥ وأحسن إلى أزْكُش، وقال للأفضل : جميعُ مَن كان معك كاتَبَنى إلّا سيفَ الدين أُزْكُش . ثمّ قدّم العادلُ أُزْكُشَ المذكور وحكّمه فى البلاد، وردّ القضاء

(١) فى الأصل : «ولده» والتصحيح والزيادة عن مرآة الزمان وعقد الجمان. (٢) الزبدانى : من بلاد دمشق . (٣) السائح ، هذا الاسم كان يطلق على منطقة الأراضى الواقعة على حافى الترعة السعيدية فى المسافة الواقعة بين ناحيتى سوادة والصالحية بمركز فاقوس بمديرية الشرقية . ولما تكلم المقريزى ٢٠ فى الجزء الأول من خططه ص ١٨٤ على بلدة الصالحية فى موضوع الورّادة ، قال : إن الملك الصالح نجم الدين أيوب أنشأ الصالحية من سنة ٦٤٤ هـ بالسائح فى أوّل الرمل . (٤) يريد بركة الحجاج . وراجع الحاشية رقم ١ ص ١٨ من الجزء الخامس من هـذه الطبعة . (٥) جبل جور : اسم لكورة كبيرة متصلة بديار بكر من نواحى أرمينية (عن معجم البلدان لياقوت) .

إلى صدر الدين عبد الملك بن دِرْباس الكُرْدِيّ[1]، وولّى شيخَ الشيوخ ابن حَمُّويه التدريسَ بالشافعيّ ومَشْهَد الحُسَيْن والنَّظَر في خانقاه الصُّوفيّة[2]، وجلس الوزير صفيّ الدين عبد الله بن عليّ بن شُكْر في دار السلطنة في حُجْرة القاضي الفاضل، ونظر في الدواوين. وسار الأفضل إلى مَيّافارِقين. واستدعى العادلُ ولدَه الكاملَ إلى مصر فخرج من دمشق في ثالث عشرين شعبان[3] وودّعه أخوه الملك المعظّم عيسى إلى رأس الماء[4]. قال العِماد الكاتب. وسرتُ معه إلى مصر وأنشدتُه.

دعتْك مصرُ إلى سلطانها فأجبتَ * دعاءَها فهو حَقٌّ غيرُ مكذوبِ

قد كان يهصمني[5] دهري فأدركني * محمدُ بن أبي بكر بن أيّوب

ووصل الكامل إلى مصر في عاشر شهر رمضان، والتقاه أبوه العادل من العَبّاسة[6]، وأنزله في دار الوزارة. وكان قد زوّجه بنت أخيه صلاح الدين فدخل بها. ولم يقطع العادلُ الخطبة لولد العزيز.

قلت: وهذا ممّا يدلُّ أيضا على أنّ الأفضل كان عند الملك المنصور محمد ابن العزيز عثمان بمنزلة الأتابَك. والظاهر أنّه كان ظنُّ الأفضل إذا تمّ أمره مع عمّه العادل هذا استقلّ بالمُلك، فلم يقع له ذلك؛ ولهذا لم نذكره في ملوك مصر، وما ذكرناه هنا[7] إلّا في ضمن ترجمة المنصور صاحب الترجمة.

(١) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١١٦ من هذا الجزء. (٢) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٥٠ من الجزء الرابع من هذه الطبعة. (٣) في مرآة الزمان وعقد الجمان. «في ثالث شعبان». (٤) رأس الماء: موضع بالقرب من حوران شديد البرد صيفا (عن ابن الأثير ج ١٢ ص ٩٥ و ١٠٢ طبع أوربا). (٥) في الأصل * قد كان يهصمني دهري فأدركني * وفي مرآة الزمان. «قد كان ينهضني دهري فيوهمه». والتصويب عن الروضتين.

(٦) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٠٩ من الجزء الثالث من هذه الطبعة.

(٧) في الأصل: «وإنما ذكرناه» والسياق يقتضي ما أثبتناه.

قال : ثم إنّه جمع الفقهاء (يعنى الملك العادل) وقال لهم : هـل يجوز ولاية الصغير على الكبير ؟ فقالوا : الصغير مولًّى عليه[1] . قال : فهل يجوز للكبير أن ينوب عن الصغير ؟ قالوا : لا ، لأنّ الولاية من الأصـل إذا كانت غير صحيحة فكيف تصحّ النيابة ! فعنـد ذلك قطع خطبةَ آبنِ العـزيز (يعنى عن المنصـور صاحب الترجمة) وخطب لنفسه ولولده الكامل من بعده . ونقَص النيلُ فى هـذه السنة ولم يبلغ ثلاث عشرة ذراعا . ووقع الغلاء بديار مصر » .

قلت : وعلى هذا يكون أوّل سلطنة العادل على مصر فى يوم خُطِب له بمصر، وهو يوم الجمعة الحادى والعشرين من شوّال سنة ست وتسعين وخمسمائة .

قال آبن المُسْتَوفِى[2] فى تاريخ إِرْبِل[3] : فتكون أوّل سلطنة الملك العادل من هذا اليوم، ولا عِبْرَة بآستيلائه على مصر قبل ذلك . وعلى هـذا أيضا تكون مدّة الملك المنصور محمد صاحب الترجمة على سلطنة مصر سنة واحدة وتسعة أشهر سواء، فإنّ والده العزيز عثمان مات فى عشرين المحرّم من سنة خمس وتسعين وخمسمائة فتسلطن من يوم موت أبيـه، وخُلِـع فى العشرين من شوّال سنة ست وتسعين وخمسمائة . انتهى . ولم أقف على وفاته الآن .

---

(١) فى الأصل : «الصغير مولى ولى عليه» . (٢) هو أبو البركات المبارك بن أبى الفتح أحمد ابن المبارك بن موهوب بن غنيمة بن غالب اللخمى الملقب شرف الدين، المعروف بابن المستوفى الإربلى . كان رئيسا جليل القدر كثير التواضع واسع الكرم . وكان ماهرا فى فنون الأدب من النحو واللغة والعروض والقوافى وعلم البيان وأشعار العرب وأخبارها وأيامها ووقائعها وأمثالها ؛ وكان بارعا فى علم الديوان وحسابه وضبط قوانينه على الأوضاع المعتبرة عندهم . وجمع لإربل تاريخا فى أربعة مجلدات . وقد قابله ياقوت الحموى بإربل وأنشده من شعره وكتب له بخطه عدّة قطع من أشعاره ذكر بيتين منها فى معجمه فى كلامه على إربل . وكانت وفاته سنة ٦٣٧ هـ . (راجع ترجمته مفصلة وافية فى ابن خلكان) .

(٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٧٩ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

* * *

السنة الأولى من ولاية الملك المنصور محمد ابن الملك العزيز عثمان ابن الملك الناصر يوسف على مصر، وهي سنة خمس وتسعين وخمسمائة، على أن الملك العزيز والده حكم منها نحو العشرين يوما من المحرّم كما تقدّم ذكره.

فيها حجّ بالناس من بغداد مظفّر الدين وجهُ السَّبُع.

وفيها كانت وفاة الملك العزيز عثمان حسب ما تقدّم ذكره في ترجمته.

وفيها تُوفّي يحيى بن عليّ بن الفضل أبو القاسم بن فَضْلان مدرّس النّظاميّة، كان فقيها بارعا، قدم بغداد وناظر وأفتى ودرّس، وكان مقطوعَ اليد، وقع من الجمل فعملت عليه يده نُخيف عليه فقُطِعت. وكانت وفاته في شعبان. ومن شعره — رحمه الله تعالى —:

وإذا أردت منازلَ الأشرافِ * فعليك بالإسعاف والإنصافِ

وإذا بغى باغٍ عليك نخَـلِّهِ * والدهرَ فهو له مُكافٍ كافِ

وفيها تُوفّي يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الملك المنصور أبو يوسف صاحب المغرب. كان مَلِكا مُغازِيًا مجاهدًا، وهو الذي كَسَرَ أَلْفَنْش ملك الفرنج المقدّم ذكره على الزَّلَّاقَة، وهو أعظم ملوك المغرب وأحسنهم سيرةً لِمَا كان جمع من المحاسن الدِّين والصلاح والشجاعة والكرم والحزم والعزم، ودام في مُلكه إلى أن مات في شهر ربيع الأوّل[1] بعد أن أوصى بالمُلك إلى ولده أبي عبد الله محمد. وكانت مدّة أيامه خمس عشرة سنة. وفيه يقول شاعره أبو بكر[2] يحيى بن عبد الجليل

(١) في ابن الأثير: «في ثامن عشر شهر ربيع الآخر». (٢) في الأصل: «أبو بكر بن يحيى». وما أثبتناه عن ابن خلكان، وهو شاعر مجيد وله ديوان شعر أكثره مدح في الأمير يعقوب بن يوسف ابن عبد المؤمن. توفي هذا الشاعر بمراكش سنة ٥٨٧ هـ. (عن ابن خلكان).

آبن عبد الرحمن بن نُجير الأَنْدَلُسِىّ المُرْسِىّ قصيدته المطوّلة، وعدّة أبياتها مائة وسبعة أبيات . أوّلها :

أتُراه يترُك الغــزَلَا * وعليه شَبّ وآكتهلا

ومدحه أيضا إبراهيم بن يعقوب الشاعر المشهور[(١)] بقصيدة طنّانة أوّلها :

٥ أزال حِجـابَه عنى وعينى * تَراه من المهابة فى حِجابِ

وقرّبَنى تفضُّـلُه ولكن * بعُدتُ مهابةً عند آقترابى

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة ، قال : وفيها توفى الملك العزيز عثمان ابن صلاح الدين يوسف بن أيّوب صاحب مصر فى المحرّم، وله ثمان وعشرون سنة. والحفيد آبن رُشْـد[(٢)] العلّامة أبو الوليد محمد بن أحمد بن أبى الوليد محمد بن أحمد بن

١٠ رُشْد القُرْطُبِىّ المتكلّم . وأبو جعفر محمد بن إسماعيل الطَّرَسُوسِىّ بأصبهان فى جمادى الآخرة . وأبو الحسن مسعود[(٣)] بن أبى مسعود الأصبهانىّ الخيّاط الجمّال فى شوّال . وأبو الفضل منصور بن أبى الحسن الطّبَرِىّ الصوفىّ الواعظ . والعلّامة جمال الدّين يحيى بن علىّ بن فَضْلان البغدادىّ الشافعىّ فى شعبان . وصاحب المغرب المنصور أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن القَيْسِىّ .

١٥ § أمر النيل فى هــذه السنة — المـاء القديم ثلاث أذرع وأربع وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وستّ عشرة إصبعا .

---

(١) هو الأديب أبو إسحاق إبراهيم بن يعقوب الكانمى الأسود الشاعر . والكانمى، نسبة الى كانم (بكسر النون) وهى بلدة بنواحى غانة وهى دار ملك السودان (عن ابن خلكان) .

(٢) ولد بقرطبة ونشأ بها ، ولما ترعرع عصنه ظهر فضله وذاع صيته وتلقى العلوم المختلفة على شيوخ

٢٠ عصره، وما زال مثابرا على الإفادة والآستفادة حتى أصبح وعاء من أوعية العلم ، وكان حسن الرأى والتدبير ذكيا رث البزة قوى النفس . (راجع ترجمته مفصلة وافية فى عيون الأنبا فى طبقات الأطبا لابن أبى أصيبعة) . (٣) فى شذرات الذهب : « أبو الحسن مسعود بن أبى منصور » .

***

السنة الثانية من ولاية الملك المنصور محمد ابن الملك العزيز عثمان على مصر، على أنّه حكم فى آخرها من شهر رمضان إلى آخر السنة عمّ أبيه الملكُ العادلُ أبو بكر ابن أيّوب، وهى سنة ستّ وتسعين وخمسمائة .

فيها تُوفّى تُكُش بن أَرْسلان شاه بن أَتْسِز[1] الملك علاء الدّين خُوَارَزْم شاه ، هو من ولد طاهر بن الحسين. كان شجاعا مِقْداما جودا، مَلَكَ الدنيا من الصِّين والهند وما وراء النهر إلى خُراسان إلى باب بغداد، وكان نوّابه فى حُلْوان[2] ، وكان فى ديوانه مائة ألف مقاتل، وهو الذى أزال دولة بنى سلجوق، وكان عارفا بعلم المُوسِيقى ؛ ولم يكن فى زمانه أعرف منه بضرب العُود ، وكان يُباشر الحروب بنفسه حتّى ذهبتْ إحدى عينيه فى الحرب ، وكان قد عزم على أخذ بغداد وسار إليها ؛ فلمّا وصل إلى دِهِسْتان[3] تُوفّى بها فى شهر رمضان . ووقع له فى مسيره إلى أخذ بغداد فى هذه المرّة طريفة : وهو أنّ الباطنيّة جهّزوا إليه رجلًا ليقتلَه ، وكان قوىّ الاحتراس، بجلس تلك الليلة يلعب بالعُود، وقد شَرَع الخَيْمَةَ وغنّى بيتًا بالعجميّة، وفيه «بَيتَم» ومعناه بالعجمىّ : أبصرتك[4]، وكرّر هذه اللفظة؛ فلمّا سمع الباطنىّ ذلك خاف وظنّ أنه رآه فهرب، فأُخِذ وحُمِل إليه فعزّره وأمر بقتله . فكان ذلك من الطرائف .

---

(١) فى الأصل : «أبز» . وما أثبتناه عن تاريخ ابن الوردى وعقد الجمان ومرآة الزمان .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٨٥ من الجزء الثالث من هذه الطبعة .

(٣) دهستان : بلد مشهور فى طرف مازندان قرب خوارزم وجرجان . بناها عبد الله بن طاهر فى خلافة المهدى (عن معجم البلدان لياقوت) .

(٤) وجدنا فى هامش الأصل العبارة الآتية : «ليس معناه أبصرتك بل معناه : أرى، ليس فيه خطاب ولا معنى ماض» .

وفيها تُوفِّى إمام عصره ووحيد دهره، القاضى الفاضل عبد الرحيم ابن القاضى الأشرف أبى المجد علىّ [ابن القاضى السعيد أبى محمد محمد] بن الحسن بن الحسين ابن أحمد [بن المفرّج بن أحمد] اللَّخْمِىّ العَسْقَلانِىّ المولد، المصرىّ [الدار]، المعروف بالقاضى الفاضل الملقّب محيى الدين ؛ وزير السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب .

قال ابن خلّكان - رحمه الله - . [و] تمكّن منه غاية التمكّن (يعنى من صلاح الدين) وبَرَّز فى صناعة الإنشاء وفاق المتقدّمين ، وله فيه الغرائب مع الإكثار . أخبرنى أحد الفضلاء الثِّقات المُطَّلِعين على حقيقة أمره : أنّ مسودات رسائله فى المجلّدات، والتعليقات فى الأوراق إذا جُمِعت ما تقصر عن مائة مجلد، وهو مجيد فى أكثرها .

١٠ قال العِماد الكاتب الأصبهانىّ فى كتاب الخَرِيدة فى حقّه : « ربّ القَلَم والبيان، واللَّسَن واللِّسان، والقريحة الوقّادة، والبصيرة النّقّادة، والبديهة المعجزة، والبديعة المطرّزة؛ والفضل الذى ما سُمِع فى الأوائل ممّن لو عاش فى زمانه لتعلّق فى غُباره، أو جرى فى مِضْماره، فهو كالشريعة المحمديّة التى نسخت الشرائع ، ورَسَخت بها الصنائع، يخترع الأفكار، ويفترع الأبكار، ويُطلِع الأنوار، ويُبْدِع الأزهار ؛ ١٥ وهو ضابط المُلْك بآرائه ، ورابط السلك بآلائه ؛ إن شاء أنشأ فى اليوم الواحد بل فى الساعة ، مالو دُوِّن لكان لأهل الصناعة ، [خير] بِضاعة » انتهى كلام العِماد باختصار .

---

(١) فى الأصل : «أبى الحسن» . وما أثبتناه عن ابن خلكان وعقد الجمان وتاريخ ابن الوردى .
(٢) التكملة عن ابن خلكان وشرح القاموس . (٣) فى ابن خلكان وعقد الجمان : «مجير الدين» . (٤) زيادة عن ابن خلكان . (٥) فى الأصل : « من لو عاش» . ٢٠ وما أثبتناه عن ابن خلكان . (٦) فى الأصل : « بآلائه » . وما أثبتناه عن ابن خلكان .
(٧) فى الأصل : «لكان لأهل الصناعة كفاية» . والتصحيح والزيادة عن ابن خلكان .

وقال غيره : وكان مع فضله كثيرَ العبادة تاليًا للقرآن العزيز ديِّنًا خيِّرًا ، وكان السلطان صلاح الدين يقول : لا تظنّوا أنّى ملكتُ البلاد بسيوفكم ، بل بقلم الفاضل . وكان بين الفاضل وبين الملك العادل أبى بكر بن أيّوب وَحْشة[1] ، فلمّا بلغ الفاضلَ مجىءُ العادل إلى مصر دعا الله على نفسه بالموت ، فمات قبل دخوله . وقيل : إنّ العادل كان داخلا من باب النصر ، وجنازة الفاضل خارجة من باب زويلة[2] . انتهى .

قلت : وفضل الفاضل وبلاغته وفصاحته أشهر من أن يذكر . ومن شعره : قولـــه :

وإذا السعادة لاحظتْك[3] عيونُها * نَمْ فالمخاوفُ كلُّهنّ أمانُ

وٱصطدْ[4] بها العَنْقاءَ فهى حبائلٌ * وٱقتدْ بها الجَوْزاء فهى عِنانُ

وقد ٱستشهد علماءُ البديع بكثير من شعره فى أنواع كثيرة ، فمما ذكره الشيخ تقىّ الدين أبو بكر [بن علىّ][6] بن حِجّة[5] فى شرح بديعيته فى نوع « تجاهل العارف » قوله من قصيدة :

أهذى كفُّه أم غَوْثُ غَيْثٍ * ولا بلغ السحابُ ولا كرامَهْ

وهذا بِشْرُه أم لَمْعُ بَرْقٍ * ومَن للبرق فيها بالإقامَهْ

وهذا الجيش أم صَرْفُ الليالى * ولا سبقت حوادثها زِحامَهْ

---

(١) عبارة مرآة الزمان وعقد الجمان « لما تيقن الفاضل استيلاء العادل على القاهرة دعا على نفسه بالموت خوفا من ابن شكر وزير العادل ، فإنه كانت بينه وبينه وحشة » .

(٢) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٧ من الجزء الرابع من هذه الطبعة .

(٣) فى الأصل : « أحرستك » وما أثبتناه عن ابن خلكان . (٤) فى الأصل : « وٱصعد » . وما أثبتناه عن ابن خلكان . (٥) هو الشاعر المشهور صاحب القصيدة البديعة وشرحها وغيرها من المصنفات مات بحماة فى خامس عشرين شعبان سنة ٨٣٧ هـ . كما سيأتى للؤلف فى حوادث السنة المذكورة . (٦) التكملة عما سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٨٣٧ هـ .

وهـــذا الدهر أم عبـــدٌ لديه * يُصَرَّف عن عزيمته زِمامَـــهْ
وهـــذا نصل[(١)] غِمْد أم هـــلالٌ * إذا أمسى كَنُونٍ أم قُلَامَـــهْ
وهـــذا التُّرْبُ أم خـــدٌّ لثمنا * فآثار الشِّفاه عليـــه شامَـــهْ

ومنها وهو غير تجاهل العارف [ولكنه من المُرْقِص والمُطْرِب][(٢)] :

وهـــذا الدرُّ منثورٌ ولكن * أرونى غيرَ أقـــلامى نِظامَـــهْ
وهـــذى روضةٌ تبدى وسطرى * بهـــا غصنٌ وقافيـــتى حَمَامَـــهْ
وهذا الكأسُ رُوِّق من بنانِى * وذكرُك كان من مسك ختامَـــهْ

وذكر أيضا فى «تجاهل العارف» قوله من قصيدة :

أهـــذه سِيَرٌ فى المجـــد أم سُوَرُ * وهـــده أنجمٌ فى السـعد أم غُرَرُ
وأنمـــلٌ أم بحار والسيوف لهـــا * موجٌ وإفـــرندها فى لجّهـــا دُرَرُ
وأنت فى الأرض أم فوق السماء وفى * يمينك البحـــر أم فى وجهك القمرُ

وفيها تُوفِّى علىّ بن نصر بن عَقِيل المعروف بالهُمَام العدادىّ العَبْدىّ الشاعر المشهور، قَدِم الشامَ ومدح الملكَ العادلَ، والملكَ الأمجد صاحب بَعْلَبَكّ . ومن شعره :

وما الناسُ إلا كاملُ الحظّ ناقصٌ * وآخرُ منهم ناقصُ الحظّ كامِلُ
وإنّى لمُـــثرٍ من حَيَاءٍ وعِفّةٍ * وإن لم يكن عندى من المـالِ طائلُ

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هـــذه السنة، قال : وفيها تُوفّى أبو جعفر أحمد ابن علىّ القُرْطُبىّ المقرئ إمام الكلَّاسَـــة . وإسماعيل بن صـــالح بن ياسين بمصر فى ذى الحجّة . وأبو سعيد خليل بن أبى الرجاء الرَّارَانِىّ[(٣)] الصوفىّ فى شهر ربيع الآخر،

(١) فى الأصل . «وهذا نصل» . وما أثبتناه عن معاهد التنصيص شرح شواهد التلخيص .
(٢) الزيادة عن خزانة الأدب لابن حجة .
(٣) الرارانى (برائين مهملتين) : نسبة الى راران، قرية بأصبهان .

وله ست وتسعون سنة . والسلطان علاء الدين خُوَارَزْم شاه تُكُش بن خُوَارَزْم شاه أَرْسلان بن أَتْسِز بن محمد فى رمضان بالخوابيق ، وتملّك بعده ابنه علاء الدين محمد . والقاضى الفاضل أبو علىّ عبد الرحيم بن علىّ [بن محمد][1] بن حسن اللَّخْمِىّ البَيْسانىّ[2] الوزير فى شهر ربيع الآخر، وله سبع وستون سنة . وأبو الحسن عبد اللطيف بن إسماعيل ابن [أبى][3] سعد الصُّوفىّ فى ذى الحجّة بدمشق . وأبو الفرج عبد المنعم بن عبد الوهاب [بن سعد بن صَدَقَة بن الخضر][4] بن كُلَيْب فى شهر ربيع الأول، وله ست وتسعون سنة وشهر . والأثير أبو الفضل[5] محمد بن محمد بن بيان الأنبارىّ ثم المصرىّ الكاتب فى شهر ربيع الآخر . والعلّامة شهاب الدين محمد بن محمود الطُّوسىّ بمصر . وأبو جعفر المبارك بن المبارك بن أحمد بن زُرَيْق الواسطىّ الحَدّاد[6] المقرئ .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم لم يُذكر لقلّته . وكان مبلغ الزيادة فى هذه السنة اثنتى عشرة ذراعا وإحدى وعشرين إصبعا . وشَرِقت الأراضى ، وعمّ البلاء والغلاء الديار المصريّة وأعمالها .

(١) الزيادة عما تقدّم ذكره فى وفيات هذه السنة (٢) نسبة الى بيسان . مدينة بالأردن . وفى الأصل : «النيسابورى» (٣) التكلة عن عقد الجمان وشذرات الذهب والذيل على الروضتين .
(٤) التكلة عن المختصر المحتاج اليه وشذرات الذهب وعقد الجمان (٥) نسبه فى المختصر المحتاج اليه « محمد بن محمد بن محمد بيان الأنبارى ثم المصرى أبو طاهر بن أبى الفضل » وفى شذرات الذهب وفوات الوفيات لابن شاكر : « الأثير محمد بن محمد بن أبى الطاهر بن محمد بن بيان الأنبارى المصرى » . وفى حسن المحاضرة للسيوطى « محمد بن محمد بن أبى الطاهر محمد بن بيان الأنبارى » .
(٦) فى الأصل : « ابن الحداد » . وما أثبتناه عن غاية النهاية والمختصر المحتاج اليه وشذرات الذهب .

ذكر ولاية الملك العادل على مصر

هو السلطان الملك العادل سيف الدين أبو بكر محمد آبن الأمير أبى الشكر نجم الدين أيّوب بن شادى بن مَرْوَان الدُّوِينِيّ التَّكْرِيتِيّ ثم الدمشقىّ . وقد تقدّم ذكر نسبه وأصله فى ترجمة أخيه السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب . وقد ذكرنا أيضا من أحوال العادل هـذا نبذة كبيرة فى ترجمة أخيه صلاح الدين المذكور، وأيضا فى ترجمة أولاده، ثم فى ترجمة حفيده الملك المنصور محمد آبن الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف، الذى خلعه العادل هذا وتسلطن مكانه فى العشرين من شوّال سـنة ستّ وتسعين وخمسمائة . وقد تقدّم ذلك كلّه فى ترجمة المنصور محمد المخلوع عن السلطنة . ولا بدّ من ذكر شىء من أحوال العادل هنا على حِدته، وإيراد قطعة جيّدة من أقوال الناس فى ترجمته — إن شاء الله تعالى — .

قال الحافظ أبو عبـد الله شمس الدين محمد الذهبىّ فى تاريخه : « وُلِد ببعلبكّ فى سنة أربع وثلاثين[1] ، وأبوه نائب عليها للأتابك زنكى والد نور الدين محمود، وهو أصغر من أخيه صلاح الدين بسنتين[2] ، وقيل : وُلِد فى سنة ثمانٍ وثلاثين ؛ وقيل : وُلِد فى أوائل سـنة أربعين . قال أبو شامة : تُوفّى الملك العـادل سيف الدين أبو بكر محمـد ، وهو بكنيته أشهر . ومولده ببعلبكّ، وعاش ستّا وسبعين سنة . ونشأ فى خدمة نور الدين مع أبيه وإخوته، [وحضر[3] مع أخيه صلاح الدين فتوحاته وقام أحسن قيام فى الهـدنة مع الأنكلتير ملك الفرنج بعـد أخذهم عكّا] ، وكان

(١) هـذه رواية الذهبى . وفى عقد الجمان ومرآة الزمان : « سئل عن مولده فقال : فتوح الرها يعنى سنة تسع وثلاثين وخمسمائة » . (٢) هذه الرواية وما بعدها ذكرهما ابن خلكان أيضا فى ترجمة العادل . (٣) زيادة عن تاريخ الإسلام للذهبى .

صلاح الدين يعوّل عليه كثيرا، واستنابه بمصر مدّة، ثم أعطاه حلب، ثم أخذها منه وأعطاها لولده الظاهر، وأعطاه الكَرَك عوضها ، ثم حرّان» . انتهى كلام الذهبيّ .

وقال الشيخ شمس الدين أحمد بن خلّكان — رحمه الله — في وفيات الأعيان : «كان الملك العادل قد وَصَل إلى مصر صحبة أخيه وعمّه أسد الدين شِيرِكُوه المقدّم ذكره . وكان يقول : لمّا عزمنا على المسير إلى مصر احتجتُ إلى جِرْمِدان(1) فطلبتُه من والدي فأعطاني، وقال يا أبا بكر : إذا ملكتم مصر أعطوني مِلأَهُ ذهباً . فلمّا جاء إلى مصر، قال يا أبا بكر : [أين](2) الجِرْمِدان؟ فَرُحْتُ وملأتُه له من الدراهم السُّود ، وجعلت على أعلاها شيئًا من الذهب وأحضرتُه إليه ، فلمّا رآه اعتقده ذهبًا ، فقلبه فظهرت الفضّة السوداء، فقال يا أبا بكر : تعلّمتَ زَغَلَ المصريّين !

قال : ولمّا ملك السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب مصر كان ينوب عنه في حال غَيْبته بالشام، ويستدعي منه الأموال للإنفاق في الجند وغيرهم . قال : ورأيت في بعض رسائل القاضي الفاضل أنّ الحُمُول تأخّرت مدّة فتقدّم السلطان صلاح الدين إلى العِماد الأصبهانيّ أن يكتب إلى أخيه العادل يستحثّه على إنفادها حتّى قال : يسير [لنا](2) الحِمْل من مالنا أو من ماله ! فلمّا وصل الكتاب إليه ، ووقف على هذا الفصل شقّ عليه، وكتب إلى القاضي الفاضل يشكو من السلطان لأجل ذلك . فكتب القاضي الفاضل جوابه ، وفي جملته . «وأمّا ما ذكره المولى من قوله : يسير لنا الحمل من مالنا أو من ماله ، فتلك لفظة ما المقصود منها من الملك النُّجْعَة، وإنّما المقصود من الكاتب السَّجْعَة. وكم من لفظةٍ فَظّة، وكلمة فيها غِلْظة، جبّرت عِيّ الأقلام، فسدّت خلل الكلام . وعلى المملوك الضمان في هذه

(1) الجرمدان كلمة فارسية مركبة من كلمتين « جرم » ومعناه الجلد، و « دان » ومعناه الظرف . والمراد بها كيس من الجلد . (2) زيادة عن ابن خلكان .

النُّكتة، وقد مات لسان القلم منها أيَّ سكتة» . قال : ولمّا ملك السلطان (يعنى صلاح الدين) مدينة حلب فى صفر سنة تسع وسبعين وخمسمائة كما تقدّم ذكره، [أعطاها[1] لولده الملك الظاهر غازى ثم أخذها منه و] أعطاها للملك العادل فانتقل إليها [وقصد[1] قلعتها يوم الجمعة الثانى والعشرين] من شهر رمضان من السنة المذكورة؛ ثم نزل عنها للملك الظاهر غازى ابن السلطان صلاح الدين، ثم أعطاه السلطان قلعة الكَرَك، وتنقّل فى الممالك فى حياة السلطان صلاح الدين وبعد وفاته . وقضاياه مشهورة مع الملك الأفضل والملك العزيز والملك المنصور فلا حاجة إلى الإطالة فى شرحها. وآخر الأمر أنّه استقلّ بمملكة الديار المصريّة. وكان دخوله إلى القاهرة لثلاثَ عشرةَ ليلة خلت[2] من شهر ربيع الآخر سنة ست وتسعين وخمسمائة، واستقرّت له القواعد . وقال أبو البركات بن المُسْتَوْفِى فى تاريخ إرْبِل فى ترجمة ضِيَاء الدين أبى الفتح نصر الله المعروف بابن الأثير [الوزير][3] الجَزَرِىّ ما مثاله — ووجدت بخطّه — . خُطِب للملك العادل أبى بكر بن أيّوب بالقاهرة ومصر يوم الجمعة الحادى والعشرين من شوّال سنة ست وتسعين وخمسمائة، وخُطِب له بحلب يوم الجمعة حادى عشر جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين وخمسمائة — والله أعلم بالصواب — هذا ما ذكره ابن خلكان وهو خلاف ما ذكرناه من أنّه خُطِب له[4] فى عاشر شهر رمضان من السنة، ويمكن الجمع بين القولين، لأنّا قلنا فى شهر رمضان تخمينًا، لأنّ الاتّفاق كان فى شهر رمضان، ولعلّ الخطبة كانت فى شوّال — انتهى . قال «وملك مع ذلك البلاد الشاميّة والمشرقيّة، وصفت له الدنيا، ثم ملك بلاد اليمن فى سنة اثنتى عشرة وستمائة [و][5] سيّر إليها ولدَ ولده الملك المسعود صلاح الدين

(1) التكملة عن ابن خلكان (2) فى ابن خلكان «بقيت» .
(3) زيادة عن ابن خلكان . (4) يلاحظ أن المؤلف لم يذكر فى ترجمة العادل شيئا من ذلك . (5) زيادة عن ابن خلكان .

أبا المظفر يوسف آبن الملك الكامل محمد الآتى ذكره . وكان ولده الملك الأوحد
نجم الدين أيوب ينوب عنه فى ميّافارقين وتلك النواحى، فاستولى على مدينة خِلَاط[(1)]
و[بلاد] أَرْمِينِيَة[(2)]، وآتّسعت مملكته، وذلك فى سنة أربع وستمائة .

ولمّا تمهدت له البلاد قسمها بين أولاده، فأعطى الملك الكامل محمدًا الديار
المصريّة، وأعطى الملك المعظّم عيسى البلاد الشاميّة، وأعطى الملك الأشرف موسى ‏ ٥
البلاد الشرقية، والأوحد فى المواضع التى ذكرناها . وكانَ ملكا عظيماً ذا رأى ومعرفة
تامّة قد حنّكته التجارب، حسنَ السِّيرة جميلَ الطويّة وافرَ العقل، حازما فى الأمور
صالحا محافظًا على الصلوات فى أوقاتها، متبِّعًا لأرباب السُّنّة مائلاً إلى العلماء .
صنّف له فخر الدين الرازى[(3)] «كتاب تأسيس التقديس»، وذكر آسمه فى خطبته،
وسيّره إليه من بلاد خُراسان . وبالجملة فإنّه كان رجلًا مسعودًا، ومن سعادته أنّه كان ‏ ١٠
خلّف أولادا لم يخلّف أحد من الملوك أمثالهم، فى نجابتهم [وبسالتهم][(2)] ومعرفتهم
وعلوّ همّتهم، ودان لهم العِبادُ وملكوا البلاد . ولمّا مدحه آبن عُنَيْن[(4)] بقصيدته الرائيّة
ذكر منها فى مديح أولاده المذكورين، فقال :

وله البنون بكلّ أرضٍ منهمُ ‏ * ‏ مَلِكٌ يقود إلى الأعادى عَسْكَرَا
من كلّ وَضّاحِ الجَبين تَخَالُهُ ‏ * ‏ بَدْرا وإن شهِد الوَغَى فغَضَنْفَرا ‏ ١٥

(1) فى الأصل : «واستناب على مدينة خلاط» . وما أثبتناه عن ابن خلكان .
(2) زيادة عن ابن خلكان . (3) هو الإمام فخر الدين أبو عبد محمد بن عمر بن الحسين
الرازى، أفضل المتأخرين، وسيد الحكماء المحدثين، قد شاعت سيادته وانتشرت فى الآفاق مصنفاته
وتلامذته . وسيذكر المؤلف وفاته سنة ٦٠٦ هـ . (4) هو أبو المحاسن محمد بن نصر الدين بن
نصر بن الحسين بن عنين الأنصارى الملقب شرف الدين الكوفى الأصل الدمشقى المولد الشاعر المشهور كان ‏ ٢٠
خاتمة الشعراء، لم يأت بعده مثله، ولا كان فى أواخر عصره من يقاس به، ولم يكن شعره مع جودته
مقصورا على أسلوب واحد بل افتن فيه، وكان غزير المادة من الأدب مطلعا على معظم أشعار العرب .
توفى سنة ٦٣٠ هـ . (راجع ترجمته فى ابن خلكان ج ٢ ص ٣٦) .

متقـدّمٌ حتّى إذا النَّقْعُ انجلى * بالبيض عن سَبْيِ الحَريم تأخّرا
قوم زكَوْا أصلًا وطابوا مَحْتِدًا * وتدفّقوا جُودًا وراقوا منظرا

قال ومن جملة هذه القصيدة فى مدح الملك العادل هذا قولُه، ولقد أحسن فيها ،

[العادلُ المَلِكُ الذى أسماؤه * فى كلّ ناحيـةٍ تُشرِّف مِنْبَرَا] (١)
وبكلّ أرضٍ جنّةٌ من عدله الصّـ * ـافى أسَال [نداه] (١) فيها كَوْثَرَا
عَدْلٌ يَبيت الذئبُ منه على الطَّوَى * غَرْثان وهو يَرَى الغزالَ الأَعْفَرَا
ما فى أبى بكرٍ لِمُعْتَقِد الهدى * شكٌّ مُرِيبٌ أنّه خيرُ الوَرَى
سيفٌ صِقَالُ المَتْنِ أُخْلِص متنُه * وأبان طِيبُ الأصل منه الجَوْهَرَا
ما مَدْحُه بالمستعار له ولا * آياتُ سُؤْدُدِه حديثٌ يُفْتَرَى
بين الملوك الغابرين وبينه * فى الفضل ما بين الثُّرَيّا والثَّرَى
نسختْ خلائقُه الحميدةُ ما أتى * فى الكُتْبِ عن كِسْرى الملوك وقَيْصَرا (٢)
مَلِك إذا خفّت حلومُ ذوى النُّهَى * فى الرَّوْعِ زاد رصانةً وتوقُّرا
ثَبْتُ الجَنَان تُرَاع من وَثَباته * وثَباتِه يوم الوغى أُسْدُ الشَّرَى
يَقِظٌ يكاد يقول عمّا فى غدٍ * بَدَهِيّةً أغنته أن يتفكّرا
حِلْمٌ تَخِفّ له الحلومُ وراءه * رأىٌ وعَزْمٌ يَحْقِرُ الإسكندرا
يعفو عن الذنب العظيم تكرُّمًا * ويَصُدّ عن قيل الخَنَا مُتَكَبِّرَا
لا تسمعنّ حديثَ مَلْكٍ غيرِه * يُرْوَى فكلّ الصَّيْد فى جَوْف الفَرَا

قال ولمّا قسم البلاد بين أولاده كان يتردّد بينهم، ويتنقّل من مملكة إلى أخرى، وكان يَصِيف بالشام لأجل الفواكه والمياه الباردة، ويُشَتّى بالديار المصريّة لاعتدال

(١) زيادة عن ابن خلكان .
(٢) فى الأصل : «عن كسرى الملوك القيصرا» . وما أثبتناه عن ابن خلكان وتاريخ ابن الوردى .

الوقت فيها وقلّة البرودة ؛ وعاش فى أرغد عيش . وكان يأكل كثيراً خارجاً عن المعتاد ، حتّى يقال إنّه كان يأكل وحده خَرُوفا لطيفاً مشويّاً ، وكان له فى النكاح نصيبٌ وافر . وحاصل الأمر أنه كان مُمَتَّعاً فى دنياه . وكانت ولادته بدمَشق فى المحرّم سنة أربعين ، وقيل : ثمانٍ وثلاثين وخمسمائة .

قلت : وافق الذهبيّ فى مولده فى السنة ، مع خلاف ذكره الذهبيّ فيه ، وخالفه فى المكان الذى وُلِد فيه ، فإنّ الذهبيّ قال : كانت ولادته ببعلبكّ كما تقدّم ذكره . قال : وتُوُفّى فى سابع جُمَادَى الآخرة سنة خمس عشرة وستّمائة بعَالِقِين . ونُقل إلى دِمَشق ، ودُفِن بالقلعة ثانى يوم وفاته ، ثمّ نُقِل إلى مدرسته المعروفة به ، ودفن بالتُّربة التى بها ، [وقبره][١] على الطريق يراه المجتاز من الشُّبّاك المركّب هناك . وعَالِقِين (بفتح العين المهملة وبعد الألف لام مكسورة وقاف مكسورة أيضا وياء مثناة من تحتها ساكنة وبعدها نون) وهى قرية بظاهر دمشق » . انتهى كلام ابن خلّكان ــ رحمه الله تعالى ــ بتمامه .

وقال غيره : ولمّا افتتح ولدُه الكاملُ إقليمَ أَرْمِينيَةَ فَرِح العادل فرحاً شديداً ، وسيّر أستاداره [شمس الدين][١] إيلدكز وقاضى العسكر نجم الدين خليل إلى الخليفة يطلب التقليدَ بمصر والشام وخِلَاط وبلاد الجزيرة ، فأكرمهما الخليفة وأرسل إليه الشيخ شهاب الدين أبا حَفْص عمر بن محمد السُّهْرَوَرْدِىّ بالتشريف ، ومرّ بحَلَب ووعَظ بها ؛ واحترمه الطاهر غازى صاحب حلب ، وبعث معه بَهاءَ الدّين ابن شَدّاد بثلاثة آلاف دينار لينثرَها على عمّه العادل ، إذا لَبِس خِلْعَةَ الخليفة . ولمّا وصل السُّهْرَوَرْدِىّ إلى دِمَشق[٢] فَرِح العادل وتلقّاه من القُصَيْر[٣] ، وكان يوماً مشهوداً ،

(١) زيادة عن عقد الجمان . (٢) فى الأصل «إلى مصر» . والتصويب عن عقد الجمان .
(٣) القصير : ضيعة أول منزل لمن يريد حمص من دمشق .

ثم من الغد أفيضت عليه الخلعُ؛ وهى : جُبّةٌ سوداء بطراز ذهب، وعمامةٌ سوداء بطراز ذهب، وطوق ذهب فيه جوهر، وقُلّد سيفًا محلًّى جميع قِرابه بالذهب، وحصانٌ أشهبُ بمَرْكَب ذهب، وعَلَمٌ أسود مكتوب فيه بالبياض ألقابُ الناصر لدين الله . ثم خلع السُّهْرَوَرْدِى على ولدَى العادل : المعظّم عيسى والأشرف موسى ،

٥ لكلّ واحد عمامةً سوداء، وثوبًا أسود واسع الكُمّ ؛ وخلع على الصاحب ابن شكر كذلك . ونثر الذهبُ على رأس العادل من رُسل صاحب حلب وحَماة وحِمْص وغيرهم . وركب الأربعةُ (أعنى العادل وولديه وابن شكر الوزير) بالخِلَع، ثم عادوا إلى القلعة؛ وقرأ ابنُ شكر التقليدَ على كرسىّ، وخُوطب العادل : بشاهِنْشاه[(1)] ملك الملوك خليل أمير المؤمنين . ثم قَدِم السُّهْرَوَرْدِىّ إلى مصر وخلع على الملك الكامل بن العادل .

١٠ وهو يومَ ذاك صاحبُ مصر نيابةً عن أبيه العادل كما تقدّم ذكره .

وقال الموفّق عبد اللّطيف[(2)] فى سيرة الملك العادل « كان أصغرَ الإخوة وأطولَهم عمرًا وأعمقهم فِكرًا وأنظرهم فى العواقب وأشدّهم إمساكًا وأحبّهم للدرهم ؛ وكان فيه حِلْمٌ[(3)] وأناةٌ وصبرٌ على الشدائد، وكان سعيدَ الجدّ عالىَ الكعب مظفّرًا بالأعداء من قِبَل السماء، وكان نَهِمًا أَكُولًا يحبّ الطعام واختلاف ألوانه، وكان أكثر أكله

١٥ بالليل كالخيل، وله عند ما ينام رضيعٌ، ويأكل رِطلا بالدّمشقى خَبيصَ السُّكّر، يجعل هذا كالجَوَارِش[(4)]، وكان كثير الصلاة ويصوم الخميس، وله صدقات فى كثير من الأوقات، وخاصّة عندما تنزل به الآفات، وكان كريمًا على الطعام يحب مَن يؤاكله، وكان قليلَ الأمراض . قال لى طبيبه بمصر إنّى آكُلُ خيرَ هذا السلطان

(١) فى الأصل «شاه أرمن» . وما أثبتناه عن عقد الجمان . (٢) هو موفق الدين عبد اللطيف ابن يوسف بن محمد بن على بن سعد البغدادى المعروف بابن اللباد وسيذكر المؤلف وفاته سنة ٦٢٩ هـ . (٣) فى الأصل . «وكان فيه علم وأناة» . وما أثبتناه عن تاريخ الاسلام للذهبى . (٤) الجوارش نوع من الحلوى ، معرب (عن أقرب الموارد) .

سنين كثيرة ولم يحتج إلى سوى يوم واحد ، أُحضر إليه من البطيخ أربعون حملا فكسر الجميع بيده، وبالغ في الأكل منه ومن الفواكه والأطعمة، فعرض له تُخمة فأصبح ، فأشرتُ عليه بشرب الماء الحار، وأن يركب طويلا ففعل ، وآخر النهار تعشّى وعاد إلى صحته . وكان نكّاحا يُكثر من اقتناء السّراري ، وكان غيورا لا يدخل في داره خصيّ إلّا دون البلوغ ، وكان يُحبّ أن يطبخ لنفسه مع أنّ في كلّ دارٍ من دور حظاياه مطبخًا [دائرًا][1] ، وكان عفيف الفرج لا يُعرف له نظرٌ إلى غير حلائله . نجُبَ له أولاد من الذكور والإناث، سلطن الذكور وزوّج البنات بملوك الأطراف .

وكان العادل قد أوقع الله تعالى بغضته في قلوب رعاياه ، والمخامرةَ عليه في قلوب جنده ، وعملوا في قتله أصنافا من الحيَل الدقيقة مرّاتٍ كثيرة ، وعند ما يقال إنّ الحيلة تمّت تنفسخ وتنكشف وتُحسَم موادّها ، ولولا أولاده يتولّون بلاده لمَا تمّت مُلْكُه ؛ بخلاف أخيه صلاح الدين فإنه إنّما حفظ ملكه بالمحبّة له[2] وحسن الطاعة ، ولم يكن — رحمه الله — بالمنزلة المكروهة ، وإنما كان الناس قد ألِفوا دولة صلاح الدين وأولاده ، فتغيّرت عليهم العادة دفعةً واحدة . ثم إنّ وزيره ابن شُكر بالغ في الظّلم . قال . وكان العادل يُواظب على خدمة أخيه صلاح الدين ، يكون أوّل داخل وآخرَ خارج ، وبهذا جلبه ، وكان يُشاوره في أمور الدولة ، لمَا جرّب من نفوذ رأيه . ولمّا تسلطن الأفضل بدمشق والعزيز بمصر قصد العزيز دمشق ، ووقع له ما حكيناه إلى أن ملكها . قال : ثم أخذ العادل يُدبّر الحيلة حتى يستنيبه[3] العزيزُ على مصر، ويُقيمَ العزيزُ بدمشق، ففطن بعض أصحاب العزيز فرمى قلنسوتَا

(١) الزيادة عن تاريخ الاسلام

(٢) في الأصل « إنما حفظ ملكه إلا بالمحبة » . والتصويب عن تاريخ الاسلام للذهبي

(٣) في الأصل «حتى استنابه» وما أثبتناه عن تاريخ الاسلام للذهبي .

بين يديه ، وقال : ألم يكفك أنك أعطيتَه دمشق حتّى تُعطيَه مصرا! فنهَضَ العزيز لوقته على غِرّة ولَحِق بمصر.

قال المُوَفّق : ومات الملك الظاهر غازى قبله بسنتين فلم يَتَهَنّ العادل بالملك من بعده ، وكان كلّ واحد منهما ينتظر موتَ الآخر ، فلم يَصْفُ للعادل العيشُ بعد

٥ موته ، لأمراض لَزِمتْه بعد طول الصّحّة ، والخوف من الفرنج بعد طول الأمن . وخرجوا (يعنى الفرنج) إلى عكّا وتجمّعوا على الغَوْر[1] ، فنزل العادل قُبالَتَهم على بَيْسان[2] ، وخُيِّل عليه أن ينزل على عَقَبة أُفِيق[3] ، وكانوا قد هدموا قلعة كَوْكَب ، وكانت ظهرَهم ، ولم يقبل من الجَوَاسيس ما أخبروه بما عزم عليه الفرنج من الغارة ، فاغترّ بما عوّدتْه المقادير من طول السلامة ، فغَشِيت الفرنج عسكره على غِرّة ، وكان قد آوى إليه

١٠ خَلْقٌ من البلاد يَعتصمون به ، فركِب مُجِدًّا ، وساح الفرنج فى أثره حتّى وصل دمشق على شَفًا وهَمٍّ ، فدخل إليها فمنعه المعتمد وشجّعه ، وقال له المصلحة أن تُقيم بظاهر دمشق . وأمّا الفرنج فآعتقدوا أنّ هزيمته مَكِيدة فرجعوا من قُرب دِمشق بعد ما عاثوا فى البلاد قَتْلًا وأَسْرًا وعادوا إلى بلادهم ، وقصدوا دِمياط فى البحر فنازلوها .

وكان قد عَرَضَ له[4] قبل ذلك ضعفٌ وصار يعتريه وَرَمُ الأُنْثَيَيْن . فلمّا هزّته

١٥ الحِيَل على خلاف العادة ودخله الرُّعب ، لم يبق إلّا مدّةً يسيرةً ومات بظاهر دمشق . وكان مع حِرْصه يَهُون المال عند الشدائد غايةَ الإهانة ببذله . وشرع فى بناء قلعة

(١) الغور يريد غور الأردن بالشام ، بين بيت المقدس ودمشق ، وهو منخفض عن أرض دمشق وأرض البيت المقدس ، ولذلك سمى الغور ، طوله مسيرة ثلاثة أيام وعرضه نحو يوم فى نهر الأردن وبلاد وقرى كثيرة وعلى طرفه طبرية وبحيرتها (عن معجم البلدان لياقوت) . (٢) بيسان مدينة بالأردن

٢٠ بالغور الشامى ، ويقال هى لسان الأرض ، وهى بين حوران وفلسطين . (عن معجم البلدان لياقوت) .

(٣) أفيق قرية من حوران فى طريق الغور فى أول العقبة المعروفة بعقبة أفيق « والعامة تقول فيق » تنزل فى هذه العقبة الى الغور وهو الأردن ، وهى عقبة طويلة نحو ميلين (عن معجم البلدان لياقوت) .

(٤) كذا فى الأصل وتاريخ الاسلام للذهبى ولعله « أعيته » .

دمشق فقسم أرضها على أمرائه وأولاده، وكان الحفّارون يحفرون الخندق ويقطعون الحجارة، فخرج من تحته حَرَزَةُ نثر فيها ماءٌ مَعين . قال : ودعا مرة فقال : اللّهمّ حاسبني حسابًا يسيرًا، فقال له رجلٌ ماجنٌ من خواصّه : يا مولانا، إنّ الله قد يسّر حسابك، قال : ويلك ! وكيف ذلك؟ قال : إذا حاسبك قل له . المالُ كلُّه في قلعة جَعْبَر لم أُفرِّط فيه في قليل ولا كثير . وكانت خزائنه بالكَرَك ثمّ نقلها إلى قلعة جَعْبَر وبها ولده الملك الحافظ، فسوّل له بعضُ أصحابه الطمعَ فيها ، فأتاها الملك العادل ونَقَل ما فيها إلى قلعة دمشق، فحصلَتْ في قبضة ولده الملك المعظّم عيسى ، فلم يبارعه فيها إخوته ، وقيل : إنّ الذى سوّل للحافظ الطَمَع والعِصيانَ هو المعظّم ففعل ذلك الحافظ، وكانت مَكيدةً من المعظّم حتّى رجع إليه المال» . انتهى كلام الموفّق باختصار .

وقال أبو المظفّر شمس الدين يوسف بن قِزْأُوغْلِي في تاريخه : « سألته عن مولده فقال : فتوح الرُّهَا (يعني سنة تسع وثلاثين وخمسمائة) — وهذا نَقْلٌ آخر في مولده — قال : وقد ذكرنا أحواله(١) في السنين إلى أن آستقرّ له الملك وآمتدّ من بلاد الكُرْج(٢) إلى هَمَذَان والجزيرة والشام ومصر والحجاز ومكّة والمدينة واليمن إلى حَضْرَمَوت ، وكان ثَبْتًا حليقًا بالمُلْك حسن التدبير(٣) ، حليما صَفُوحا مدبّرًا للملك على وجه الرضا ، عادلا مجاهدا ديّنا عفيفا متصدّقا ، آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر، طهّر جميع ولاياته من الخمور والخواطئ والقِمار والمكوس والمظالم . وكان الحاصل من هذه الجهات بدمشق على الخصوص مائةَ ألف دينار، فأبطل الجميع لله تعالى .

(١) عبارة مرآة الزمان : « وقد ذكرنا أحواله مع أخيه صلاح الدين في إعطائه إياه مصر ثم حلب ثم الشرق والكرك والشوبك وما يتعلق بذلك وما جرى بينه وبين أولاده في ممر السنين إلى أن آستقرله الملك الخ » . (٢) كذا في مرآة الزمان . وفي تاريخ الاسلام : « من بلاد الكرج » بالجيم . والأصل غير واضح . (٣) في الأصل هنا كلمتان غامضتان لم نتبينهما .

وكان واليه على دمشق المُبَارز والمعتمد، أعانه المبارز على ذلك، أقام رجالا على عِقَاب قاسيون[2] وجبل الثَّلْج وحوالى دمشق بالخَامَكِيَّة[3] والجراية يَحْرُسُون أحدًا يدخل دمشق بمُنْكَر. بلغنى أنّ بعض المغانى دخلت على العادل فى عُرْس فقال لها: أين كنتِ؟ فقالت: ما قـدرت أجىءُ حتّى وفيتُ ما علىّ للضامن. فقال وأىّ ضامن؟ قالت ضامن القِيَان، فقامت عليه القيامة، وطلب المعتمد [وعمِل به[4] ما لا يليق]، وقال: والله لئن عاد بلغنى مثل هذا لأفعلنّ ولأصنعنّ.

ولقـد فعل العادل فى غلاء مصر عَقِيبَ موت العزيز ما لم يفعـله غيرُه، كان يخرج فى الليل بنفســه ويُفرِّق الأموال فى ذوى البيوتات والمساكين، وكفّن تلك الأيام من ماله ثلثمائة ألف من الغُرَباء، وكان إذا مَرِض أو تشوّش مِزاجُه خلع جميع ما عليه وباعه حتى فرسَـه وتصدّق به.

قال أبو المظفّر. وقد ذكرنا وصول شيخ الشيوخ إليه بمرج بُرْج دِمْياط[5]، وأنّه ارتجع وأقام مريضًا إلى يوم الجمعـة سابع أوثامن جُمَـادى الآخرة وتوفّى بعالِقِين. وكان المعظّم قد كَسَر الفرنج على القَيْمُون[6] يوم الخميس خامس جُمَادى الآخرة، وقيل يوم الأربعاء. ولمّـا تُوفّى العادل لم يعلم بموته غيرُ كَرِيم الدِّين الخِـلاطِىّ، فأرسل الطير إلى نَابُلُس إلى المعظم، فجاء يوم السبت إلى عَالِقِين فاحتاط على الخزائن،

(١) كذا فى الأصل وتاريخ الاسلام. وفى مرآة الزمان وعقـد الجمان «وكان واليه على دمشق المبارز المعتمد». (٢) قاسيون: الجبل المشرف على مدينة دمشق (عن معجم البلدان لياقوت).

(٣) الخامكية: أصحاب المرتبات والمشاهرات. (عن القاموس الفارسى والإنجليزى).

(٤) زيادة عن مرآة الزمان. (٥) برج دمياط (برج السلسلة). قال أبو شامة: وهذا البرج كان قفل الديار المصرية، وهو برج عال فى وسط النيل ودمياط بحذائه من شرقيه، والجزيرة بحذائه من غربيه، وفى ناحيته سلسلتان تمدّ إحداهما على النيـل الى دمياط، والأخرى على النيل الى الجزيرة تمنعان عبور المراكب من البحر المالح (عن تاريخ الخلفاء لجلال الدين السيوطى ص ١٨٣ طبع مصر).

(٦) القيمون: حصن قرب الرملة من أعمال فلسطين (عن معجم البلدان لياقوت).

وصبّر العادل وجعله فى مِحَفّة وعنده خادم يُرَوِّح عليه وقد رَفع طَرَف سجافها وأظهر أنّه مريض، ودخلوا به دمشق يوم الأحد والناس يُسلّمون على الخادم، وهو يُومئ إلى ناحيــة العادل ويُرَدّ السلام؛ ودخلوا به القلعــة وكتموا موته؛ و[من العجائب أنهم] طلبوا له كفنا فلم يقدروا عليه، فأخذوا عِمَامة الفقيه ٱبن فارس فكفّنوه بها، وأخرجوا قطنا من مِخدّة فلفّوه به، وصَلّى عليه [وزيره] ٱبن فارس ودفنوه فى القلعة. ٥

(١) ... (٢)

قال أبو المظفّر : وكنت قاعدًا إلى جانب المعظّم عند باب الدار التى فيها الإيوان وهو واجمٌ ولم أعلم بحاله؛ فلمّا دُفِن أبوه قام قائمًا وشقّ ثيابه ولطم رأسه ووجهه، وكان يومًا عظيمًا، وعَمِل له العــزاء ثلاثة أيام بالإيوان الشمالى، وعُمِــل له العــزاء فى الدنيا كلّها، ونُودى ببغداد من أراد الصــلاة على الملك العادل الغازى المجاهــد فى ســبيل الله فليحضر إلى جامع القصر، فحضر الناس ولم يتخلّف سوى الخليفة، ١٠ وصلّوا عليه صــلاة الغائب وترحّموا عليه، وتقدّموا إلى خطباء الجوامع بأسرهم، ففعلوا ذلك بعد صــلاة الجمعة . وبقى العادل بالقلعة إلى سنة تسع عشرة وستمائة، [ثم] نُقِل إلى تربته التى أنشأها عند دار العَقِيقِىّ[٣] ومدرسته .

— قلت لا أعلم ما كان السبب فى عدم وجود الكَفَن القطن للملك العادل مع همّة ولده الملك المعظّم عيسى وأخذه من عَالِقين ميتا فى مِحَفّة ولم يَفْطُن به أحد. ١٥ وهذا أعظم وأكثر كُلفةً وأصعب من شراء ثوب بَعْلَبَكّىّ، وما يحتاج إليه الميت من الحَنُوط والقطن وغيره فلعلّ لهـا[٤] عذرًا وأنت تلوم — .

(١) زيادة عن مرآة الزمان وعقد الجمان . (٢) زيادة عن عقد الجمان .
(٣) العقيقى، هو أحمد بن الحسين بن أحمد بن على بن محمد العلوى الدمشقى ويعرف بالعقيقى . تقدّمت وفاته سنة ٣٧٧ هـ . (٤) فى العقــد الفريد لابن عبد ربه (ج ١ ص ٣٢٥ طبع بلاق فى كتاب الجوهرة فى الأمثال) «لعل له عذرا وأنت تلوم» . ٢٠

قال • وكان له عِدّة أولاد : منهم شمس الدين مَوْدُود (١) والد الملك الجَوّاد [يونس] (٢) • والكامل محمد (٣) • والأشرف موسى (٤) • والمعظّم عيسى (٥) • والأوحد أيّوب (٦) • والفائز إبراهيم (٧) [ويلقب بسابق الدين] • وشهاب الدّين غازى (٨) • والعزيز عثمان (٩) • والأمجد حسن (١٠) • والحافظ أَرْسلان (١١) • والصالح إسماعيل (١٢) • والمغيث عمر (١٣) • ومُجير الدين يعقوب (١٤) • وتقيّ الدين عبّاس (١٥) • وقُطْب الدين أحمد (١٦) • والقاهر إسحاق (١٧) • وخليل (١٨) أصغرهم (١٩) •

(١) توفى فى حياة أبيه (عن تاريخ الدول والملوك لابن الفرات) • (نسخة مأخوذة بالتصوير الشمسى محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٩١٩٧ تاريخ) • (٢) زيادة عن تاريخ الدول والملوك ومرآة الزمان • (٣) هو السلطان الكامل ناصر الدين محمد صاحب الديار المصرية وصاحب الخطبة والسكة فى جميع البلاد الأيوبية (عن تاريخ الدول والملوك وعقد الجمان) (٤) هو الملك الأشرف مظفر الدين موسى صاحب الشرق وبلاد خلاط بعد أخيه الملك الأوحد • (عن تاريخ الدول والملوك وعقد الجمان) (٥) هو الملك المعظم شرف الدين عيسى صاحب دمشق وأعمالها (عن عقد الجمان)

(٦) هو الأوحد نجم الدين أيوب صاحب خلاط • توفى فى حياة أبيه (عن تاريخ الدول والملوك وعقد الجمان) (٧) الزيادة عن عقد الجمان (٨) هو الملك المظفر شهاب الدين غازى صاحب ميافارقين (عن تاريخ الدول والملوك وعقد الجمان) • (٩) هو الملك العزيز عماد الدين عثمان، كان بيده بانياس وعدّة مواضع مما كان بيد الأمير فخر الدين جهاركس (عن تاريخ الدول وعقد الجمان) •

(١٠) هو الملك الأمجد مجد الدين حسن • توفى فى حياة والده، ودفن بالقدس الشريف فى مدرسة بنيت له (عن تاريخ الدول والملوك وعقد الجمان) (١١) هو الملك الحافظ نور الدين على أرسلان شاه صاحب قلعة جعبر (عن تاريخ الدول والملوك وعقد الجمان) (١٢) هو الملك الصالح عماد الدين إسماعيل، وكانت له من أبيه بصرى وملك بعد ذلك دمشق (عن تاريخ الدول والملوك) (١٣) هو الملك المغيث عمر، توفى فى حياة أبيه وخلف ولدا صغيرا وهو الملك المغيث شهاب الدين محمود (عن تاريخ الدول والملوك) • وقد عدّ المؤلف المغيث شهاب الدين محمودا من أولاد الملك العادل وهو خطأ •

(١٤) فى الأصل • «فخر الدين» • والتصويب عن عقد الجمان ومرآة الزمان وتاريخ الدول والملوك •

(١٥) هو الملك الأمجد تقى الدين عباس وهو أصغرهم • مولده سنة ٦٠٣ هـ، وهو آخرهم موتا، توفى فى دمشق سنة ٦٦٩ هـ، فى سلطنة الملك الظاهر ركن الدين بيبرس (عن تاريخ الدول والملوك) •

(١٦) هو الملك المفضل قطب الدين أحمد، توفى بمصر فى أيام الملك الكامل (عن تاريخ الدول والملوك) • (١٧) فى عقد الجمان أنه يلقب بهاء الدين واسمه الخضر • (١٨) هو الملك الناصر صلاح الدين خليل (عن عقد الجمان) • (١٩) راجع الحاشية رقم ١٥ من هذه الصفحة •

وكان له عِدّة سات أفضلهنّ صَفِيّة حاتون[1] صاحبة حلب أم الملك العزيز» . اِنتهت ترجمة الملك العادل — رحمه الله تعالى — .

ولمّا مات العادل ٱستقرّ كلّ واحد من أولاده فى مملكته، فإنه كان قسم ممالكه فى أولاده حسب ما تقـدّم ذكر ذلك كلّه فى صدر هذه الترجمة، فالذى كان بمصر الملك الكامل محمد، وبالشام المعظّم عيسى، وبالشرق الأشرف شاه أرمن، وباقى أولاده كلّ واحد فى مملكة، أو فى خدمة أخ من إخوته . اِنتهى .

* * *

السـنة الأولى من ولاية الملك العادل أبى بكر بن أيّوب على مصر، وهى سنة سبع وتسعين وخمسمائة .

فيها كان هبوط النيل، ولم يُعهد ذلك فى الإسـلام إلّا مرّة واحدة فى دولة الفاطميّين، ولم يبق منه إلّا شىء يسير، وٱشتدّ الغلاء والوباء بمصر، فهرب الناس إلى المغرب والحجاز واليمن والشام وتفرّقوا وتمزّقوا كلّ ممزّق .

قال أبو المظفّر : «كان الرجل يذبح ولده الصـغير وتساعده أمّه على طبخه وشيّه، وأحرق السـلطان جماعة فعلوا ذلك ولم ينتهوا . وكان الرجل يدعو صديقه وأحبّ الناس إليه إلى منزله ليضيفه فيذبحه ويأكله، وفعلوا بالأطبّاء كذلك، [فكانوا[2] يدعونهم ليبصروا المرضى فيقتلونهم ويأكلونهم] وفُقِدت الميتات والجِيَف [من كثرة[2] ما أكلوها] . وكانوا يختطفون الصّبيان من الشوارع فيأكلونهم . وكفّن السلطان فى مدّة يسيرة مائتى ألف وعشرين ألفا، وٱمتلأت طرقات المغرب والمشرق والحجاز

(١) هو الملك العزيز غياث الدين محمد بن الملك الظاهر غازى، والد الملك الناصر يوسف الذى أسر فى حوادث التتار . (راجع عقد الجمان فى حوادث سنة ٦١٥ هـ) . (٢) زيادة عن مرآة الزمان وعقد الجمان .

والشام بِرَمّ الناس، وصلّى إمام جامع الإسكندريّة فى يوم على سبعمائة جنازة .
وقال العماد الكاتب الأصبهانىّ : «[و] (١) فى سنة سبع وتسعين وخمسمائة : اشتدّ الغلاء، وامتدّ البلاء، وتحقّقت المجاعة، وتفرّقت الجماعة، وهلك القوىّ فكيف الضعيف! ونحف السمين فكيف العجيف! وخرج الناس حذَرَ الموت من الديار، وتفرّق فريقُ مصر فى الأمصار؛ ولقد رأيتُ الأرامل على الرمال، والجمال باركةً تحت الأحمال، ومراكب الفرنج واقفة بساحل البحر على اللَّقَم (٢)، تسترقّ الجياع باللُّقَم» . انتهى .

قال : وجاءت [فى شعبان] (١) زلزلة هائلة من الصّعيد هدّمت بنيان مصر، فمات تحت الهدم خلقٌ كثير، ثم امتدّت إلى الشام والساحل فهدمت مدينة نابُلُس، فلم تُبق فيها جدارًا قائمًا إلّا حارة السَّمَرة (٣)، ومات تحت الهدم ثلاثون ألفا، وهُدمت عكّا وصور وجميع قلاع الساحل، وامتدّت إلى دمشق فرمت بعض المنارة الشرقيّة بجامع دمشق، وأكثرَ الكلّاسة والبيمارِستان النُّورىّ، وعامّة دور دمشق إلّا القليل، فهرب الناس إلى الميادين، وسقط من الجامع ستّ عشرة شَرَفة، وتشقّقت قُبّة النَّسر (٤)» . انتهى كلام صاحب المرآة باختصار، فإنّه أمعن وذكر أشياء مهولة من هذا النُّموذَج .

وفيها تُوفّى عبد الرحمن بن علىّ بن محمد بن علىّ بن عُبَيد الله بن عبد الله بن حُمّادَى ابن أحمد بن محمد بن جعفر الجَوْزِىّ بن عبد الله بن القاسم بن النضر بن القاسم

(١) زيادة عن مرآة الزمان وعقد الجمان . (٢) فى الأصل : «على الملقم» . وفى مرآة الزمان : «على اللهم» . وما أثبتناه عن عقد الجمان . واللقم : معظم الطريق وقيل وسطه وقيل واضحه .
(٣) السمرة والسامرة : قوم من اليهود من قبائل بنى إسرائيل يخالفون اليهود فى بعض أحكامهم كإنكارهم نبوّة من جاء بعد موسى عليه السلام، وقولهم لا مساس، وزعمهم أن نابلس هى بيت المقدس . (راجع القاموس وشرحه مادة سمر) .
(٤) قبة النسر، واقعة قبلى جامع دمشق، ليس فى دمشق شىء أعلى ولا أبهى منظرا منها، ولها ثلاث منائر إحداها وهى الكبرى كانت ديدبانا للروم (راجع خطط الشام ج ٥ ص ٢٧٥ لكرد على) .

ابن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق عبد الله
آبن أبى قُحافة، الشيخ الإمام الحافظ الواعظ المفسِّر العلّامة جمال الدين أبو الفرج
القُرشى[1] التَّيْمى البكرِىّ البغدادِىّ الحنبلِىّ المعروف بآبن الجَوْزِىّ[2]، صاحب التصانيف
المشهورة فى أنواع العلوم: كالتفسير والحديث والفقه والوعظ والزُّهد والتاريخ والطبّ
وغير ذلك . مولده ببغداد سنة عشر وخمسمائة تقريبا بدرب حبيب . وتوفى أبوه
وله ثلاث سنين .

قلت : وفضل الشيخ جمال الدين وحفظه وغزير علمه أشهر من أن يذكر هنا،
والمقصود أنّ وفاته كانت فى ليلة الجمعة بين العشاءين فى داره[3] بقَطُفْتَا[4] ودُفِن من الغد،
وكانت جنازته مشهودة، وكثُر أسف الناس عليه، ولم يخلّف بعده مثله .

قال آبن خلّكان : «وبالجملة فكُتُبه أكثر من أن تُعَدّ ، وكَتَبَ بخطّه كثيرا ،
والناس يُغالون فى ذلك حتّى يقولوا إنّه جُمِعت الكراريس التى كتبها، وحُسِبت مدّة
عمره وقُسِمت الكراريس على المدّة، فكان ما خصّ كلّ يوم تسعَ كراريس ، وهذا
شىءٌ عظيم لا يكاد يقبله العقل . ويقال : إنّه جُمِعت بُرَايَةُ أقلامه التى كَتَبَ بها
حديث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فحَصَلَ منها شىءٌ كثيرٌ، وأوصى أن يُسَخَّنَ بها
الماء الذى يُغسل به بعد موته ففُعِل ذلك [فكَفَتْ][5]» . انتهى كلام آبن خلّكان
بآختصار .

(١) فى الأصل «القيسى التيمى» . والتصويب عن ابن خلكان وعقد الجمان ومرآة الزمان وتاريخ الدول والملوك لابن الفرات وشذرات الذهب . (٢) الجوزى نسبة الى فرضة من فرض البصرة، يقال لها . جوزة عن عقد الجمان . (٣) فى رحلة ابن جبير (طبع أوروبا ص ٢٢٠) . أن دار ابن الجوزى كانت على الشط بالجانب الشرقى وفى آخره، على آتصال من قصور الخلافة وبمقربة من باب البصلية آخر أبواب الجانب الشرقى . (٤) قطفتا محلة بالجانب الغربى من بغداد . (عن ابن الأثير ج ١٢ ص ٢١٧) . (٥) زيادة عن ابن خلكان .

ومن شعره :

ياصاحبي إن كنت لي أو معي * فقم بنا إلى وادي الحمى نرتع[1]

وسل عن الوادي وسكانه * وانشد فؤادي في ربا الأجرع

حتى كثيب الرمل رمل الحمى * وقف وسلم لي على لعلع[2]

واسمع حديثا قد روته الصبا * تسنده عن بانة الأجرع

وابك فما في العين من فضلة * وحق قد تك النفس عن مدمعي

وله

رأيت خيال الظل أعظم عبرة * لمن كان في أوج الحقيقة راقي

شخوص وأشكال تمر وتنقضي * وتفنى جميعا والمحرك باقي

١٠ وفيها توفي الأمير بهاء الدين قراقوش[3] [بن عبد الله][4] الأسدي الخادم الخصي المنسوب إليه حارة بهاء الدين[5] بالقاهرة داخل باب الفتوح ، وهو الذي بنى قلعة الجبل بالقاهرة[6] ، والسور[7] [على مصر والقاهرة]

---

(١) في الأصل « نرتع » . وما أثبتناه عن عقد الجمان (٢) لعلع اسم لطائفة من الأماكن أوردها ياقوت في معجمه (٣) قراقوش لفظ تركي ، تفسيره بالعربي العقاب .

١٥ الطائر المعروف ، وبه سمي الإنسان لشهامته وشجاعته (عن عقد الجمان وابن خلكان) .

(٤) زيادة عن ابن خلكان وعقد الجمان . (٥) راجع الحاشية رقم ٧ ص ٣٨ من الجزء الرابع من هذه الطبعة (٦) راجع الحاشية رقم ١ ص ٥٤ من هذا الجزء

(٧) زيادة عن مرآة الزمان وشذرات الذهب وعقد الجمان وقد تكلم المقريزي في الجزء الأول من خططه ص ٣٧٧ على ذكر سور القاهرة فقال إن السور الثالث ابتدأ في عمارته السلطان صلاح الدين

٢٠ يوسف بن أيوب في سنة ٥٦٦ هـ ، وهو يومئذ على وزارة العاضد لدين الله فلما كانت سنة ٥٦٩ هـ ، وهو سلطان مصر انتدب لعمل السور الطواشي بهاء الدين قراقوش الأسدي فبناه بالحجارة وقصد أن يجعل على القاهرة ومصر (مصر القديمة) والقلعة سورا واحدا فزاد في سور القاهرة القطعة التي من باب القنطرة الى باب الشعرية ومن باب الشعرية الى باب البحر وبنى قلعة المقس وعندها انقطع السور وكان في أمله مد السور من المقس الى أن يتصل بسور مصر (مصر القديمة) وزاد في سور القاهرة قطعة مما يلي باب النصر =

والقنطرة التى عند الأهرام وغير ذلك؛ وكان من أكابر الخدّام، من خدّام القصر،[(١)] وقيل إنّ أصله من خدّام العاضد ، وقيل إنّه من خُدّام أســد الدين شيركُوه وهو الأصحّ . واتّصل بخدمة السلطان صلاح الدين، وكان صلاح الدّين يثق به ويعوّل

= الى باب البرقية والى درب بطوط والى خارج باب الوزير ليتصل بسور قلعة الجبل فانقطع من مكان بقرب من الصوه تحت القلعة وكذلك لم يتهيأ له أن يصل سور قلعة الجبل بسور مصر (مصر القديمة) . ٥

وأقول : إن السور الذى أنشأه صلاح الدين حول مدينة القاهرة لا تزال بعض أجزائه قائمة الى اليوم فى الجهات الآتى بيانها وهى :

أولا — فى المسافة الواقعة بين باب الشعرية (باب العدوى) وبين باب البحر (ميدان باب الحديد) توجد أجزاء قائمة من السور البحرى وسط المبانى المشرفة من الجهة البحرية على شوارع : بين الحارات والشبكى والعلبة . ١٠

ثانيا — يمتد بناء السور البحرى من شارع الأمير فاروق تجاه حارة المسطاحى متجها الى الشرق حتى يتقابل مع باب الفتوح ثم باب النصر وبعد هذا الباب يتجه السور أيضا الى الشرق فى مسافة طولها ٣٠٠ متر وينقطع فى نهاية تلك المسافة عند شارع برج الظفر .

ثالثا — جزء من السور الشرقى يبدأ من برج الظفر ويسير الى الجنوب بطول ٤٠٠ متر ثم ينقطع تجاه شارع العوالم بقسم الجمالية ١٥

رابعا — جزء من السور الشرقى قائم فى المسافة من درب المحروق الى قرب تربة الأمير طرابای الشريف التى بباب الوزير الخارجى

خامسا — جزء من السور الشرقى قائم بين مكان الخانقاه البطامية وبين بقايا جامع السبع سلاطين الى أن يتصل بسور القلعة .

وأما سور مدينة مصر (الفسطاط) فلم يبق منه إلا بعض أجزاء متقطعة تبدأ من مجرى العيون (عند انعطافها نحو الشرق الى القلعة) ثم تتجه نحو الجنوب شرقى ملول عين الصيرة وشرقى الموقع القديم لمدينة الفسطاط ثم تميل الى الغرب حيث تنقطع أجزاء السور فى الجنوب الشرقى لقصر الشمع تجاه كوم غراب بمصر القديمة . ٢٠

(١) هذه القنطرة هى التى ذكرها المقريزى فى الجزء الثانى من خططه ص ١٥١ باسم قناطر الجيزة ، وقال إن الذى عمرها هو الأمير قراقوش الأسدىّ سنة ٥٦٩ هـ، فى أيام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بهدم الأهرام الصغيرة وأخذ أحجارها وبنى بها عدّة عمارات منها هذه القناطر الواقعة تحت الجسر الموصل بين النيل والأهرام تجاه مدينة مصر . وأقول : إن هذه القنطرة كانت مكوّنة من جملة عيون أغلبها مسدود تحت شارع الهرم وبعضها لا يزال مفتوحا والجزء المفتوح قد تجدد جملة مرات وهو الذى يمر منه اليوم مجرور نجر التبيين الدائم عرى مصرف المحيط تحت شارع الهرم وعلى بعد ١٥٠٠ متر من الجهة الشرقية للأهرام بأراضى ناحية نزلة السمان بمركز الجيزة . ٢٥

عليه فى مهمّاته . ولمّـا ٱفتتح عكّا من الفرنج سلّمها إليه؛ثم لمّـا ٱستولّوا عليها أُخذ أسيرًا، ففداه صلاح الدين بعشرة آلاف دينار، وقيل : بستين ألف دينار .

قال ٱبن خلّكان : «والناس ينسبون إليه أحكاما عجيبة فى ولايته نيابة مصر عن صلاح الدين، حتى إن الأسعد بن مَمَّاتِى[1] له فيه كتاب لطيف سماه : «الفاشوش فى أحكام قراقوش» . وفيه أشياء يبعُد وقوع مثلها منه، والظاهر أنّها موضوعة؛ فإن صلاح الدين كان يعتمد فى أحوال المملكة عليـه، ولولا وثوقه بمعرفته وكفايته ما فوّضها إليه . وكانت وفاته فى مستهلّ رجب» .

وفيها تُوُفِّى محمـد بن محمد بن حامد بن محمد بن عبـد الله بن علىّ بن محمـود بن هبة الله أبو عبد الله الإمام العـلّامة عماد الدِّين الأصبهانىّ المنشئ المعروف بالعِماد الكاتب، وابن أخى العـزيز . وُلِد بأصبهان سنة تسع عشرة وخمسمائة وبها نشأ . وقَدِم بغداد مع أبيه وبها تفقّه، وٱشتغل بالأدب وبرَع فى الإنشاء، وخدَمَ الوزير يحيى [بن محمد][2] بن هُبَيْرة، وكان أحد كُتّابه . ثم قَدِم دِمشق أيّام نور الدين الشهيد وٱتّصل به وخدمه. وكان فاضلا حافظًا لدواوين العرب، وله عِدّة مصنّفات، منها : «خريدة القصر فى شعراء العصر»[3] وغير ذلك وكان القاضى الفاضـل يقول . العِماد الكاتب . كالزناد الوقّاد (يعنى أنّ النّار فى باطنه كامنة، وظاهره فيه فَتْرة) . وكانت وفاة العِماد بدمشق فى يوم الاثنين غُرّة شهر رمضان . ودُفِن عند مقابر الصوفيـة

(١) هو القاضى الأسعد أبو المكارم أسعد بن الخطير أبى سعيد مهذب بن مينا بن زكرياء بن أبى قدامة ابن أبى مليح مماتى المصرى الكاتب الشاعر. كان ناظر الدواوين بالديار المصرية، وفيه فضائل وله مصنفات عديدة . توفى سنة ٦٠٦ هـ (راجع ترجمته بتفصيل واف فى ابن خلكان وشذرات الذهب) .

(٢) زيادة عما تقدّم ذكره فى حوادث سنة ٥٦٠ هـ .

(٣) فى كشف الظنون . «خريدة القصر وجريدة أهل العصر»

عند المُنَيْبِع[(١)] . وقيل إنّ العماد اجتمع بالقاضى الفاضل يومًا فى مَوْكِب السلطان فسارا جميعا ، وقد انتشر الغُبار لكثرة الفُرْسان ما سدّ الفضاء فتعجّبا من ذلك ، فأنشد العِماد فى الحال :

أمّا الغُبَارُ فإنّه * ممّا أثارته السّنابكْ
والجَوُّ منه مُظْلِمٌ * لكنْ أنارَ به السّنابكْ
يادهرُ لى عبد الرحـ * ـيم فلستُ أخشى مَسّ نابكْ

ومن شعره :

دارِ غيرَ اللّبيب إن كنتَ ذا لُـ * ـبٍّ ولاطِفْهُ حينَ يأتى بِحُـمْقِ
فأخو السُّكْرِ لا يخاطبه الصّا * حِى إلى أن يُفيق إلّا برِفق

وفيها تُوفّى محمد بن المبارك بن محمد الطّهير أبو غالب المصرى[(٢)] ، كان فاضلا ١٠ أديبًا . وُلِد سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة ، ومن شعره — رحمه الله تعالى — قوله :

تَقَنَّعْ بالقليل وعِشْ عَزِيزًا * خفيفَ الظَّهْرِ من كُلَفٍ وإثمِ
وإلّا هَىِّ نفسَك للبلايَا * وَهَمٌّ واردٍ فى إثرِ هَمِّ

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة ، قال : وفيها تُوفّى القاضى أبو المكارم أحمد بن محمد بن محمد التُّمِيمىّ[(٣)] الأصبهانىّ المعروف بابن اللّبان العدل فى ذى الحجّة . ١٥

(١) المنيبع : محلة وسوق بقسة وحمام وأفران ، ومنها مدرسة الخاتونية وهى من أعاجيب الدهر ، يمرّ بصحنها نهر بانياس ، ونهر القنوات على بابها . وهذه المحلة من محاسن دمشق (راجع وصفه بإسهاب فى نزهة الأنام فى محاسن الشام لأبى البقاء عبد الله بن محمد البدرى المصرى الدمشقى ص ٧٦ طبع مصر) .

(٢) لم ترد ترجمته فى الكتب التى تحت يدنا إلا فى تاريخ الاسلام للذهبى والمختصر المحتاج إليه من تاريخ بغداد ، واتفقا فى تسميته على « محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون أبو غالب الأديب » . ٢٠ والظاهر أنه بغدادى . (٣) كذا فى الأصل وشذرات الذهب . وفى تاريخ الاسلام : «التيمى» .

ومُفيد بغداد تميمُ بن أحمد البَنْدَنِيجِىّ[١] فى جُمادى الآخرة، أدرك ابنَ الرَّاعُونِىّ[٢]. والإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن علىّ بن الجَوْزِىّ، وقد ناهز التسعين. وأبو محمد عبد المنعم ابن محمد المالِكىّ فقيه الأندلُس. والأمير بَهاء الدين قراقوش الأَسَدِىّ الخادم الأبيض. ومحمد بن أبى زيد الكَرَّانِىّ[٣] الخبّاز بأصبهان فى شوّال، وقد كمّل المائة. والعِماد الكاتب العلّامة محمد بن محمد بن حامد الأصبهانىّ فى [شهر] رمضان، وله سبع وسبعون سنة

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ذراعان سواء. مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعا وستّ عشرة إصبعا.

* * *

١٠ السنة الثانية من ولاية الملك العادل أبى بكر بن أيّوب على مصر، وهى سنة ثمان وتسعين وخمسمائة.

فيها بَرَزَ العادل المذكور من ديار مصر طالبًا حلب، وكان الملك الأفضل بحِمْص عند شِيرِكُوه، فجاء إلى العادل فأكرمه العادل وعوّضه عن ميّافارِقين[٤] سُمَيْساط وسَرُوج[٥]، ثم سار العادل ونزل على حَمَاة، وصالحه الملك الظاهر صاحب حلب، وعاد الملك العادل إلى حِمْص. ١٥

(١) البندنيجى: نسبة الى بندنيجين بلفظ المثنى، وهى بلدة مشهورة فى طرف النهروان من ناحية الجبل من أعمال بغداد (راجع معجم البلدان لياقوت) (٢) هو على بن عبيد الله بن نصر بن عبيد الله ابن سهل الإمام أبو الحسن بن الزعوانى شيخ الحنابلة. تقدمت وفاته سنة ٥٢٦ هـ.

(٣) الكرانى: نسبة إلى كران، محلة مشهورة بأصبهان (عن معجم البلدان لياقوت).

٢٠ (٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ٧٠ من الجزء الخامس من هذه الطبعة.

(٥) سروج: بلدة قريبة من حران من ديار مضر (عن معجم البلدان لياقوت).

وفيها تُوفّى عبد الملك بن زَيْد بن يَس التَّغْلَبىّ الدَّوْلَعىّ خطيب دمشق؛ والدَّوْلَعِيَّة قرية من قُرَى الموصل. قدِم دمشق واستوطنها وصار خطيبها، ودرّس بالزاوية العربيّة[(1)] من جامع دمشق، وكان مُتَزَهِّدًا حسن الأثر حميدَ الطريقة. مات فى شهر ربيع الأوّل.

٥ وفيها تُوفّى هبة الله بن الحسن بن المظفر الهَمَذَانىّ، محدّث ابن محدّث ابن محدّث. كانت وفاته بباب المراتب[(2)] ببغداد فى المحرّم. قال أبو المظفّر أنشدنا لغيره:

إذا الفتى ذمّ عيشًا فى شبيبته * فما يقول إذا عَصْرُ الشباب مضى
وقد تعوّضتُ عن كلٍّ بمشبهه * فما وجدت لأيام الصِّبا عِوَضًا

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: وفيها تُوفّى الملك المُعِزّ إسماعيل

١٠ ابن سيف الإسلام [طُغْتِكِين][(3)] صاحب اليمن. وأبو طاهر بركات بن إبراهيم الخُشُوعىّ. والمحدّث حَمّاد بن هبة الله الحَرَّانىّ التاجر فى ذى الحجّة. وعبدالله [بن أحمد][(4)] بن أبى المجد الحَرْبىّ الإسكاف فى المحرّم بالموصل. وزَيْنُ القضاة أبو بكر عبد الرحمن بن سلطان ابن يحيى القُرَشىّ الزَّكَوِىّ[(5)] فى ذى الحجّة، سمع من جدّه. وأبو الحسن عبد الرحيم ابن أبى القاسم [عبد الرحمن][(6)] الشَّعْرِى[(7)]، أخو زينب فى المحرّم. وخطيب دمشق

١٥ الضياء عبد الملك بن زَيْد بن يَس الدَّوْلَعىّ فى شهر ربيع الأوّل، وله إحدى وتسعون سنة. وقاضى القضاة محيى الدين أبو المعالى محمد ابن القاضى الزَّكِىّ[(8)] علىّ بن محمد القُرَشىّ؛

(1) كذا فى الأصل ومرآة الزمان. وفى المختصر المحتاج إليه من تاريخ بغداد وطبقات الشافعية وعقد الجمان وشذرات الذهب «بالعزالية» ولعل العزالية اسم للزاوية المذكورة.
(2) باب المراتب: أحد أبواب دار الخلافة ببغداد، كان من أجل أبوابها وأشرفها، وكان حاجبه عظيم القدر ونافذ الأمر (عن معجم البلدان لياقوت). (3) زيادة عن شذرات الذهب والجامع المختصر لابن الساعى وتاريخ الاسلام للذهبى. (4) التكملة عن شذرات الذهب وتاريخ الاسلام للذهبى. (5) الزكوى: نسبة الى جده أبى الفضل القاضى يحيى الزكى. (6) زيادة عن تاريخ الاسلام للذهبى. (7) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٩٢ من الجزء الخامس من هذه الطبعة.
(8) راجع نسبة نسبه فى ابن خلكان

وله ثمان وأربعون سنة، تُوفّى فى شعبان . وأبو القاسم هبة[1] الله بن علىّ بن مسعود الأنصارىّ البُوصيرىّ فى صفر، وله آثنتان وتسعون سنة .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المــاء القديم ذراع واحدة وأربع عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعا وثلاث وعشرون إصبعا .

* * *

الســـنة الثالثة من ولاية الملك العادل أبى بكر بن أيّوب على مصر، وهى سنة تسع وتسعين وخمسمائة .

فيها فى ليلة السبت سلخ المحرّم ماجت النجوم فى السماء شرقا وغربا ، وتطايرت كالجراد المنتشر يمينا وشمالا ، ولم يُرَ هذا إلّا عند مبعث النبى صلّى الله عليه وسلّم ، وفى سنة إحدى وأربعين ومائتين، وكانت هذه السنة أعظم .

وفيها تُوفّى إبراهيم بن أحمد بن محمد[2] أبو إسحاق الموفّق الفقيه بن الصّقال الحنبلى . وُلد ســـنة خمس وعشرين وخمسمائة . وتفقّه على أبى يعلى[3] الفرّاء ، وسمع الحديث الكثير، وكان شيخا ظريفا صالحا زاهدا . مات فى ذى الحجّة، ودُفن بباب حَرْب بغـــداد .

وفيها تُوفّيت زمرّد خاتون أمّ الخليفة الناصر لدين الله العباسىّ ببغداد. كانت صالحة كثيرة البرّ والصدقات، وحجّت مرّة فأنفقت ثلثمائة ألف دينار ، وكان معها نحو ألفى جمل، وتصدّقت على أهل الحرمين، وأصلحت البرَك والمصانع، وعمّرت التُّربة عند قبر معروف الكرخىّ والمدرسة إلى جانبها . وماتت فى جُمادى الأولى .

(١) فى الأصل «أبو القاسم بن هبة الله» والتصويب عن شذرات الذهب وتاريخ الاسلام وعقد الجمان . (٢) كذا فى الأصل وشذرات الذهب . وفى تاريخ الإسلام «إبراهيم بن محمد بن أحمد» (٣) هو القاضى أبو يعلى الصغير شيخ الحنابلة محمد بن أبى حازم بن القاضى أبى يعلى بن الفراء . وقد تقدّمت وفاته سنة ٥٦٠ هـ

وفيها تُوفّى علىّ بن الحسن بن إسماعيل أبو الحسن [العَبْدِىّ] (١) من عبد القَيْس، كان فاضلًا بارعا فى الأدب وغيره، وله شعر جيّد، من ذلك قوله — رحمه الله تعالى — :

لا تَسْلُكِ الطُّرُقَ إذا أخطرتْ . لَوْ أنها تُفْضِى إلى المملكه
قد أنزل الله تعالى ولا . تُلْقُوا بأيديكم إلى التَّهْلُكه

وفيها تُوفّى القاسم بن يحيى بن عبد الله بن القاسم أبو الفضائل ضياء الدين ٥
الشَّهْرُزُورِىّ، وهو ابن أخى القاضى كمال الدين [محمد] (٢) الشَّهْرُزُورِىّ . كان فقيها فاضلا جَوَادًا كريما أديبا شاعرا . ومن شعره أوّل قصيدة :

فى كلّ يوم تُرَى للبين آثارُ . وماله فى ٱلتئام الشَّمْلِ آثارُ
يسطو علينا بتفريقٍ فواعجبا . هل كان للبين فيما بيننا ثار

وفيها تُوفّى يحيى بن طاهر بن محمد أبو زكرياء (٣) الواعظ، ويعرف بابن النجار ١٠
البغدادىّ . كان فاضلا فصيحا . وكان ينشد فى مجلسه — رحمه الله تعالى —

عاشر من الناس من تَبْقَى مودّتُهُ . فأكثرُ الناس جمعٌ غيرُ مُؤْتَلِفِ
منهم صديقٌ بلا قاف ومعرفةٌ . بغير فاءٍ وإخوانٌ بلا ألِفِ

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى السنة، قال : وفيها تُوفّى أبو القاسم عبد الرحمن
ابن مَكِّىّ بن حمزة بن موقا الأنصارىّ الإسكندرانىّ التاجر فى شهر ربيع الآخر (٤)، وله ١٥
أربع وتسعون سنة . وزَيْن الدين أبو الحسن علىّ بن إبراهيم بن نجا (٥) الدمشقىّ

---

(١) فى الأصل «أبو الحسن بن عبد القيس» . والصحيح والزيادة عن تاريخ الاسلام للذهبى والذيل على الروضتين . (٢) زيادة عن تاريخ الإسلام للذهبى والذيل على الروضتين وابن خلكان فى ترجمة القاضى ابن أبى عصرون . (٣) كذا فى الأصل والذيل على الروضتين . وفى تاريخ الاسلام للذهبى والمختصر المحتاج اليه أنه توفى سنة ٥٩٧ هـ (٤) كذا فى الأصل وتاريخ الاسلام . وفى حسن ٢٠
المحاضرة للسيوطى (ج ١ ص ٢١٣) : «وكانت وفاته سنة ٥٧٩ هـ» . (٥) فى الأصل : «ابن نحالة» . وما أثبتناه عن شرح القصيدة اللامية فى التاريخ والمختصر المحتاج اليه من تاريخ بغداد وشذرات الذهب وتاريخ الإسلام للذهبى .

الحنبلىّ الواعظ بمصر فى رمضان، وله إحدى وتسعون سنة . وأبو الحسن علىّ بن حمزة بن علىّ بن طلحة البغدادىّ الكاتب بمصر فى شعبان . وسلطان غَزْنَة غياث الدين[1]، وقاضى القضاة ضياء الدين القاسم بن يحيى بن عبد الله بن القاسم الشَّهْرزُورى [أبو الفضائل][2] الشافعىّ، وله خمس وستون سنة، ولِى القضاء بدمشق بعد عمه[3]، ثم ٱستعفى لأمر ما، ثمّ بعد مدّة ولِى قضاء العراق، ثم ٱستعفى وجاء [العواصم][2] ثمّ سكن حَمَاة، وولى قضاءها، وبها مات فى رجب . والزاهد أبو عبد الله محمد بن أحمد القرشىّ الهاشمىّ الأندلسىّ ببيت المقدس . والشهاب أبو الفضل محمد بن يوسف الغَزْنَوىّ الحنفىّ المقرئ بمصر. وأبو طاهر المبارك بن المبارك [بن هبة الله][4] ابن المَعْطُوش فى جُمادى الأولى عن ٱثنتين وتسعين سنة ببغداد .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ذراعان وست وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا .

* *
*

السنة الرابعة من ولاية الملك العادل أبى بكر بن أيّوب على مصر، وهى سنة ستمائة .

فيها وصل إلى بغداد أبو الفتح[5] بن أبى نصر الغَزْنَوىّ رسولًا من صاحب غَزْنَة وجلس بباب بدر[6]، وقال : هنيئًا لكم يأهل بغداد، أنتم تحظَوْن بأمير المؤمنين، ونحن محرومون! وأنشد — رحمه الله —

(١) هو أبو الفتح غياث الدين محمد بن سام بن الحسين بن الحسن الغورى صاحب غزنة ، كما فى تاريخ الإسلام . (٢) زيادة عن تاريخ الإسلام للذهبى وشذرات الذهب . (٣) يريد عمه أبا الفضل محمد بن أبى محمد عبد الله بن أبى أحمد القاسم الشهرزورى الملقب كمال الدين . تقدمت وفاته سنة ٥٧٢ هـ . (٤) التكملة عن شرح القاموس والمختصر المحتاج إليه وشذرات الذهب وتاريخ الإسلام . (٥) فى الجامع المختصر : «أبو الفتوح» . (٦) باب بدر، من حرم الخليفة فى ساحة قصور الخليفة ومناظره مشرفة عليه (عن رحلة ابن جبير طبع أوروبا ص ٢٢٢) .

أَلَا قل لسكّان وادى العقيق * هنيئًا لكم [فى](١) الجنان الخلود

أفيضوا علينا من الماء فَيْضًا * فنحن عِطاشٌ وأنتم وُرُود

وفيها تُوفّى الحافظ عبد الغنىّ بن عبد الواحد [بن علىّ](٢) بن سرور أبو محمد المقدسىّ. ولد بجَمّاعيل، وهى قرية من أعمال نابُلُس فى شهر ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين وخمسمائة، وكان أكبر من الشيخ موفّق الدين(٣) بأربعة أشهر [وهما ابنا خالة](٤).

وكان إماما حافظا متقنا مصنّفا ثقةً، سمع الكثير ورحل إلى البلاد وكتب الكثير، وهو أحد أكابر أهل الحديث وأعيان حُفّاظهم، ووقع له مِحَنٌ ذكرها صاحب مرآة الزمان، ونجّاه الله منها. ومات فى يوم الاثنين ثالث عشرين شهر ربيع الأوّل، ودُفِن بالقرافة(٥) عند الشيخ أبى عمرو بن مرزوق، وكان إمامًا عابدا زاهدا ورِعًا. قال تاج الدين الكِنْدىّ: هو أعلم من الدَّارَقُطْنِىّ(٦) والحافظ أبى موسى(٧).

قال أبو المظفَّر: وفى هذه السنة سافرتُ من بغداد إلى الشام، وهى أوّل رحلتى، فاجتزتُ بدَقُوقَا(٨) وجلست بها (يعنى للوعظة) ثم قدِمت إِرْبِل واجتمعتُ بمجيى الدين الساعاتىّ(٩)، وأنشدنى مقطعات لغيره. منها — رحمه الله —

---

(١) التكملة عن الجامع المختصر لابن الساعى. (٢) التكملة عن تذكرة الحفاظ للذهبى وشذرات الذهب ومرآة الزمان وطبقات الحفاظ للسيوطى وتاريخ الاسلام وما سيأتى ذكره للمؤلف. (٣) هو موفق الدين المقدسى أحد الأئمة الأعلام أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الحنبلى. كان إمام السنة مفتى الأمة شيخ الإسلام، سيد العلماء الأعلام توفى سنة ٦٢٠ هـ كما فى شذرات الذهب ومختصر طبقات الحنابلة. (٤) زيادة عن تاريخ الاسلام وتذكرة الحفاظ. (٥) يريد بها قرافة مصر، كما صرح بذلك فى حسن المحاضرة وتذكرة الحفاظ وشذرات الذهب. (٦) هو على بن عمر بن أحمد بن مهدى ابن مسعود بن النعمان بن دينار بن عبد الله أبو الحسن البغدادى الدارقطنى. تقدّمت وفاته سنة ٣٨٥ هـ

(٧) هو أبو موسى المدينى شيخ الإسلام محمد بن أبى بكر عمر بن أبى عيسى أحمد بن عمر الأصبهانى تقدّمت وفاته سنة ٥٨١ هـ. (٨) دقوقا (بالقصر والمد): مدينة بين إربل وبغداد معروفة لها ذكر فى الأخبار والفتوح، كان بها وقعة للخوارج (عن معجم البلدان لياقوت). (٩) كذا فى الأصل. وفى مرآة الزمان: «الساعاتى» ولم نعثر على هاتين النسبتين فى كتب الأنساب. وفى الذيل على الروضتين «الشاتانىّ». نسبة إلى شاتان، قلعة بديار بكر.

رحمتُ أَسْودَ هذا الخال حين بدا * فى حمرة الخـدّ مَرْمِيًّا بأبصارِ
كأنّه بعضُ عُبّاد المجوسِ وقد * ألقى بمهجته فى لُجّة النّـار

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال : وفيها تُوفّى منتخَب الدين[1] أبو الفتح أسعد بن أبى الفضائل محمود بن خَلَف العِجْلىّ[2] الأصبهانىّ شيخ الشافعيّة ببلده فى صفر، وله خمس وثمانون سنة . وأبو سعد عبد الله بن عمر بن أحمد النيسابورىّ الصفّار فى رمضان، وله اثنتان وتسعون سنة . والحافظ تقىّ الدين عبد الغنى بن عبد الواحد بن علىّ الجمّاعيلىّ المقدسىّ فى شهر ربيع الأوّل، وله تسع وخمسون سنة . وفاطمة بنت سعد الخير الأنصاريّة فى شهر ربيع الأوّل، ولها ثمانٍ وسبعون سنة . وبهاء الدين أبو محمد القاسم ابن الحافظ علىّ بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر فى صفر، وله ثلاث وسبعون سنة .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ثلاث أذرع وست أصابع . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و إحدى وعشرون إصبعا .

* * *

السنة الخامسة من ولاية الملك العادل أبى بكر بن أيوب على مصر، وهى سنة إحدى وستمائة .

فيها جاءت الفرنج حَماة بغتةً وأخذوا النساء الغسّالات من باب البلد على العاصى[3]، وخرج إليهم الملك المنصور[4] بن تقىّ الدين وقاتلهم وثَبَتَ وأبلى بلاءً حسنا،

(١) كذا فى الأصل وطبقات الشافعيـة وشـذرات الذهب . وفى المختصر المحتاج اليه وتاريخ الاسلام للذهبى . « المنتجب » بالجيم . (٢) فى شذرات الذهب والمختصر المحتاج اليه وطبقات الشافعية وابن الأثير : « أبو الفتوح » . وفى تاريخ الاسلام للذهبى . « أبو الفتوح وأبو الفتح » (٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ١١٩ من الجزء الرابع من هذه الطبعة . (٤) هو الملك المنصور محمد بن تقى الدين عمر .

وكسر الفرنجُ عسكَره ، فوقف على السّاقة[1] ، ولولا وقوفه ما أبقوا من المسلمين أحدًا .

وفيها حجّ بالناس من العراق وجهُ السبع ، ومن الشام صارم الدين برغش العادلى وزين الدين قراجا صاحب صَرْخَد .

وفيها تُوفّى عبد المنعم بن علىّ [بن نصر] بن الصَّيْقَلِ[2] أبو محمد نجم الدين الحَرّانى ، قدم بغداد وتفقّه بها ، وسمع الحديث ، ثم عاد إلى حرّان ووعظ بها وحصل له القبول التام ، ثم عاد إلى بغداد واستوطنها . قال أبو المظفر سبط ابن الجَوْزِىّ فى تاريخه : سمعتُه يُنشد :

وأشتاقكم يا أهلَ ودّى وبيننا * كما زعم[3] البينُ المُشِتُّ مراحُ
فأمّا الكَرَى عن ناظرى فمشرَّدٌ * وأما هواكم فى فؤادى فراسخ

وفيها تُوفّى محمد بن سعد الله بن نصر أبو نصر بن الدَّجاجِىّ[4] الواعظ الحنبلىّ . وُلد سنة أربع وعشرين وخمسمائة ، ومات فى شهر ربيع الأول ، ودُفن بباب حرب . ومن شعره — رحمه الله — :

نفس الفتى إن أصلحت أحوالها * كان إلى نيل المُنَى[5] أحوى لها
وإن تراها سدّدت أقوالها * كان على حَمْل العُلَا أقوى لها

(١) فى شذرات الذهب والذيل على الروضتين «على الساقة من الرقيطاء» والرقيطاء : قرية بحماة كما فى تاريخ حماة للصابونى ص ٢٧ (٢) التكملة عن الجامع المختصر وتاريخ الاسلام وشذرات الذهب ، وسمى بذلك لأنه كان يصقل السيوف . (٣) رواية الذيل على الروضتين : «كما حكم» . (٤) فى الأصل : «محمد بن سعد بن نصر الله» . وما أثبتناه عن المختصر المحتاج اليه من تاريخ بغداد والجامع المختصر لابن الساعى والذيل على الروضتين وتاريخ الاسلام وعقد الجمان . (٥) فى الأصل والذيل على الروضتين : «نيل التقى» . وما أثبتناه عن الجامع المختصر وعقد الجمان والبداية والنهاية لابن كثير .

وفيها تُوُفِّى ملك خِلاط سيف الدين بَكْتَمُر(١) . كان من أحسن الشباب ؛ ولم يبلغ عشرين سنة من العمر، قتله الهزار ديناري(٢)، قيل : إنّه غرّقه فى بحر خِلاط، وقُتِل الهزار دينارى بعده بمدّة يسيرة .

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال : وفيها تُوُفِّى المحدّث أحمد بن سليمان(٣) الحَرْبىّ الملقب بالسُّكّر(٤) . وأبو الفضل(٥) محمد بن الحسين بن الخَصِيب(٦) بدمشق . ويوسف بن المبارَك بن كامل الخَفّاف . وعبد الله بن عبد الرحمن بن أيّوب الحَرْبِى النَّقْلِىّ . وشُمَيْم الحِلِّىّ أبو الحسن علىّ بن الحسن بن عنتر(٧) الأديب . ومحمد بن أحمد بن حامد أبو عبد الله الأَرْتَاحِىّ(٨) الحنبلىّ بمصر، وله بضع وتسعون سنة .

---

(١) هو الأمير بكتمر بن عبد الله مملوك شاه أرمن سكمان صاحب خلاط . يلاحظ أن وفاته قد تقدّمت سنة ٥٨٩ ﻫ وهى السنة التى مات فيها السلطان صلاح الدين . قال ابن الوردى وصاحب عقد الجمان فى حوادث سنة ٥٨٩ ﻫ ما ملخصه فى جمادى الأولى قتل سيف الدين بكتمر وكان له خشداش اسمه بدر الدين آقسنقر هزار ديناري، وهو الذى جهر على بكتمر فى قتله طمعا فى الملك، ثم اعتقل ابنه (محمد بن بكتمر) واستمر فى مملكة خلاط الى أن توفى سنة ٥٩٤ ﻫ . وقالا فى حوادث سنة ٥٩٤ ﻫ : توفى بدر الدين هزار ديناري فاستولى على خلاط بعده خشداشه قتلغ أرمنى ، ثم قتل بعد سبعة أيام ، وأحضر محمد بن بكتمر من معتقله واستمر على ملك خلاط إلى سنة ٦٠١ ﻫ أو سنة ٦٠٢ ﻫ أو سنة ٦٠٣ ﻫ أو سنة ٦٠٤ ﻫ (على اختلاف روايات كتب التاريخ) ، ثم اتفق عز الدين بلبان مملوك شاه أرمن مع العسكر وخنقوه فى التاريخ المذكور ورموه من القلعة وانفرد بلبان بملك خلاط ومن هنا يتبين أن الذى مات فى هذه السنة اسمه محمد بن بكتمر كما تؤيد ذلك رواية مرآة الزمان . (٢) الذى تقدم للمؤلف فى حوادث سنة ٥٨٩ ﻫ أنّ الذى قتل بكتمر أحد الإسماعيلية ولعل الهزارديناري هذا هو الذى حرضه على قتل بكتمر . وراجع الحاشية رقم ١ ص ١٣٣ من هذا الجزء (٣) كذا فى الأصل وعقد الجمان والجامع المختصر . وفى مرآة الزمان والشذرات وغاية النهاية «أحمد بن سلمان» (٤) كذا فى الأصل وتاريخ الاسلام للذهبى . وفى شذرات الذهب وشرح القصيدة اللامية فى التاريخ «أبو المفضل» . (٥) كذا فى الأصل وتاريخ الاسلام . وفى شذرات الذهب . « ابن الحسن » . (٦) كذا فى الأصل وتاريخ الاسلام وشرح القصيدة اللامية فى التاريخ . وفى شذرات الذهب «الحصيب» بالحاء المهملة .

(٧) كذا فى الأصل وابن خلكان ومعجم الأدباء لياقوت والجامع المختصر وتاريخ الاسلام . وفى بغية الوعاة للسيوطى : « ابن عنبة » . وفى شذرات الذهب وابن كثير : « ابن عنبر » .

(٨) الأرتاحى . نسبة الى أرتاح ، حصن منيع ، كان من العواصم من أعمال حلب (عن معجم البلدان لياقوت) .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وست أصابع . مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعا وثماني أصابع .

* * *

السنة السادسة من ولاية الملك العادل أبي بكر بن أيّوب على مصر ، وهي سنة آثنتين وستمائة

فيها توجّه ناصر الدين صاحب ماردين[1] إلى خلاط بمكاتبة أهلها وملكها[2] ، فجاء الملك الأشرف موسى شاه أرمن آبن الملك العادل هذا فنزل على دُنَيْسِر ، وأَقْطع بلادَ ماردين ، فلمّا بلغ ذلك ناصرَ الدين عاد إلى ماردين بعد أن غَرِم مائةَ ألف دينار ، ولم تُسَلِّم له خلاط .

وفيها أغار [آبن][3] لاون على حلب وأخذ الخُشّار[4] من نواحي حارم ، فبعث إليه الملك الظاهر غازي آبن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب — وهو يومَ ذاك صاحب حلب — فارس الدين ميمونا القَصْريّ ، وأَيْبَك فُطَيْس ، والأميرَ حُسام الدين [بن أمير تركمان][5] فتقاتلا قتالا شديدا ، وكان ميمون تقدّم ولولاهما لَأُخِذ ميمون ، فلمّا بلغ ذلك الملك الظاهرَ خرج من حلب ونزل مَرْج دَابِق[6] ، ثمّ جاء إلى حارم ،

---

(١) هو ناصر الدين أرتق بن إيلغازي بن ألبي بن تمرتاش بن إيلغازي بن أرتق صاحب ماردين (عن آبن الأثير) (٢) الذي في مرآة الزمان والذيل على الروضتين وابن الأثير : « توجه ناصر الدين صاحب ماردين الى خلاط بمكاتبة أهلها ، فجاء الأشرف فنزل على دنيسر وأقطع بلاد ماردين ، فعاد ناصر الدين الى بلده بعد أن غرم مائة ألف دينار ولم يسلموا إليه أخلاط » .

(٣) التكملة عما سيأتي للؤلف وعقد الجمان ومرآة الزمان والذيل على الروضتين وتاريخ ابن الوردي وفي آبن الأثير هو ابن ليون الأرمني صاحب الدروب (٤) الخشار . الماشية .

(٥) زيادة عن عقد الجمان والذيل على الروضتين ومرآة الزمان . (٦) مرج دابق ، هو مرج معشب نزه قرب حلب من أعمال أعزاز ، كان ينزله بنو مروان إذا غزوا الصائفة (عن معجم البلدان لياقوت) .

فهرب آبن لاون إلى بلاده . وكان آبن لاون قد بنى قلعةً فوق دَرْبَسَاك ، فأخذها الظاهر وأخربها ، ثم عاد الملك الظاهر إلى حلب .

وفيها حجّ بالناس من العراق وجهُ السَّبُع ، ومن الشام الشّجاع علىّ بن السّلّار .

وفيها تُوُفّى الأمير طَاشْتِكِين بن عبــد الله المُقْتَفِوِىّ[(١)] مُجِير الدين أميرُ الحاجّ ، حجّ بالناس ستّا وعشرين حِجّة ، وكان يسير فى طريق الحجّ مثلَ الملوك . شكاه آبن يونس [الوزير][(٢)] إلى الخليفة أنّه يكاتب السلطان صلاح الدين صاحب مصر [وزوّر عليه كتابة[(٣)]] ، فحبســه الخليفة مدّة ، ثم تبيّن له أنّه برىء ، فأطلقه وأعطاه خُوزِستان[(٤)] ، ثم أعاده إلى إمْرَة الحاجّ ، وكانت الحِلّةُ[(٥)] إقطاعَه . وكان شجاعا جَوَادًا سَمْحا قليل الكلام يَمْضِى عليه الأسبوعُ ولا يتكلّم . استغاث إليه رجل يوما فلم يكلّمه ، فقال الرجل : الله كلّم موسى ، فقال : وأنت موسى ! [فقال الرجل[(٦)] : وأنت الله ! فقضى حاجته . وكان حليما ، آلتقاه رجل فآستغاث إليه من نوّابه فلم يُجبه] فقال الرجل : أنت حمار؟ فقال طاشتِكين : لا . وفى قلّة كلامه يقول آبن التَّعَاوِيذِىّ[(٧)] الشاعر المشهور :

وأمــير على البــلادِ مولًّى * لا يُجيب الشاكى بغير السكوتِ
كلّمــا زاد رِفْعَــة حطّنا اللّـ * ـه بتعجيله إلى الهَبُــوتِ

وفيهــا تُوُفّى مســعود بن ســعد الدين صاحب صَــرْخَد . وأخوه[(٨)] بدر الدين ممدود شِحْنة دمشق ، وهما آبنا الحاجب مــبارك بن عبد الله ، وأمّهما أمّ فرخشاه

(١) فى الأصل : « الصعدى » وما أثبتناه عن الذيل على الروضتين وعقد الجمان وفى الجامع المختصر وعقد الجمان فى إحدى روايتيه . « المستنجدى » (٢) الزيادة عن الذيل على الروضتين وعقد الجمان . (٣) الزيادة عن عقد الجمان والذيل على الروضتين ومرآة الزمان . (٤) خوزستان اسم لجميع بلاد الخوز (عن معجم البلدان لياقوت) . (٥) يريد بها حلة بنى مزيد ، وتسمى الحلة السيفية نسبة إلى سيف الدولة صدقة بن مزيد كما سماها بذلك صاحب عقد الجمان والذيل على الروضتين ومرآة الزمان . (٦) التكملة عن عقــد الجمان ومرآة الزمان والذيل على الروضتين . (٧) ذكره المؤلف فى حوادث سنة ٥٨٣ هـ . (٨) فى الأصل : « وهو أخو بدر الدين » . والسياق يقتضى ما أثبتناه .

ابن شاهنشاه بن أيّوب [فرخشاه أخوهما لأمهما][1]، وأختهما لأمهما أيضا الستّ[2] عذراء صاحبة المدرسة العَذْرَاوِيّة المجاورة لقلعة دمشق . وكانا أميرين كبيرين (أعنى ممدودا ومسعودا) صاحبى الترجمة، ولهما مواقف مع السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب، وتقدّمت وفاة ممدود على أخيه مسعود ، فإنّه مات بدمشق فى يوم الأحد خامس شهر رمضان من هذه السنة . وتُوفّى مسعود هذا بصَفَد فى يوم الاثنين خامس شوّال — رحمهما الله تعالى — .

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم فى هذه السنة ، قال : وفيها توفى سلطان غَزْنَة شهاب الدين [أبو المظفر محمد بن سام][3] الغُورى قتلته الباطنيّة. وأبو علىّ ضياء الدين ابن أبى القاسم [أحمد بن الحسن أبى علىّ][4] بن الحُرَيْف . والمفتى أبو المَفَاخر خلف بن أحمد الأصبهانىّ الفرّاء ، وله أربع وثمانون سنة . وأبو يَعْلَى حمزة بن علىّ [بن حمزة بن فارس][5] بن القُبَّيطىّ، قرأ القرآن على سبط الخيّاط وجماعة .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم سبع أذرع وأربع عشرة إصبعا ، مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وست عشرة إصبعا .

*
* *

السنة السابعة من ولاية الملك العادل أبى بكر بن أيّوب على مصر ، وهى سنة ثلاث وستمائة .

فيها فارق وجه السَّبُعُ الحاجّ ، وقصد الشام مُغْضَبًا ، وكان فى الحجّ جماعة من الأعيان، فبكّوا وسألوه العود معهم على العادة، فقال . مولاى أمير المؤمنين محسن

(١) فى الأصل : « بنت شاهنشاه » . وما أثبتناه عن الذيل على الروضتين ومرآة الزمان وعقد الجمان .
(٢) الزيادة عن مرآة الزمان والذيل على الروضتين وعقد الجمان . (٣) زيادة عن مرآة الزمان والذيل على الروضتين وعقد الجمان وابن الأثير وتاريخ الاسلام . وهو أخو غياث الدين أبو الفتح محمد المذكور فى حوادث سنة ٥٩٩ هـ . (٤) الزيادة عن تاريخ الاسلام للذهبى وشذرات الذهب .
(٥) التكملة عن ابن الأثير والجامع المختصر وغاية النهاية .

إلىّ، وما أشكو إلّا من الوزير آبن مهدى[1]، وما عن التوجّه بُدٌّ، ففارقهم وسار إلى الشام، فتلقّاه الملك العادل صاحب الترجمة وأولاده، وأحسن العادل إليه وأكرم نُزُلَه، وحزن الخليفة على فراقه .

وفيها ولّى الخليفةُ عمادَ الدين أبا القاسم عبدَ الله بن الدّامَغانىّ الحنفىّ قاضى قضاة بغداد .

وفيها قبض الخليفة على عبد السلام بن عبد الوهاب بن الشيخ عبد القادر الجيلىّ، واستأصله حتّى احتاج إلى الطلب من الناس .

وفيها نزلت الفرنج على حِمْص ، وكان الملك الظاهر غازى صاحب حلب قد بعث المُبَارِز يوسف بن خَطْلُخ الحلبىّ إليها نجدةً لأسد الدين صاحبها، وحصل القتال بينهم وبين الفرنج وأسر الصَّمْصَام بن العَلَائىّ، وخادم صاحب حمص . ورجع الفرنج إلى بلادهم .

وفيها تُوفّى عبد الرزاق ابن الشيخ عبد القادر الجيلىّ المعروف بالكيلانى — رضى الله عنه — وكان عبد الرزاق هذا زاهدا ورِعا عابدا مُقْتَنِعًا من الدنيا باليسير صالحا ثقة ، لم يدخل فى الدنيا كما دخل فيها غيرُه من إخوته . وكان مولده سنة ثمانٍ وعشرين وخمسمائة، ومات فى شوّال ببغداد ودُفن بباب حرب .

وفيها تُوفّى أبو القاسم [أحمد][2] ابن المقرئ صاحب ديوان الخليفة ببغداد، كان شابًّا حسنا يعاشر ابن الأمير أُصْبَه، وكان ابن أصبه شابًّا جميلا، جلسا يوما فداعب ابنُ المقرئ ابنَ أُصْبَه فرماه بسكّين صغيرة، فوقعت فى فؤاده فقتلته، فسلّم الخليفة ابنَ المقرئ إلى أولاد أُصْبَه، فلمّا خرجوا به ليقتلوه أنشد .

(١) هو نصير الدين ناصر بن مهدى الرازى أبو الحسن . (عن ابن الأثير) .

(٢) زيادة عن الجامع المختصر .

قَدِمتُ على الإله بغير زادٍ * من الأعمال بالقلب السليم
وسوء الظن أن تعتدّ زادا * إذا كان القدوم على كريم

فقتلوه — رحمه الله تعالى — .

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال : وفيها توفّى أبو جعفر محمد بن أحمد بن نصر الصَّيْدَلَانِىّ، وله أربع وتسعون سنة . وأبو عبد الله محمد بن مُعَمَّر [بن عبد الواحد بن رَجَاء][1] بن الفاخر القُرَشِىّ . وأبو بكر عبد الرزّاق بن عبد القادر ابن أبى صالح الجِيلىّ الحافظ فى شوّال، وله خمس وسبعون سنة .

§ أمر النيل فى هذه السنة، الماء القديم خمس أذرع سواء . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وأربع أصابع .

* * *

السنة الثامنة من ولاية الملك العادل أبى بكر بن أيّوب على مصر، وهى سنة أربع وستمائة .

فيها ملك الأوحد آبن الملك العادل صاحب الترجمة خِلاط بمكاتبة أهلها بعد قتل آبن بُكْتُمُر[2] والهزار ديناري[3] المقدّم ذكرهما، وكانت بنت بكتمر مع صاحب أَرْزَن[4] الروم، فقالت بعد قتل أخيها — لا أرضى حتّى تَقتلَ قاتلَ أخى، وهو الهزار

(١) التكملة عن المختصر المحتاج اليه وتاريخ الإسلام للذهبى . (٢) كذا فى الأصل . وعبارة شذرات الذهب « وفيها تملك الملك الأوحد أيوب بن العادل مدينة خلاط بعد حرب جرت بينه و بين صاحبها بلبان ، ثم قتل بلبان بعد ذلك » . وما ذكره صاحب الشذرات ملخص ما فى ابن الأثير وعقد الجمان وتاريخ ابن الوردى وتاريخ الدول والملوك لابن الفرات فى حوادث السنة . وراجع الحاشية رقم ١ ص ١٨٨ من هذا الجزء . (٣) هو مغيث بن طغرل شاه بن قلج أرسلان .
(٤) أرزن الروم . مدينة مشهورة ، ولها قلعة حصينة وكانت من أعمر نواحى أرمينية . (عن معجم البلدان لياقوت) .

ديـــارى وتأخذ ثأره، فسار صاحب أرْزَن إلى خلاط ، وخرج الهـزار دينارى للقـائه ، فصربه صاحبُ أرْزَن فأبان رأســه ، وعاد إلى أرزن الروم . وبقيتْ خلاط بغير ملك ، وكان الأوحد بن العادل صاحب ميّافارِقين ، فكاتبوه أهلُ خلاط فجاء إليهم وآستولى عليها .

وفيها حجّ بالناس من العراق ياقوت[1] .

وفيها تُوفّى محمود[2] بن هبة الله بن أبى القاسم الحلبىّ أبو الثناء البَزّاز . كان فاضلاً قرأ القرآن، وسمع الحديث على إسماعيل بن موهوب بن الجَوَالِيقىّ ، وحَكَى عنه قال : كنتُ فى حَلْقة والدى بجامع القصر، فوقف عليه شابّ وقال: ما معنى قول القائل :

وَصْلُ الحبيبِ جِنانُ الخُلْدِ أسكُنها * وهجرُه النارُ يُصْلِينى به النارا
فالشمسُ بالقوس أمست[3] وهى نازلةٌ * إن لم يَزُرْنى وبالجَوْزاء إن زارا

وقال له والدى : يابنىّ ، هــذا شىء يتعلّق بعلم النجوم لا بعلم الأدب . ثم قام والدى وآلَى على نفسه ألّا يعود إلى مكانه حتّى ينظر فى علم النجوم، ويعرف مسير الشمس والقمر ، فنظر فيه وعَلِمه . ومعنى الشعر أنّ الشمس إذا نزلت القوس يكون الليل فى غاية الطول، وإذا كانت فى الجَوْزاء كان فى غاية القِصَر .

قلت : ومحصول البيتين : أنّه إذا لم يزره محبوبه كان الليل عليه أطول الليالى، وإذا زاره كان عليــه أقصر الليالى ، فقصــد القوس للطُّول ، والجوزاء للقِصَر . وهذا يُشْبِه قول القائل، وقد تقدّم ذلك فى غير هذا المحلّ من هذا الكتاب، :

---

(١) هو أمير الحاج مجاهد الدين ياقوت الرومى الناصرى (عن الجامع المختصر) .

(٢) فى الأصــل : «محمد بن هبة الله» . والتصويب عن الجامع المختصر والمختصر المحتاج إليه وشذرات الذهب والذيل على الروضتين وعقد الجمان ومرآة الزمان .

(٣) كذا فى الذيل على الروضتين . وفى الأصل «

ليلي وليلى هى نومى آحتلافهما * بالطول والطول يا طوبى لو آعتدلا[1]
يجود بالطول ليلي كلما بخلت * بالطول ليلى وإن جادت به بخلا

ومثل هذا قول شرف الدين أحمد بن نصر بن كامل — وقيل هما لغيره —

عهدى بهم ورداءُ الوصل يجمعنا . والليلُ أطولُه كاللمح بالبصر
فاليوم ليلىَ مذ غابوا فديتهم . ليلُ الضرير فصبحى غير منتظَر

ويعجبنى قول من قال — وهو قريب من هذا المعنى إن لم يكن هو بعينه — :

هجم السهاد على عيونى فى الدجى * سرق الرقادَ ودمعُ عينى سافحُ
وغدا يسامح للدجى فى بيعه * واللصُّ كيف يبيع فهو الرابحُ

وقد آستوعبنا هذا النوع (أعنى ماقيل فى طول الليل وقصره فى كتابنا المسمّى
بـ«حلية الصفات فى الأسماء والصناعات») فلينظر هناك فى حرف الطاء المهملة .

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال وفيها توفّى حنبل بن عبد الله
ابن الفرج بن سعادة أبو علىّ[2] الرُّصافىّ المكبِّر[3] [بجامع المهدى] الدلّال فى المحرّم .
وعبد المجيب بن عبد الله بن زُهَيْر الحَرْبِىّ بحَمَاة . وأبو الفضل عبد الواحد
ابن عبد السلام بن سلطان المقرئ. وستّ الكَتَبَة نعمة بنت علىّ بن يحيى [بن محمد][4]
ابن الطراح بدمشق .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وسبع أصابع . مبلغ
الزيادة سبع عشرة ذراعا سواء .

(١) هذان البيتان من قول الفضل بن عبد القاهر بن محمود بن على بن المهنأ بن أبى المكارم. راجعهما فى ص ٣ ج ٢ من الجزء الخامس من هذه الطبعة . (٢) كذا فى الأصل والذيل على الروضتين . وفى المختصر المحتاج اليه وشذرات الذهب «أبو عبد الله» وفى تاريخ الإسلام للذهبى «أبو على وأبو عبد الله» . وفى الجامع المختصر : «أبو الفرج» .

(٣) الزيادة عن تاريخ الاسلام للذهبى والمختصر المحتاج إليه . (٤) فى الأصل «نعمة بنت على بن يحيى بن الطرّاح» والتكملة والتصويب عن مرآة الزمان وعقد الجمان والذيل على الروضتين وتاريخ الاسلام للذهبى .

*
* *

السنة التاسعة من ولاية الملك العادل أبى بكر بن أيوب على مصر، وهى سنة خمس وستمائة .

فيها زُلزلت نيسابور زلزلة عظيمة دامت عشرة أيام، فمات تحت الردم خلقٌ كثير.

وفيها اتّفق الفرنج من طرابلس وحصن الأكراد[1] على الإغارة على أعمال حِمْص، فتوجّهوا إليها وحاصروها، فعجز صاحب حمص أسد الدين شِيرِكُوه عنهم، ونجدَه ابن عمّه الملك الظاهر غازى صاحب حلب ، فعاد الفرنج إلى طرابُلُس . وبلغ السلطانَ الملك العادل صاحبَ الترجمة، فخرج إليهم من مصر بالجيوش وقصد عَكّا، فصالحه صاحبها، فسار حتّى نزل على بحيرة قَدَس[2]، وأغار على بلاد طرابُلُس وأخذ من أعمالها حصنا صغيرا .

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة ، قال وفيها تُوفّى قاضى القضاة صدرالدين أبو القاسم عبد الملك بن عيسى بن دِرْباس بمصر عن تسع وثمانين سنة . والقاضى أبو الفتح محمد بن أحمد بن بَخْتيار بواسط فى شعبان، وله ثمان وثمانون سنة. وأبو الجود غِياثُ بن فارِس اللَّخْمىّ مقرئ ديار مصر. وأبو بكر محمد بن المبارك [بن محمد بن أحمد بن الحُسَين][3] بن مَشّق محدّث بغداد، وله آثنتان وسبعون سنة . والحسين بن أبى نصر [بن الحسين بن هبة الله بن أبى حَنيفة][4] بن القارص[5] الحريمىّ

(١) حصن الأكراد : حصن منيع حصين على الجبل الذى يقابل حمص من جهة الغرب ، وهو جبل الجليل المتصل بجبل لبنان ، وهو بين بعلبك وحمص (عن معجم البلدان لياقوت) وقد ذكر ابن الأثير وعقد الجمان هذه الواقعة فى السنة الماضية . (٢) فى الأصل « بحيرة حمص » . وما أثبتناه عن ابن الأثير وعقد الجمان وتاريخ الدول والملوك وتاريخ ابن الوردى . و بحيرة قدس قرب حمص بينها و بين جبل لبنان (عن معجم البلدان لياقوت) (٣) التكلة عن الجامع المختصر والمختصر المحتاج إليه من تاريخ بغداد . (٤) التكلة عن المختصر المحتاج إليه وشذرات الذهب وتاريخ الاسلام . (٥) فى الأصل « ابن الفارض محمد » والتصويب عن المشتبه والمختصر المحتاج إليه وشذرات الذهب وتاريخ الاسلام .

الضرير آخر من روى شيئا عن المُسْنَد، تُوفّى فى شعبان . وخطيب القُدْس علىّ بن محمد بن علىّ بن جَميل المَعَافِرى .

§ أمر النيل فى هـذه السنة — المـاء القديم خمس أذرع وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا واثنتا عشرة إصبعا .

*
* *

السنة العاشرة من ولاية الملك العادل أبى بكر بن أيُّوب على مصر، وهى سنة ست وستمائة .

فيها تُوفّى الحسن بن أحمد [بن محمد](١) بن جكينا من أهل الحرم الطاهرىّ، كان فاضلا رئيسا شاعرا . ومن شعره :

قد بان لى عُذْرُ الكرام وصدُّهم * عن أكثر الشـعراء ليس بعارِ
لم يسأموا بذل النوال وإنّمـا * جَمَدَ النَّدَى لبُرودة الأشـعار

وفيها تُوفّى محمد بن عمر بن الحسين العلّامة أبو المعالى(٢) فخر الدين الرازىّ المتكلّم صاحب التصانيف فى علم الكلام والمنطق والتفسير . كان إماما بارعا فى فنون من العلوم، صنّف « التفسير »(٣) و « المحصّل »(٤) و « الأربعين »(٥) و « نهاية العقول »(٦) وغير ذلك . قال صاحب المرآة : « واختصّ بكتب ابن سينا فى المنطق وشَرَحَها، وكان

(١) التكلة عن المختصر المحتاج إليـه من تاريخ بغداد . ولم يذكر سـنة وفاته، وفى فوات الوفيات لابن شاكر أن وفاته كانت سنة ٥٢٨ هـ، ووافقه على ذلك صاحب شذرات الذهب .
(٢) كذا فى الأصل ومرآة الزمان . وفى ابن خلكان وشـذرات الذهب وطبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة . « أبو عبد الله » . وفى عقد الجمان « العلامة أبو عبد الله وأبو المعالى » .
(٣) هو التفسير الكبير، ويسمى مفاتيح الغيب، كما فى كشف الظنون . (٤) هو محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من الحكماء والمتكلمين (عن كشف الظنون) . (٥) هو كتاب الأربعين فى أصـول الدين، ألفه لولده محمد ورتبه على أربعين مسألة من مسائل الكلام (عن كشف الظنون) .
(٦) هو نهاية العقول فى الكلام فى دراية الأصول (يعنى أصول الفقه) (عن كشف الظنون) .

يعظ وينال من الكرّامية[1] وينالون منه، ويكفّرهم ويكفّرونه، وقيل: إنّهم دسّوا عليه من سقاه السم فمات ففرحوا بموته، وكانوا يرمونه بالكبائر، وكانت وفاته في ذي الحجّة. ثم ذكر عنه صاحب المرآة أشياء، الأليق الإضراب عنها والسكات عن ذكرها.

٥ وفيها توفّى المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم أبو السعادات مجد الدين ابن الأثير المَوْصِلِيّ الجَزَرِيّ الكاتب، وُلد سنة أربعين[2] وخمسمائة بجزيرة ابن عمر، ثم انتقل إلى الموصل وكتب لأمرائها، وكانوا يحترمونه، وكان عندهم بمنزلة الوزير الناصح إلّا أنّه كان منقطعا إلى العلم قليل الملازمة لهم. صنّف الكُتُب الحِسان، منها: «جامع الأصول في أحاديث الرسول»، جمع فيه بين الصِّحاح[3] الستة. وكتاب «النهاية في غريب الحديث» في خمسة مجلدات. وكتاب «الإنصاف في الجمع بين ١٠ الكشف[4] والكشّاف» في تفسير القرآن، أخذه من تفسير الثّعلبيّ[5] والزمخشريّ[6]، وله كتاب «المصطفى والمختار في الأدعية والأذكار» وله كتاب لطيف في صناعة الكتابة، وكتاب «البديع في شرح الفصول في النحو لابن الدّهان[7]» وله «ديوان رسائل»، وكتاب «الشافي في شرح مسند الإمام الشافعيّ» — رضي الله عنه —. ومن شعره

١٥ (١) الكرامية فرقة تنسب الى زعيمها محمد بن كرام ولها بدع وعادات أظهرها أن ابن كرام كان يعتقد أن معبوده جسم له حدّ ونهاية (راجع الكلام عليهم في كتاب الفرق بين الفرق ص ٢٠٢ — ٢١٤).
(٢) في الجامع المختصر ووفيات الأعيان: «ولد في سنة أربع وأربعين وخمسمائة».
(٣) في الأصل: «جمع فيه من الصحاح». وما أثبتناه عن ترجمته في صدر كتابه النهاية في غريب الحديث ووفيات الأعيان لابن خلكان. (٤) كذا في الأصل وابن خلكان. وفي كشف الظنون:
٢٠ «الانصاف في الجمع بين الثعلبي والكشاف». (٥) تفسير الثعلبي هو الكشف والبيان في تفسير القرآن، لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري. تقدمت وفاته سنة ٤٢٧ هـ.
(٦) هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الزمخشري الخوارزمي صاحب تفسير الكشاف. تقدمت وفاته سنة ٥٣٨ هـ. (٧) هو سعيد بن المبارك بن علي بن عبد الله الإمام ناصح الدين ابن الدهان النحوي. تقدمت وفاته سنة ٥٦٩ هـ.

— رحمه الله — ما أنشده لصاحب الموصل ، وقد زلّت به بغلته وألقته إلى الأرض .

إن زلّت البغلةُ من تحته * فإنّ في زلّتها عُذْرَا
حمّلها من علمه شاهقًا * أو من ندى راحته بحرَا

وكانت وفاته بالموصل في يوم الخميس سلخ ذي الحجّة ، ودفن برباطه بدرب درّاج[1]، وهو أخو أبي الحسن علىّ[2] بن الجَزَرِىّ الكاتب .

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال : وفيها تُوفّى القاضي وجيه الدين أسعد بن المُنَجَّا التَّنُوخىّ في المحرّم ، وله سبع وثمانون سنة . وأبو مسلم المؤيّد [هشام][3] بن عبد الرحيم [بن أحمد بن محمد][3] بن الإخوة العدل بأصبهان في جُمَادى الآخرة . وأبو عبد الله محمود بن أحمد المُضَرِىّ[4] الأصبهانىّ إمام جامع أصبهان عن تسع وثمانين سنة . وأبو القاسم إدريس بن محمد العطّار بأصبهان، وله نحو مائة سنة . وفخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين الرازىّ المصنّف ابن خطيب الرىّ يوم عيد الفطر، وله اثنتان وستون سنة . ومجد الدين يحيى بن الربيع الواسطىّ مدرس النظامية عن ثمان وسبعين[5] سنة . ومجد الدين أبو السعادات المبارك بن الأثير الجَزَرِىّ الكاتب صاحب « جامع الأصول » و « النهاية » في سلخ العام، وله ثلاث

(١) درب درّاج : محلة كبيرة في وسط مدينة الموصل ، يسكنها الخالديان الشاعران (عن معجم البلدان لياقوت) . (٢) هو عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرام محمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير الجزري صاحب التاريخ المشهور . وسيذكر المؤلف وفاته سنة ٦٣٠ هـ . (٣) التكملة عن شذرات الذهب وتاريخ الإسلام للذهبي . (٤) في الأصل : « المصرى » وهو تصحيف . والتصويب عن تاريخ الإسلام والمشتبه في أسماء الرجال للذهبي . (٥) في الأصل : « ثمان وستين » . والتصويب عن تاريخ الاسلام وشذرات الذهب والمختصر المحتاج إليه ، لأنه ولد سنة ٥٢٨ هـ .

وستون سنة . وأمّ هانئ عُفَيْفَة بنت أحمـد الفَارِفَانِيّة[(١)] مُسْنِدة أصبهان ، ولها ستّ وتسعون سنة .

§ أمر النيل فى هذه السـنة ــ المـاء القديم خمس أذرع وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وست عشرة إصبعا .

*
* *

السنة الحادية عشرة من ولاية الملك العادل أبى بكر بن أيّوب على مصر، وهى سنة سبع وستّمائة .

فيها حجّ بالناس من الشام سيف الدّين [علىّ][(٢)] بن عَلَم الدين سليمان بن جَنْدَر .

وفيها تُوفّى أَرسلان [شاه][(٣)] بن عزّ الدين مسعود الأمير نور الدين الأتابَك صاحب الموصل، كان متكبّرا جبّارا بخيلا فاتكا سفّاكا للدماء، حبس أخاه علاء الدين[(٤)] سنين حتّى مات فى حبسه ، وولّى الموصلَ لرجل ظالم يقـال له السراج فأهلك الحَرْث والنَّسْل ، وكانت وفاة أَرسلان هـذا فى صفر . وخلّف ولدين . القاهرَ[(٥)] مسعودا وزنكى[(٦)]، وأوصى إلى بدر الدين لؤلؤ[(٧)] أن يكون مسـعودٌ السلطانَ و يكون زنكى فى شَهرَزُور[(٨)] .

(١) الفارفانية : نسبة الى فارفان : قرية من قرى أصبهان . (٢) زيادة عن الذيل على الروضتين وعقد الجمان . (٣) الزيادة عن تاريخ الاسلام وشذرات الذهب وتاريخ ابن الوردى وعقد الجمان . (٤) فى الأصل : « عماد الدين » . وما أثبتناه عن الذيل على الروضتين ومرآة الزمان وابن الأثير . وهو علاء الدين خرمشاه بن عز الدين مسعود بن مودود بن زنكى كما فى ابن الأثير .
(٥) هو الملك القاهر عز الدين مسعود بن نور الدين أرسلان شاه . (٦) هو الملك المنصور عماد الدين زنكى بن نور الدين أرسلان شاه . (٧) هو الأمير بدر الدين أبو الفضائل لؤلؤ الذى تغلب على الموصل وملكها فى سنة ٦٣٠ هـ فى أواخر شهر رمضان ، وكان قبل نائبها ثم استقل (عن عقد الجمان وشذرات الذهب) . (٨) راجع الحاشية رقم ٤ ص ١٨٣ من الجزء الثالث من هذه الطبعة .

وفيها توفى عبد الوهّاب بن علىّ الشيخ أبو محمد الصُّوفىّ[1] ضياء الدين المعروف بابن سُكَيْنة سِبْط شيخ الشيوخ إسماعيل بن أحمد النَّيسابورىّ . وكان فاضلا محدّثا عابدا زاهدا ، وكان يُنشد لمحمد الفارِقىّ[2] — رحمه الله — .

تحمَّلْ أخاك على خُلْقِه * فما فى آستقامته مَطْمَعُ
وأنّى له خُلُقٌ واحد * وفيه طبائعه الأربعُ

وفيها تُوفّى عمر بن محمد بن مُعَمَّر بن أحمد بن يحيى بن حَسّان المُسْنِد الكبير رُحْلَة الآفاق أبو حفص بن أبى بكر البغدادىّ الدَّارَقَزّىّ[3] المؤدِّب المعروف بآبن طَبَرْزَذ، والطَّبَرْزَذ : هو السكّر . وُلِد فى ذى الحِجّة سنة ست عشرة وخمسمائة، وسمع الكثير بإفادة أخيه المحدّث أبى البقاء محمد ثم بنفسه، وحصّل الأصول وحفظها إلى وقت الحاجة إليه، فلمّا كبِرتْ سِنُّه حدّث بالكثير، وصار رُحْلَةَ الزمان إلى أن مات فى تاسع شهر رجب ببغداد، ودُفِن بباب حرب .

وفيها تُوفّى محمد بن أحمد بن محمد بن قُدَامة بن مقدام الإمام القُدْوة الزاهد أبو عمر المَقْدِسىّ الجَمَّاعِيلىّ . قال آبن أخته الحافظ ضياء الدين : مولده فى ثمانٍ وعشرين وخمسمائة بجَمّاعِيل ، وسمِع الكثير بدمَشق من والده وخَلْقٍ كثير سواه، وروى عنه أخوه الشيخ المُوَفَّق[4] وولداه شرف الدين عبد الله وشمس الدين عبد الرحمن وجماعة كثيرة ، وكان إماما عالما زاهدا وَرِعًا مُتْقِنًا متعبّدًا : قال أبو المظفّر . وكان معتدلَ القامة حسنَ الوجه، عليه أنوار العبادة لا يزال مبتسما ،

(١) كذا فى الأصل وعقد الجمان والبداية والنهاية لابن كثير والذيل على الروضتين . وفى المختصر المحتاج اليه وشذرات الذهب وغاية النهاية : «أبو أحمد» . (٢) الفارقى : نسبة الى ميافارقين .
(٣) الدارقزى : نسبة الى دار القز، محلة ببغداد .
(٤) هو عبد الله صاحب المغنى والمقنع توفى سنة ٦٢٠ هـ كما فى مختصر طبقات الحنابلة .

نحيلَ الجسم من كثرة الصيام والقيام . ثم قال — بعد كلام طويل و بعد أن أورد أشعارا كثيرة — وأنشدنى لغيره :

لى حيلةٌ فيمَنْ ينـمّ وليس فى الكذّاب حيله
من كان يخلُق ما يقو * ل فحيلتى فيه قليله

وفيها تُوفّى الوجيه بن النُّورِىّ المصرىّ الفقيه المقرئ الحنفىّ إمام مقصورة الحنفية العربية بجامع دمشق ، كان صالحا ديّنا فقيرا قارئا للقرآن بالسبع . قال أبو المظفّر وأنشد لغيره :

ومن عادة السادات أن يتفقّدُوا * أصاغرهم والمَكْرُمَاتُ مصايدُ
سليمانُ ذو ملك تفقد هُدْهُدًا * وإنّ أقلّ الطائرات الهداهدُ

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال : وفيها توفى أبو محمد جعفر بن محمد [بن أبى محمد](1) بن آموسان(2) الأصبهانىّ بعد حجّه بالمدينة فى المحرّم ، وله خمس وسبعون سنة . وأبو محمد عبد الوهّاب ابن الأمين علىّ بن سُكَيْنة(3) الصوفىّ مسند العراق وشيخها ، وله ثمان وثمانون سنة . مات فى شهر ربيع الآخر . والشيخ أبو عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قُدَامة الزاهد شيخ المقادسة فى شهر ربيع الآخر، وله تسع وسبعون سنة . وعائشة بنت مُعَمَّر بن الفاخر عن بضع وثمانين سنة . وأبو الفرج محمد بن هبة الله بن كامل الوكيل ببغداد عن خمس وثمانين سنة . وأبو حفص عمر ابن محمد بن مُعَمَّر بن طَبَرْزَد عن إحدى وتسعين سنة، كلاهما فى رجب . وأبو المجد زاهر(4) بن أحمد بن أبى غانم الثَّقَفِىّ الأصبهانىّ وقد قارب التسعين

(1) التكملة عن المختصر المحتاج إليه من تاريخ بغداد وتاريخ الإسلام للذهبى .
(2) فى الأصل «أبو بيان» . والتصويب عن المختصر المحتاج إليه وشذرات الذهب وتذكرة الحفاظ وتاريخ الإسلام للذهبى (3) راجع الحاشية رقم ١ من الصفحة السابقة .
(4) فى الأصل «راهد» والتصويب عن تاريخ الإسلام للذهبى وشذرات الذهب وشرح القصيدة اللامية فى التاريخ .

فى ذى القعدة . وأسعد بن سعيد [بن محمود بن محمد بن أحمد بن جعفر] (١) بن رَوْح التاجر بأصبهان فى ذى الحجة ، وله تسعون سنة ، وخُتِم به حديث الطَّبَرَانِىّ فى الدنيا .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم لم يوجد له قاعٌ فى هذه السنة . مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعا (٢) وأربع أصابع، بعد ما توقّف عن الزيادة أيّاما .

* * *

السنة الثانيـة عشرة من ولاية الملك العادل أبى بكر بن أيّوب على مصر، وهى سنة ثمان وستمائة .

فيها قدم بغداد رسول جلال الدين حسن صاحب أَلَمُوت (٣)، يخبر الخليفة بأنهم تبرّءوا من الباطنيّة ، وبَنَوا الجوامع والمساجد، وأُقيمت الجمعة والجماعات عندهم ، وصلّوا التراويح فى شهر رمضان ، فسرّ الخليفة والناس بذلك . وقدِمت الخاتون أمّ جلال الدين حاجّة، واَحْتَفَل (٤) بها الخليفة، وجهّز لها ما يليق بها ؟

وفيها بعث الخليفة الناصر لدين الله خاتمه للأمير وجه السَّبُع بالشام، وقد تقدّم ذكره فيما مضى ، فتوجّه وجهُ السبع إلى الخليفة ومعه رسول الملك العادل صاحب الترجمة، فأكرم الخليفة وجه السبع، وأعطاه الكوفةَ إقطاعا .

وفيها تُوفّى عبد الواحد بن عبد الوهّاب بن علىّ بن سُكَيْنَة ويُلَقّب بالمعين . وُلِد سنة اَثنتين وخمسين وخمسمائة ، وسافر إلى الشام فى أيام الأفضل، وبسط

(١) الكلمة عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب (٢) كذا فى الأصل وفى درر التيجان « ست عشرة ذراعا وست أصابع» . وفى كنز الدر «ست عشرة ذراعا فقط »
(٣) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١١٧ من هذا الجزء (٤) فى الأصل «واحتفل اليها الخليفة » . والتصويب عن الذيل على الروضتين ومرآة الزمان

لسانه فى الدولة، ثم عاد إلى بغداد بأمان من الخليفة، وولِىَ مشيخة الشيوخ . ومات غريقًا فى البحر، وكان سمع جدّه لأمّه شيخ الشيوخ عبد الرحيم[1] وغيره . وأنشد لجَدّه المذكور قوله فى الخضاب :

ولم أخضِب مَشيبى وهو زَينٌ * لإيثارى جهالاتِ الشّباب
ولكن كى يَرانى من أعادِى * فأرْهِبَه بوَثْبات التّصابِى

وفيها تُوفّى مظفر الماسكِى[2] البغدادىّ، كان ظريفًا أديبا، وكان يقول من الشعر « كان وكان »[3] وغيره . ومن شعره فى « كان وكان » قولُه :

دى زوجها ما شطها وكل من جا حفّها
قَصْدُهْ يرى النقش عندهْ فى كفّها ألوانْ
إن شدرت فلوجههْ تصيب قبلَ كُفوفها
ما صحّ داك النشادرْ إلّا من الدخانْ

الدين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال : وفيها تُوفّى[4] أبو المعالى محمد ابن صالح آخر من حدّث عن المَيُورْقِىّ . ويحيى بن البنّاء، وله تسعون سنة . وأبو الفتح منصور بن عبد المنعم بن عبد الله بن [محمد][5] الفرَاوىّ العدل بنَيْسابور، وله ستّ وثمانون سنة فى شعبان . والقاضى أبو القاسم هبة الله بن جعفر بن سنَاء المُلك بمصر . وأبو عبد الله محمد بن أيّوب بن محمد بن [وهب بن محمد بن وهب][5] بن نُوح

(١) هو عبد الرحيم بن إسماعيل بن أبى سعد شيخ الشيوخ . ذكره المؤلف فى حوادث سنة ٥٨٠ هـ .
(٢) كذا فى الأصل وعقد الجمان . وفى مرآة الزمان : « مظفر القماسكى » .
(٣) كان وكان هو أحد الأوزان المستحدثة فى الشعر . اخترعه البغداديون وسموه بذلك لأنه غالبا يشتمل على الحكايات والقصص . (٤) لم نجد هذا الاسم فيمن ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة فى تاريخ الإسلام . (٥) التكملة عن شذرات الذهب والمختصر المحتاج اليه وتاريخ الإسلام .

الغافقى[1] سلفسية، وله ثمان وسبعون سنة. والخضر بن كامل [بن سالم][2] بن سبيع الدلال بدمشق. وأبو العباس أحمد بن الحسن بن أبى البقاء العاقولى[3] فى ذى الحجة ببغداد.

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وست أصابع. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وعشر أصابع.



السنة الثالثة عشرة من ولاية الملك العادل أبى بكر بن أيوب على مصر. وهى سنة تسع وستمائة.

فيها اجتمع الملك العادل المذكور وأولاده: الكامل والفائز والمعظم على دمياط لقتال الفرنج، وكان الأمير أسامة بالقاهرة، واتهم بمكاتبة الملك الظاهر غازى صاحب حلب، ووجدوا كتبا إليه وأجوبة، فخرج أسامة المذكور من القاهرة كأنه يتصيد وساق إلى الشام فى مماليكه يطلب قلعة كوكب وعجلون. وكان ذلك فى يوم الاثنين سلخ جمادى الآخرة. فأرسل والى بلبيس الحمام إلى دمياط بالخبر، فقال العادل. من ساق خلفه فله أمواله وقلاعه، فقال ولده الملك المعظم عيسى أنا، وركب من دمياط يوم الثلاثاء غرة رجب. قال أبو المظفر سبط ابن الجوزى: «وكنت معه، فقال لى: أنا أريد أن أسوق فأنت مع قماشى ودفع لى بغلة، وساق ومعه نفر يسير وعلى يده حصان، فكان صباح يوم الجمعة بغزة، [ساق مسيرة[4] ثمانية أيام فى ثلاثة أيام] فسبق أسامة. [وأما أسامة][4] فتقطع عنه مماليكه وبقى

(١) الغافقى: نسبة إلى غافق، حصن بالأندلس (عن لب اللباب). (٢) التكملة عن شذرات الذهب والمختصر المحتاج اليه وتاريخ الاسلام. (٣) العاقولى: نسبة إلى دير العاقول، وهو بين مدائن كسرى والنعمانية، بينه وبين بغداد خمسة عشر فرسخا (عن معجم البلدان لياقوت).
(٤) الزيادة عن مرآة الزمان وعقد الجمان والذيل على الروضتين.

وحدَه، وكان به مرض النِّقْرِس (يعنى بأسامة)، فجاء إلى بلد الدَّارُوم(١)، وكان المعظَّم أمْسك عليــه من البحــر إلى الزَّرْقاء(٢)، فرآه بعض الصيّادين فى بَرِّيَة الدَّارُوم فعرفه، فقال له : انزِلْ، فقال : هذه ألفُ دينار وأوصلْنِي إلى الشام، فأخذها الصيّاد وجاء إلى رِفاقه [فعرفوه أيضا](٣)، فأخذوه على طريق الخَلِيل(٤) ليحملوه إلى عَجْلُون، فدخلوا به إلى القُدْس فى يوم الأحد فى سادس رجب بعد وصول المعظَّم بثلاثة أيام، فتسلّمه المعظَّم وأنزله بِصِهْيَوْن، وبعث إليــه بثياب وطعام ولاطفه [وراسـله](٣) وقال له : أنت شيخ كبير وبك نِقْرِس وما تصلُح لك قلعة، سلِّم إلىّ كَوْكَب وعَجْلُون، وأنا أحْلِف لك على مالك وجميع أسبابك، وتعيش بيننا مثلَ الوالد. فامتنع وشتَم المعظَّم، فبعث به المعظَّم إلى الكَرَك فاعتقله بها، واستولى على قِلاعه وأمواله وذخائره [وخيله](٣)، فكان قيمةُ ما أخذ منه ألفَ ألفِ دينار.

وفيها حجّ بالناس من العراق حُسَام الدين بن أبى فِراس(٥) نيابةً عن محمد بن ياقوت، وكان معه مال وخِلَع لقَتادة(٦) صاحب مكّة. وحجّ بالناس من الشام شجاع الدين بن مُحارِب(٧)، من على أيْلَة(٨).

(١) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٤٧ من الجزء الخامس من هذه الطبعة.
(٢) الزرقاء : موضع بالشام بناحية معان، وهو نهر عظيم (عن معجم البلدان لياقوت).
(٣) زيادة عن مرآة الزمان وعقد الجمان والذيل على الروضتين.
(٤) فى الأصل : «على طريق الجبل». وما أثبتناه عن مرآة الزمان وعقد الجمان والذيل على الروضتين، والخليل اسم موضع وبلدة فيها حصن وعمارة وسوق بقرب البيت المقدس بينهما مسيرة يوم، فيه قبر الخليل إبراهيم عليه السلام فى مغارة تحت الأرض (عن معجم البلدان لياقوت).
(٥) فى الأصل : «حسام الدين أبو الفوارس». وما أثبتناه عن الذيل على الروضتين وعقد الجمان ومرآة الزمان وما سيذكره المؤلف فى السنة الآتية.
(٦) هو قتادة بن إدريس الحسنى أمير مكة (عن ابن الأثير).
(٧) فى الذيل على الروضتين : «شجاع الدين محارب».
(٨) أيلة : هذه البلدة هى التى تعرف اليوم باسم «العقبة» وكانت تابعة لمصر. وأما الآن فهى من بلاد إمارة شرق الأردن (بقارة آسيا) وهى ميناء بحرية واقعة فى شمال خليج العقبة الواقع فى شمال البحر الأحمر، ويفصل بين شبه جزيرة طور سينا وبين بلاد العرب.

وفيها تُوفِّى الملك الأوحد نجم الدين أيّوب ابن السلطان الملك العادل أبي بكر صاحب الترجمة. كان صاحبَ خِلاط وغيرِها في أيام أبيه الملك العادل، وقد تقدّم ذكْرُ أخذه خِلاطَ وغيرَها، وكان قد ٱبتُلِيَ بأمراض مزمنة، وكان يتمنّى الموت وكان قد ٱستزار أخاه الملكَ الأشرفَ موسى من حَرّان، فأقام عنده أياما، وٱشتدّ مرضه فطلب الأشرفُ الرجوع إلى حَرّان لئلا يتخيّل منه الأوحد، فقال له الأوحد: يا أخِي، لِمَ تُلِحُّ في الرَّوَاح! والله إنّي ميِّت وأنت تأخذ البلاد من بعدي، فكان كذلك. وملك الأشرفُ بعد موته خِلَاطَ وأحبّه أهلُها. كلُّ ذلك في حياة أبيهما الملك العادل هذا. وكانت مدّة تملُّك الأوحد خلَاطَ أقلّ من خمس سنين، ووجد عليه الملكُ العادل كثيرا.

وفيها تُوفِّى محمود بن عثمان بن مكارم أبو الثناء الحنبليّ، كان شيخًا زاهدا عابدا صاحب رياضات ومجاهدات يصوم الدهر، وٱنتفع بصحبته خَلْق كثير، وكان من الأبدال.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها تُوفِّى أبو جعفر أحمد ابن عليّ الأنصاريّ الدَّانِيّ[1] الحَصّار المقرئ ببَلَنْسِيَة، ٱستُشْهِد في وقعة العُقاب[2] هو وخَلْق من المسلمين. وأبو الفرج محمد بن عليّ بن حَمْزة بن القُبَّيْطيّ، وله نيِّف وثمانون سنة. والحافظ أبو نِزار ربيعة بن الحسن الحَضْرَمِيّ اليَمَنِيّ بمصر عن ٱثنتين وثمانين سنة[3]. وأبو [شجاع][4] زاهر بن رُسْتم المقرئ بمكّة.

---

(١) الدانى: نسبة إلى دانية، مدينة بالأندلس. (٢) وقعة العقاب، كانت ملحمة عظيمة بالأندلس بين الناصر محمد بن يعقوب بن يوسف و بين الفرنج. ونصر الله فيها الاسلام، واستشهد بها عدد كثير (راجع شذرات الذهب وعقد الجمان وتاريخ الاسلام في حوادث هذه السنة).

(٣) في شذرات الذهب وتاريخ الاسلام: «عن أربع وثمانين سنة».

(٤) التكملة عن شذرات الذهب وتاريخ الإسلام وغاية النهاية في طبقات القراء.

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم أربع أذرع وعشر أصابع . مبلغ الزيادة ستّ عشرةَ ذراعا وإحدى عشرة إصبعا .

* * *

السنة الرابعة عشرة من ولاية الملك العادل أبى بكر بن أيّوب على مصر، وهى سنة عشر وستمائة .

فيها حجّ بالناس من العراق ٱبن أبى فِراس نيابةً عن ٱبن ياقوت . وحجّ بالناس من الشام العزيز[1] صديق بن تمرداش التُّرْكمانِىّ من على عَقَبة أَيْلَة[2] بحُجّاج الكَرَك والقُدْس . وحجّ فى هذه السنة الملك الظافر[3] خِضْر ٱبن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب من على تَيْماء[4]، ومعه حجّ الشام بإذن عمِّه السلطان الملك العادل — فيما قيل — ، فلمّا بلغ الملكَ الكاملَ محمّد بن العادل أنّه توجّه إلى الحجاز خاف على بلاد اليمن منه ، فوجّه إليه عسكرا من مصر فلحِقُوه، وقالوا له : ٱرجع، فقال . قـد بقى بينى وبين مكّة مسافة يسيرة، والله ماقصدى اليمن، وإنّما قصدى الحجّ، فقيِّدونى وٱحتاطوا بى حتّى أقضىَ المناسك وأعودَ إلى الشام، فلم يلتفتوا لكلامه، فأراد أن يُقاتلهم فلم يكن له بهم طاقة، فرجع إلى الشام ولم يحجّ .

وفيها تُوُفِّىَ الأمير أَيْدُغْمُش صاحب هَمَذَان، أرسـله الخليفة إلى همذان فسار وٱنتظر العسكر وطال عليه الأمر فرحل عن هَمَـذان . فٱلتقاه عسكر مَنْكْلِى نُغا ملك

---

(١) فى الأصـل «العزيز صـديق» . وما أثبتناه عن مرآة الزمان وعقد الجمان والذيل على الروضتين . (٢) راجع الحاشية رقم ٨ ص ٢٠٦ من هذا الجزء . (٣) فى الأصل . «الملك الطاهر» . والتصويب عن مرآة الزمان والذيل على الروضتين وما تقدّم ذكره للمؤلف فى صفحة ٤٩ من هذا الجزء . (٤) تيماء : بليد فى أطراف الشام، بين الشام ووادى القرى على طريق حاجّ الشام ودمشق، والأبلق الفرد حصن السموءل بن عادياء اليهودى مشرف عليها (عن معجم البلدان لياقوت) .

التتار، وقاتلوه فقتلوه[1]، وحملوا رأسه إلى مَنْكَلِى بُغا المذكور. وكان أميرًا صالحًا كثير الصدقات ديِّنًا صائمًا عادلا كثير المحاسن — رحمه الله —.

وفيها تُوفّى الوزير الرئيس سعيد بن علىّ بن أحمد أبو المعالى بن حَدِيدَة من ولد قُطْبَة[2] بن عامر بن حَدِيدَة الأنصارىّ الصحابىّ. وكان مولده بكَرْخ سَامَرَّا سنة ست وثلاثين وخمسمائة؛ وكان له مال كثير، واستوزره الخليفة الناصر لدين الله، ووقع له بعد ذلك مِحَنٌ، فهرب واختفى إلى أن تُوُفِّى.

وفيها تُوفّى الأمير سنجر [بن عبد الله][3] الناصرىّ صِهْر طَاشْتِكِين، وكان ذليلًا بخيلًا ساقط النفس مع كثرة المال. وتولّى مرّة إمْرَة الحاجّ [سنة تسع وثمانين وخمسمائة] فاعترض الحاجّ رجل بدوىّ[4] فى نفر يسير جدًّا، وكان مع سنجر هذا خمسمائة نفس، فذلّ وجَبُن عن ملاقاته، وجَبَى له مالًا من الحجّ؛ فلمّا دخل بغداد رَسَم عليه الخليفة حتّى أخذ منه المال وردّه إلى أصحابه، ثمّ عزله وأخذ إقطاعه.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: وفيها تُوُفِّى أبو الحسن مهذّب الدين علىّ بن أحمد بن علىّ [المعروف بابن هُبَل][5] البغدادىّ الطبيب بالمَوْصل. وأبو عبدالله الحسين[6] بن سعيد بن الحسين بن شُنَيْف الدَّارَقَزِّىّ الأمين ببغداد، كلاهما فى المحرّم. وأمّ النور عين الشمس بنت أحمد بن أبى الفرج الثَّقَفِيّة، ولها ستّ وثمانون سنة. وأبو مسعود عبد الجليل بن أبى غالب [بن[7] أبى المعالى بن محمد بن الحسين]

(١) راجع هذه الحادثة فى تاريخ الاسلام وشذرات الذهب وعقد الجمان ومرآة الزمان وابن الأثير فقد ذكرتها تلك المصادر بتفصيل وتوضيح عما هنا. (٢) فى الأصل: «من ولد عطية بن عامر». والتصويب عن طبقات ابن سعد (ج٣ قسم ثان ص ١١٧). (٣) الزيادة عن مرآة الزمان وعقد الجمان والذيل على الروضتين. (٤) فى مرآة الزمان والذيل على الروضتين وعقد الجمان «يقال له دهمش». (٥) الزيادة عن تاريخ الاسلام وشذرات الذهب والمختصر المحتاج اليه.
(٦) فى الأصل: «الحسن». وما أثبتناه عن المختصر المحتاج اليه من تاريخ بغداد وشرح القصيدة اللامية فى التاريخ وتاريخ الاسلام. (٧) التكملة عن تاريخ الاسلام.

ابن مندويه الصوفىّ بدمشق عن ثمان وثمانين سنة، وإنّما سمع فى كبره. وتاج الأمناء أحمد بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقىّ . والفخر إسماعيل بن علىّ الحنبلىّ المتكلّم غلام بن المنّى[1] .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وعشر أصابع . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وإصبع واحدة .

٥

* * *

السنة الخامسة عشرة من ولاية الملك العادل أبى بكر بن أيّوب على مصر، وهى سنة إحدى عشرة وستمائة .

قلت : وفى مدّة هذه السنين كلّها [كان][2] صاحب مصر ولده الكامل محمد بن العادل ، والملك العادل يتنقّل فى البلاد ، غير أنّه هو الأصل فى السلطنة وعليه المعوّل ؛ ولا تحسب سلطنة الكامل على مصر إلّا بعد موت أبيه العادل هذا ، كما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى .

١٠

فيها ملك اليمن أَضْسِيس[3] بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبى بكر صاحب الترجمة . ولُقّب أَضْسِيس المذكور بالملك المسعود ، والعامّة يسمّونه «أقسيس» وغلب عليه مقالة العامّة، والصواب ما قلناه لأنّ والده الملك الكامل ما كان يعيش له ولد، فلمّا وُلِد له هذا أَضْسِيس قال له بعض الأتراك : فى بلادنا إذا كان[4] الإنسان

١٥

(١) فى الأصل : « ابن النبىّ » . والتصويب عن تاريخ الاسلام وشذرات الذهب .
(٢) زيادة يقتضيها السياق . (٣) كذا ورد بالأصل ، وذكر صاحب عقد الجمان فى حوادث سنتى ٦١١ هـ و ٦١٥ هـ عدّة روايات لهذا الاسم ؛ أتسز، أتسيز، أقسيس ، أطسز ، أطسيز، أطسيس ، أقسيس . واقتصر صاحب مرآة الزمان على رواية : أقسيس . واسمه الملك المسعود صلاح الدين أبو المظفر يوسف ابن الملك الكامل .
٢٠
(٤) فى الأصل : «إذا ما عاش للشخص ولد» . وما أثبتناه عن عقد الجمان فى حوادث سنة ٦١٥ هـ .

لا يعيش له ولد يسمّونه أَضْسيس . ومعناه باللغة التركية : ماله آسم ؛ فسمّاه والده الملكُ الكاملُ بذلك، فلمّا كَبِر ثَقُلَ على العامّة لفظُ أَضْسيس، فسمّوه « أقسيس » . انتهى .

وكان أقْسيس المذكور شابًا جبّارا فاتكا قتَـل باليمن نحو ثمـانمائة شريف . ودخل إلى مكّة إلى حاشـية الطواف راكبًا . وقيـل إنه : كان يَسْكَر وينام بدارٍ على المَسْعَى، فتخرُج أعوانُه تمنع الناس من الصِّياح والصَّجيج فى المَسْعَى، ويقولون : الأمير سكران نائم! لا ترفعوا أصواتكم بالذكر والتَّلْبِيَة! وقتَل أَقْسيس هذا خَلْقًا كثيرا من الأكابر والعظماء . ولو لم يحجّ عمُّـه الملك المعظّم عيسى صاحب دمشق ما قدر أقْسيس هذا على أحد اليمن . كلّ ذلك فى حياة جَدّه الملك العادل صاحب الترجمه .

وفيها أخذ الملك المعظم عيسى آبن الملك العادل هذا قلعه صَرْخَد من الأمير [آبن][1] قراجا، وعوّضه مالًا وإقطاعا .

وفيها حجّ بالناس من العراق آبن أبى فِراس بن ورّام نائبا عن محمد بن ياقوت .

وفيها حجّ الملك المعظّم عيسى المقدّم ذكره من دمشق، وحجّ معه عِدّة أمراء من أعيان دمشق، وحجّ على مذهب أبى حنيفة وآستمرّ على المذهب، وكلّمه والده الملك العـادل صاحب الترجمة فى العَوْد إلى مذهب الشافعىّ فلم يقبـل، وجاوبه بكلام السُّكَاتُ عنه ألْيق .

وفيهـا تُوفّى عبـد العزيز بن محمود بن المُبارك [بن محمود بن الأخضر][2] الشيخ أبو محمد البزّار ، سمـع الحديث وأكثر وصنّف وكتب، وكان فاضلًا دينًّا صالحا . مات فى شوّال .

(١) تكملة عن مرآة الزمان وعقد الجمان والذيل على الروضتين

(٢) زيادة عن تاريخ الاسلام للذهبى والمختصر المحتاج إليه .

الذين ذكر الذهبيُّ وفاتَهم فى هذه السنة، قال : وفيها توفّى الحافظ شرف الدين أبو الحسن علىّ بن المفضَّل بن [علىّ] (١) المَقْدِسِىّ الإسكندرانىّ المالكىّ، وله سبع وستون سنة . وفقيه بغداد أبو بكر محمد بن مَعَالِى بن غَنِيمة بن الحلاوى الحنبلىّ، وكان من أبناء السبعين (٢) . والحافظ عبد العزيز بن محمود [بن المبارك (٣) بن محمود] بن الأخضر، وله سبع وثمانون سنة فى شوّال .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ثلاث أذرع وأربعَ عشرةَ إصبعا . مبلغ الزيادة ستَّ عشرةَ ذراعا وثمانى عشرةَ إصبعا .

+ + +

السنة السادسة عشرة من ولاية الملك العادل أبى بكر بن أيّوب على مصر، وهى سنة اثنتى عشرة وستمائة .

فيها خرج وجهُ السَّبُع من بغداد بالعساكر إلى هَمَذان للقاء مَنْكَلِى مملوك السلطان أُزْبك (٤) خان ، وكان قد عَصَى على مولاه وعلى الخليفة وقطع الطريق ، فكتب الخليفة إلى ابن زَيْن الدين (٥) ، وإلى الملك الظاهر غازى صاحب حلب ، وإلى الملك العادل هذا يطلب العساكر ، فجاءته العساكر من كلّ مكان ، وتوجّه ابن زَيْن الدين مقدّم العساكر ، وجاء أُزْبَك وجلال الدين مقدّم الإسماعيليّة . وجمع أيضا مَنْكَلِى جموعا كثيرة والْتَقَوْا قريبا من هَمَذَان ، واقتتلوا قتالا شديدًا ، فكانت الدائرة على مَنْكَلِى ، وقُتِل من أصحابه ستة آلاف ، ونهبوا أثقاله ، فحال بينهم اللّيل فصعد

(١) التكملة عن تاريخ الاسلام للذهبى وشذرات الذهب . (٢) فى تاريخ الاسلام والمختصر المحتاج اليه « كانت ولادته سنة أربع وعشرين وخمسمائة » فسنه أكثر من ذلك (٣) التكملة عما تقدّم ذكره فى حوادث السنة . (٤) هو أزبك خان بن البهلوان محمد بن إلدكز صاحب أذربيجان . (٥) هو مظفر الدين كوكورى بن زين الدين على كجك صاحب إربل .

مَنْكَلِى على جبل، وآبنُ زين الدين والعسا كر أسفل، وأوقد مَنْكَلِى نارًا عظيمة وهرب فى الليل، فأصبح الناس وليس لمَنْكَلِى أثر، ثم قُتِل مَنْكَلِى بعد ذلك . وأزْبك خان هذا هو غير أُزبك خان التَّتَرِىّ المتأخر .

وفيها أخذ خُوَارَزْم شاه محمد [بن تُكُش] (١) مدينة غَزْنة من يَلْدز تاج الدين مملوك شهاب الدين [أحمد] (٢) الغورىّ بغير قتال .

وفيها أخذ آبنُ لاوُن الإفرنجىّ أنطاكِيَة فى يوم الأحد رابع عشرين شوّال .

وفيها حجّ بالناس آبن أبى فِراس من العراق نيابةً عن محمد بن ياقوت .

وفيها تُوفّى علىّ آبن الخليفة الناصر لدين الله العباسىّ وكنيته أبو الحسن . وكان لَقّبه أبوه الخليفة بالملك المعظّم، وكان جليلا نبيلًا . مات فى ذى القعدة وأُخرج تابوته وبين يديه أرباب الدولة . ومن الآتّفاق الغريب أنّه يوم الجمعة دَخَل بغداد رأسُ مَنْكَلِى على رُمْح، وزُيّنت بغداد وأظهر الخليفة السرور والفرح ، ووافق تلك الساعة وفاةُ آبن الخليفة علىّ هذا، ووقع صُرَاخٌ عظيم فى دار الخلافة، فآنقلب ذلك الفرح بحزن . وخرجت المخدّرات من خدورهنّ ونشَرْنَ شعورهنّ .

قال أبو المظفّر : «ولَطَمْنَ وقام النوائح فى كلّ ناحية ، وعظُم حُزْنُ الخليفة بحيث إنه آمتنع من الطعام والشراب، وغلّقت الأسواق، وعُطّلت الحمّامات، وبطَل البيع والشِّراء، وجرى مالم يجر قبله . وكان الخليفة قد رشّحه للخلافة، فعل الله فى مُلكه ماأراد . وخلّف ولدين. أما عبد الله الحسين ولقّبه جَدُّه «المؤيد» ويحيى وَلقّبه «الموفّق» .

(١) زيادة عن آبن الأثير وعقد الجمان وتاريخ ابن الوردى . (٢) الزيادة عن عقد الجمان

وفيها تُوفّى المبارك بن المبـارك أبو بكر الواسطىّ النحوىّ . وُلِد سـنة أربع[(1)] وثلاثين وخمسمائة، وكان حنبليًّا، ثم صار حنفيًّا، ثم صار شافعيًّا لأسباب وقعت له، وكان قـرأ الأدب على آبن الخشّاب[(2)] وغيره، وكـان أديبًا فاضـلا شاعرا . ومن شعره — رحمه الله — قوله .

لا خير فى الخمر فمن شأنها * إفقادُها العقلَ وحلُّ الجنونْ
أو أن تُرِى الأقبحَ مُستحسَنًا * وتُظهِرَ السرَّ الخفىَّ المَصُونْ

قلت : ويُعجبنى قولُ القائل، وهو قريب ممّا نحن فيه :

على قدر عقل المرء فى حال صَحْوِهِ * تُؤَثِّر فيه الخمـرُ فى حال سُكْرِهِ
فتأخذ من عقـل كثير أقلَّه * وتأتى على العقـل اليسير بأسره

الذين ذكر الذهبىّ وفاتَهم فى هـذه السنة، قال : وفيها تُوُفّى الفقيه سليمان بن محمد بن علىّ المَوْصلىّ فى صفر، وله أربع وثمانون سنة . وأبو العبّاس أحمد بن يحيى ابن بَرَكَة الدَّبِيقِىّ[(3)] البَزّاز فى شهر ربيع الأول، وله أربع وثمانون سـنة أيضا . والحافظ عبد القادر [بن عبد الله[(4)] أبو محمد] الرُّهَاوِى[(5)] بحَرّان، وله ست وسبعون سنة فى جُمَادى الأولى . وأبو الفرج [يحيى][(6)] بن ياقوت الفَرّاش[(7)] فى جمادى الآخرة. والقُدْوة

(١) فى تاريخ الاسلام للذهبى وعقد الجمان : « ولد سنة اثنين وثلاثين وخمسمائة » .
(٢) ذكره المؤلف فى حوادث سنة ٥٦٧ هـ (٣) فى الأصل « الديلمى » والتصويب عن تاريخ الاسلام ومعجم البلدان لياقوت وشرح القصيدة اللامية فى التاريخ والمختصر المحتاج اليـه . والدبيقى نسبة إلى دبيقة، قرية ببغداد . (٤) الزيادة عن تذكرة الحفاظ والمختصر المحتاج اليه وتاريخ الاسلام ومعجم البلدان لياقوت . (٥) الرهاوى نسبة الى الرها، بلد بالجزيرة .
(٦) التكلة عن المختصر المحتاج اليه وشذرات الذهب وتاريخ الاسلام للذهبى .
(٧) كذا فى الأصـل . وفى تاريخ الاسـلام للذهبى « الفراس » . وفى المختصر المحتاج اليـه « الفراش »

١٠ ١٥ ٢٠

الزاهد أبو الحسن علىّ بن الضبّاع[1] بن حُمَيْد الصَّعِيدىّ ببلدة قِنَا[2] . وأبو الفتوح[3] محمد بن علىّ الحُلَاحِلىّ التاجر بالقُدْس[4] فى إحدى وسبعين سنة . ومحمد بن أبى المَعَالى [عبد الله] بن موهوب الصوفىّ ابن البنّاء فى ذى القعدة[5] . وأبو محمد عبد العزيز بن مَعَالى [بن غَنِيمة][5] بن الحسن المعروف بابن مَنِينا الأَشْنَانىّ ، وله سبع وثمانون سنة . مات فى ذى الحجّة .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع سواء . مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وثمانى عشرة إصبعا .

*
* *

السنة السابعة عشرة من ولاية الملك العادل أبى بكر بن أيّوب على مصر، وهى سنة ثلاث عشرة وستمائة .

فيها جهّز الخليفة الناصر لدين الله وَلَدَى ولده المقدّم ذكرهما إلى تُسْتَر، وضمّهما إلى بدر الدين محمد سِبْط[6] العقاب، وخرج أرباب الدولة بين يديهما، وضرب لهما خيمة الأطلس بأطناب خُضْر إبْرِيسَم، وعلى رءوسهما الشمسيّة والسود والأعلام،

---

(١) فى تاريخ الإسلام وشذرات الذهب « على بن حميد أبو الحسن بن الضباع » وفى حسن المحاضرة للسيوطى (ص ٢٩٥ ج ١) « على بن أحمد بن إسماعيل بن يوسف الشيخ أبو الحسن الضباع القوصى » .   (٢) قنا : مدينة مصرية قديمة شهيرة بالصعيد الأعلى واقعة على الشاطئ الشرقى للنيل ، وهى قاعدة مديرية قنا التى أصبحت إحدى مديريات الوجه القبلى من سنة ١٨٥١ إلى اليوم

(٣) فى الأصل « أبو الفتح » . وما أثبتناه عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب والمختصر المحتاج إليه . والحلاحلى نسبة إلى حلاحل ، جبل من جبال الدهناء .   (٤) فى الأصل « أحمد » . والتصويب عن تاريخ الاسلام وشذرات الذهب والمختصر المحتاج إليه   (٥) الزيادة عن شذرات الذهب وتاريخ الاسلام والمختصر المحتاج إليه   (٦) وكانت وفاته سنة ٦١٦ هـ ، كما فى عقد الجمان ومرآة الزمان

وخلفهما الكوسات، وسار معهما نجاح الشَّرابي(١) والمكين القُمّى(٢) بالعساكر فى سابع المحرّم، فأقاما بتُسْتَر شهرين فلم تَطِب لها، فعادا إلى بغداد عند جدّهما الخليفة فى شهر ربيع الآخر.

وفيها توفّى الملك الظاهر غازى — على ما يأتى ذكره — فى هذه السنة. وتوجّه الشيخ أبو العبّاس عبد السلام بن [أبى](٣) عصرون رسولا من الملك العزيز محمد بن الظاهر غازى المذكور إلى الخليفة الناصر لدين الله يطلب تقريره بسلطنة حلب على ما كان أبوه عليها.

وفيها قصد الملك المعظّم عيسى صاحب دمشق الاجتماع بأخيه الملك الأشرف موسى، فاجتمعا بنواحى الرّقة، وفاوض المعظّمُ الأشرفَ فى أمر حلب.

وفيها حجّ بالناس من العراق ابن أبى فِراس، ومن الشام الشيخ عَلَمَ الدين الخَضِرِىّ.

وفيها تُوفّى زَيْد بن الحسن بن زيد بن الحسن [بن زيد بن الحسن](٤) بن سعيد بن عِصْمة بن حِمْيَر(٥) العلامة تاج الدين أبو اليمن الكِندى البغدادى المقرئ النحوى اللغوى. مولده فى شعبان سنة عشرين وخمسمائة، وحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين، وكمّل القراءات العشر وله عشر سنين.

---

(١) هو عز الدين نجاح بن عبد الله الشرابى (عن ابن الأثير) (٢) هو مكين الدين محمد ابن محمد بن عبد الكريم ابن برز القمى: نسبة إلى قم — بلد بين ساوة وأصبهان — أبو الحسن مؤيد الدين كاتب ديوان الإنشاء، ورشح للوزارة للامام الناصر. (عن ابن الأثير والمختصر المحتاج اليه)

(٣) الزيادة عن شذرات الذهب وابن خلكان. وهو عبد السلام بن المطهر بن عبد الله بن محمد ابن أبى عصرون. وسيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٣٢ هـ. (٤) التكملة عن تاريخ الإسلام للذهبى وغاية النهاية وبغية الوعاة للسيوطى. (٥) فى الأصل. «حبل» وما أثبتناه عن عقد الجمان وبغية الوعاة وغاية النهاية وتاريخ الاسلام للذهبى.

قال الذهبيّ : «وكان أعلى أهل الأرض إسنادًا فى القراءات، فإنّى لا أعلم أحدًا من الأئمة عاش بعد ما قرأ القراءات [ثلاثا و] (١) ثمانين سنة غيره. هذا مع أنه قرأ على أسنّ شيوخ العصر بالعراق ، ولم يبقَ أحد ممّن قرأ عليه مثل بقائه ولا قريبًا منه ، بل آخِرُ من قرأ عليه الكمال [بن] (٢) فارس، وعاش بعده نيّفا وستين سنة . ثم إنّه سمِع الحديث على الكبار، وبَقِىَ مسنِد الزمان فى القراءات والحديث». انتهى كلام الذهبىّ باختصار. وكان فاضلا أديبا ومات فى شوّال . ومن شعره — رحمه الله تعالى — :

دع المنجّمَ يكبُو فى ضلالته * إن ادّعى علمَ ما يجرى به الفلَكُ
تفرّد اللهَ بالعلم القديم فلا الـ * إنسانُ يشرَكُه فيه ولا المَلَكُ

وفيها تُوفّى سعيد بن حمزة بن أحمد أبو الغنائم بن شاروخ (٣) الكاتب العراقىّ . كان فاضلا بارعًا فى الأدب، وله رسائل ومكاتبات وشعر . ومن شعره القصيدةُ ١٠ التى أوّلها :

ياشائمَ البرقِ من نجْدىّ (٤) كاظمةٍ * يبدو مرارًا وتُخفيه الدياجيرُ

وفيها تُوُفِّى السلطان الملك الظاهر أبو منصور غازى صاحب حلب ابن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن الأمير نجم الدين أيّوب . وُلِد بالقاهرة ١٥ فى سنة ثمانٍ وستين وخمسمائة فى سلطنة والده . ونشأ تحت كنف والده، وولّاه أبوه سلطنة حلب فى حياته . وكان مَلِكًا مَهيبًا وله سياسة وفِطْنة، ودولة معمورة بالعلماء والأمراء والفضلاء. وكان محسنًا للرعيّة والوافدين عليه. وحضر معظم غَزَوات والده

(١) التكلمة عن تاريخ الإسلام وغاية النهاية وبغية الوعاة (٢) تكلمة عن تاريخ الاسلام وغاية النهاية وهو الكمال إبراهيم ابن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن فارس توفى سنة ٦٧٦ﻫ، كما فى غاية النهاية.
٢٠ (٣) كذا فى الأصل . وفى عقد الجمان . «ساروخ» بالسين والخاء المهملتين. وفى المختصر المحتاج اليه والذيل على الروضتين «ابن سارح» بالحاء المعجمة .
(٤) فى تاريخ الاسلام والمختصر المحتاج اليه . «من شرق» .

السلطان صلاح الدين، وكان فى دولة الظاهر هذا من الأمراء: مَيْمون القَصْرِىّ، والمُبَارز[1] آن يوسف بن خَطْلُخ، وسُــنْقُر الحَلَبِىّ، وسرا سُنْقُر، وأَيْبَك فَطِيس وغيرهم من الصلاحيّة. ومن أرباب العمائم القاضى بهاء الدين بن شَدّاد، والشريف الافتخارىّ الهاشمىّ، والشريف النّسّابة، وبنو العجمىّ والقَيْسَرانِىّ، وبنو الخَشّاب [وغيرهم][2].

٥ وكان ملجأً للغرباء وكَهْفاً للفقراء، يزور الصالحين ويتفقّدهم، ودام على ذلك إلى أن تُوُفّى ليلة الثلاثاء العشرين من جُمادى الآخرة بعلّة الذَّرَب. ودُفِن بقلعة حلب، ثم نُقِل بعد ذلك إلى مدرسته التى أنشأها. وقام بعده ولده الملك العزيز محمد بوصيّته، وولّاه الخليفة حسب ما تقدّم ذكره.

وفيها تُوُفّى الشيخ عزّ الدين محمد بن الحافظ عبد الغنى المَقْدِسىّ، وُلِد سنة ستّ
١٠ وستين وخمسمائة، وسمع الحديث ورحل البلاد، وكان حافظا ديّنا ورعا زاهدا. ودُفِن بقاسيون[3].

وفيها تُوُفّى يحيى بن محمد بن محمد بن محمد [بن محمد][4] أبو جعفر الشريف الحُسَيْنِىّ. ولى نقابة الطالبيّين بالبصرة بعد أبيه، وقرأ الأدب، وسمع الحديث، ومن شــعره — رحمه الله تعالى —:

١٥ هذا العقيقُ وهــذا الجِزْعُ والبــانُ * فاحبِسْ فلى فيــه أوطارٌ وأوطانُ
آليتُ والحُــرُّ لا يَلْوِى أَلِيَّتَــهُ * ألّا تَــلَذّ بطيب النـــوم أجفانُ
حتّى تَعُــودَ لياليـــا التى سَــلَفَتْ * بالأجرعَيْــن وجــيرانى كما كانوا

(١) فى الأصل «المبارك». وقد تقدم غير مرة. (٢) زيادة عن مرآة الزمان وعقد الجمان. (٣) فى الأصــل «ومات بقاسيون». وما أثبتناه عن شذرات الذهب
٢٠ وعقد الجمان. وتعتبر قاسيون مقبرة دمشق.
(٤) الزيادة عن تاريخ الإسلام والدليل على الروضتين ومرآة الزمان وعقد الجمان.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم فى هذه السنة، قال : وفيها تُوفّى العلّامة تاج الدين أبو اليُمْن زيد بن الحسن الكِنْدىّ فى شوّال، وله ثلاث وتسعون سنة وشهران . والملك الظاهر أبو منصور غازى آبن السلطان صلاح الدين بحلب فى جمادى الآخرة. والمحدّث عزّ الدين محمد آبن الحافظ عبد الغنى المَقْدِسىّ فى شوّال .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وأربع أصابع . مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وثلاث وعشرون إصبعا .

***

السنة الثامنة عشرة من ولاية الملك العادل أبى بكر بن أيّوب على مصر، وهى سنة أربع عشرة وستمائة .

فيها قدم الملك خُوارَزْم شاه وآسمه محمد [بن تُكُش][1] إلى هَمَذَان يقصد بغداد[2] فى أربعمائة ألف مقاتل، وقيل فى ستمائة ألف، فآستعدّ له الخليفة الناصر لدين الله، وفرّق المال والسلاح، وأرسل إليه الشيخ شهاب الدّين السُّهْرَوَرْدِىّ[3] فى رسالة فأهانه وآستدعاه وأوقفه إلى جانب تخته، ولم يأذن له بالقعود .

قال أبو المظفّر — «حكى الشهاب قال — آستدعانى فأتيتُ إلى خَيْمة عظيمة لها دِهْليز لم أرَ فى الدنيا مثله، والدِّهليز والشقة أطلس والأطناب حرير، وفى الدِّهليز ملوكُ العجم على اختلاف طبقاتهم . صاحب هَمَذان وأصبهان والرّى وغيرهم، فدخلنا إلى خَيْمة أُخرى إبْرِيسَم، وفى دهليزها ملوكُ خُراسان: مَرْو ونَيْسابور وبَلْخ وغيرهم؛ ثم دخلنا خَيْمة أخرى، وملوك ماوراء النهر فى دِهليزها، كذلك ثلاث خيام .

(١) الزيادة عن عقد الجمان (٢) فى الأصل «فى قصد بغداد» وما أثبتناه عن مرآة الزمان (٣) هو أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عمويه شهاب الدين . وسيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٣٢ هـ .

ثم دخلنا عليـه وهو فى خركاة عظيمة من ذهب، وعليها سجافٌ مرصّعٌ بالجواهر .
وهو صبىّ له شَعَرات قاعد على تخت سادَج وعليه قَبَاءٌ بخارىّ يساوى خمسة دراهم،
وعلى رأسـه قطعة من جلد تساوى درهما، فسلّمت عليه فلم يردّ ، ولا أمرنى
بالجلوس، فشرعتُ فخطبتُ خطبةً بليغةً، ذكرتُ فيها فضل بنى العبّاس ووصفتُ
الخليفةَ بالزهد والورَع والتُّقَى والدين، والتُّرْجُمان يُعيـد عليه قولى . [فلمّا فرغت][1]
قال للترجمان : قل له هذا الذى وصفته ما هو فى بغداد ؟ . قلت : نعم . قال
[أنا][1] أجىء وأُقيم خليفة يكون بهذه الأوصاف . ثم ردّنا بغير جواب . فنزل الثّلج
عليهم فهلكت دوابُّهم وركب خُوَارَزْم شاه يومًا فعثر به فرسه فتطيّر، ووقع الفساد
فى عسكره وقلّت المِيرة . وكان معـه سبعون ألفـا من الخُطَا فردّه الله ونُكِب تلك
النكبة العظيمة» . وسنذكرها — إن شاء الله تعالى — فى محلّها .

وفيها تُوُفّى إبراهيم [بن عبد الواحد][2] بن علىّ بن سرور الشيخ العماد المَقْدِسىّ الزاهد
القُدْوة الحنبلىّ أخو الحافظ عبد الغنى، وُلِد بجمّاعيل فى سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة،
فهو أصـغر من الحافظ عبد الغنى[3] بسنتين وسمِـع الكثير، وكان إماما حافظا عالمـا
محدّثا زاهدا عابدا فقيها . مات فجأة فى ليلة الأربعاء سادس عشر ذى القعدة .

وفيها تُوُفّى عبد الصمد بن محمد بن أبى الفضل بن علىّ بن عبد الواحد أبو القاسم
القاضى جمال الدين الحَرَسْتانِىّ[4] الأنصارىّ شيخ القضاة . وُلِد بدمشـق فى سـنة
عشرين وخمسمائة، ورحل وسمِـع الحديث وتفقّه ، وكان إماما عفيفًا خطيبا ديّـنا
صالحا . له حكاياتٌ مع الملك المعظّم عيسى فى أحكامه — رحمه الله تعالى — .

(١) الزيادة عن عقد الجمان ومرآة الزمان والذيل على الروضتين . (٢) التكلة عن مرآة
الزمان وعقد الجمان وشذرات الذهب ، وما سيأتى ذكره للؤلف فيمن ذكر وفاتهم نقلا عن الذهبى .
(٣) هو الحافظ عبد الغنى بن عبد الواحد بن على بن سرور أبو محمد المقدسى ، ذكره المؤلف فى حوادث
سنة ٦٠٠ هـ . (٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ٦٤ من هذا الجزء .

وفيها تُوفّى محمد بن أبي القاسم بن محمد أبو عبد الله الهَكّاري الأمير بدر الدين، أُستُشْهِد على الطور[1]، وأبلى بلاءً حسناً ذلك اليوم وكان من المجاهدين، له المواقف المشهودة في قتال الفرنج، وكان من أكابر أمراء الملك المعظّم، كان يستشيره ويَصْدُر عن رأيه ويثق به لصلاحه ودينه وكان سَمْحاً جَواداً.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها تُوُفّى المحدّث أبو الخطّاب أحمد بن محمد البَلَنْسِيّ بمَرّاكُش. وأبو الحسن علىّ بن محمد بن علىّ المَوْصِلىّ أخو سليمان[2]. وأبو الحسين محمد بن أحمد بن جُبَيْر الكِنانىّ البَلَنْسِيّ الأديب الإسكندرانىّ بها، وله أربع وسبعون سنة. وقاضى القضاة أبو القاسم عبد الصمد بن محمد الحَرَستانىّ في ذى الحجّة، وله أربع وتسعون سنة وأشهر. والإمام عماد الدين إبراهيم ابن عبد الواحد المَقْدِسىّ الحنبلىّ في ذى القعدة، وله سبعون سنة. والمحدّث أبو محمد عبد الله بن عبد الجبّار العثمانىّ الإسكندرانىّ الكارمىّ[3] بمكّة.

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وأربع عشرة إصبعا. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وسبع عشرة إصبعا.

*
* *

السنة التاسعة عشرة من ولاية الملك العادل أبي بكر بن أيّوب على مصر، وهي التي مات فيها العادل في جمادى الآخرة حسب ما تقدّم ذكره، وهي سنة خمس عشرة وستمائة.

---

(١) الطور: جبل بعينه مطل على طبرية الأردن، بينهما أربعة فراسخ، ثم بنى هناك الملك المعظم عيسى بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب قلعة حصينة وأنفق عليها الأموال الجمة. وأحكمها غاية الاحكام فلما كان في سنة ٦١٥ هـ وخرج الفرنج من وراء البحر طالبين البيت المقدس أمر بخرابها (عن معجم البلدان لياقوت، وكما سيأتى ذكره للمؤلف في الصفحة التالية). (٢) هو سليمان بن محمد بن على ابن أبى سعد أبو الفضل الموصلى ثم البغدادى الصوفى ويعرف بابن البناء (عن تاريخ الاسلام للذهبي). وذكره المؤلف في حوادث سنة ٦١٢ هـ. (٣) في حسن المحاضرة للسيوطى: «عبد الرحمن بن عبد الجبار».

وفيها نزلت الفرنج على دِمْياط فى شهر ربيع الأوّل، وكان العادل بمَرْج الصُّفَّر، فبعث بالعساكر التى كانت معــه إلى مصر إلى ولده الكامل، وأقام المعظّم بالساحل بعسكر الشام فى مقابلة الفرنج ليشغلهم عن دِمْياط .

وفيهــا آستدعى الملكُ العادلُ صاحبُ الترجمة آبنَه الملكَ المعظَّم المقــدّم ذكره وقال له : قد بَنَيْتَ هذا الطُّور[1]، وهو يكون سببا لخراب الشام، وقد سَلَّم الله مَن كان فيه من أبطال المسلمين، وسلاح الدنيا والذخائر، وأرى من المصلحة خرابه ليتوفّر مَن فيه من المسلمين والعدد على حفظ دِمْياط، وأنا أُعَوِّضُك عنه ؛ فتوقّف المعظّم وبَقِيَ أيّاما لا يدخل إلى أبيه العــادل، فبعث إليــه العادل ثانيا وأرضاه بالمــال، ووعده فى مصر ببلاد، فأجاب المعظّم وخرّبه ونَقَل ما كان فيه .

وفيهــا فى يوم الجمعــة ثانى عشر شهر ربيع الآخر كَسَر الملك الأشرف موسى صاحب خِلاط وديار بكر وحلب آبنُ الملك العادل هذا ملكَ الروم كَيْكَاوُس .

وفيها أيضا بعث الأشرف المذكور بالأمير سيف الدين بن كهدان والمبــارز آبن خَطْلُخ بجماعة من العساكر نجدةً إلى أخيــه الملك الكامل بِدمْياط ، كلّ ذلك والقتال عَمّال بين الملك الكامل والفرنج على ثغر دِمْياط .

وفيها فى آخر جُمادى الأولى أخذ الفرنج بُرْج السِّلْسِلَة[2] من الكامل، فأرسل الكامل شيخَ الشيوخ صدر الدين إلى أبيه العادل وأخبره ، فدقّ العادل بيده على صدره ، ومرِض من قَهْره مرضَ الموت .

(١) فى عقد الجمان : « حصن الطور » وراجع الحاشية رقم ١ ص ٢٢١ من هذا الجزء .
(٢) راجع الحاشية رقم ٥ ص ١٧٠ من هذا الجزء .

وفيها فى جُمادى الآخرة آلتقى الملك المعظّم الفرنج بساحل الشام وقاتلهم فنصره الله عليهم، وقتل منهم مَقْتَلة، وأَسَر من الدَّاوِيّة[1] مائة فارس، وأدخلهم القدس منكَّسِى الأعلام .

وفيها وصل رسول خُوَارَزْم شاه إلى الملك العادل هذا وهو بمَرْج الصُّفَّر، فبعث بالجواب الخطيبَ الدَّوْلَعِىّ[2] ونجم الدين خليل [بن علىّ الحنفى][3] قاضى العسكر، فوصلا هَمَذان فوجدا الخُوَارَزْمىّ قد آندفع بين يدى الخُطَا [والتتار][3]، وقد خامر عليه عسكره، فسارا إلى حدّ بُخارى، فاجتمعا بولده الملك جلال الدين فأخبرهما بوفاة العادل صاحب الترجمة مرسلهما، فرجعا إلى دمشق .

وفيها حجّ بالناس من بغداد أقباش[4] الناصرى .

وفيها تُوفّى عبد الله بن الحسين أبو القاسم عِماد الدين الدَّامَغَانِىّ الحنفىّ قاضى القضاة ببغداد؛ ومولده فى شهر رجب سنة أربع وستين وخمسمائة . وكان له صَمْتٌ ووقار ودينٌ وعصمة وعِفّة وسيرة حسنة مع العلم والفضل ، وكانت وفاته فى ذى القعدة ودُفِن بالشُّونِيزِيّة .

وفيها تُوفّى كَيْكَاوُس[5] الأميرُ عِزّ الدين صاحب الروم، كان جبّارا ظالمًا سفّاكًا للدماء ، ولمّا عاد إلى بلده من كَسْرة الأشرف موسى آتّهم أقوامًا من أمراء دولته

(١) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٣ من هذا الجزء . (٢) هو الخطيب جمال الدين محمد ابن أبى الفضل بن زيد بن ياسين أبو عبد الله التغلبى الدولعى الشافعى خطيب جامع دمشق بعد عمه . وسيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٣٥ هـ . (٣) زيادة عن الذيل على الروضتين . (٤) كذا فى الأصل وعقد الجمان . وفى الذيل على الروضتين « أقباس » بالسين المهملة . وهو أقباش بن عبد الله مملوك الخليفة الناصر . (٥) هو كيكاوس بن كيخسرو بن قلج أرسلان صاحب قونية وأقصرا وملطية وما بينها من بلاد الروم، كما فى ابن الأثير وتاريخ الإسلام وشذرات الذهب وعقد الجمان . وقد ضبط بالقلم فى كتاب البر المسبوك فى تواريخ أكابر الملوك تأليف السلطان عماد الدين صاحب حماة (نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨٦ تاريخ م) بفتح الكاف وسكون الياء وكاف بعدها ألف وضم الواو، ووقعه بالشين المعجمة .

أنهم قصّروا فى قتال الحلبيّين، وسلق منهم جماعة فى القدور، وجعل آخرين فى بيت وأحرقه؛ فأخذه الله بغتةً . ومات سكران بغاةً؛ وقيل . بل ابتُلِى فى بدنه، وتقطّعت أوصاله . وكان أخوه علاءُ الدين كَيْقُباد محبوسًا فى قلعة ، وقد أمر كَيْكَاوُس بقتله، فبادروا وأخرجوه، وأقاموه فى المُلك . وكانت وفاة كَيْكَاوُس فى شوّال ، وهو الذى أطمع الفرنج فى دِمْياط .

وفيها تُوفّى خُوَارَزْم شاه واسمه محمد بن تُكُش بن إيل أرْسلان بن أتْسِز ابن محمد بن أنُوشتِكين السلطان علاء الدين المعروف بخُوَارَزْم شاه .

قال ابنُ واصل[1] : نسبُه ينتهى إلى إيلتكين أحد مماليك السلطان ألْب أرْسلان ابن طُغْرُلْبَك السَّلْجُوقىّ ، وكانت سلطنة خوارزم شاه المذكور فى سنة ست وتسعين وخمسمائة بعد موت والده السلطان علاء الدين تُكُش .

وقال عز الدين بن الأثير : كان صَبُورًا على التعب وإدمان السَّيْر غير مُتَنَعِّم ولا مُقْبِل على اللذات ، إنّما همّته فى المُلك وتدبيره وحفظه وحفظ رعيّته، وكان فاضلا عالمًا بالفقه والأصول وغيرهما، وكان مُكْرِما للعلماء مُحِبًّا لهم مُحْسِنًا إليهم يُحبّ مناظرتهم بين يديه ويُعظّم أهل الدين ويتبرّك بهم .

— قلت : وهذا بخلاف ما ذكره أبو المظفّر ممّا حكاه عن الشيخ شهاب الدين السُّهْرَوَرْدِىّ، لمّا توجه إلى خُوَارَزْم شاه هذا رسولاً من قِبَل الخليفة الناصر لدين الله فإنّه ذكر عنه أشياء من التكبّر والتعاظم عليه، وعدم الالتفات له ، وإنّه صار لا يفهم كلامَ السُّهْرَوَرْدِىّ إلّا بالتَّرْجُمان، ولعلّه كان فعل ذلك لإظهار العظمة، وهو نوع من تجاهل العارف — قال : وكان أعظم ملوك الدنيا واتّسعت ممالكه شرقا وغربا

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٣٩ من الجزء الخامس من هذه الطبعة